

حزب الله في لبنان

حزب الله في لبنان

البنية الفكرية السياسية - المواقف - الدور الإقليمي

مجموعة مؤلفين

تحرير

محمد هاشم البطاط - رزاق فالح العجيلي

**حزب الله في لبنان
البنية الفكرية السياسية
المواقف-الدور الإقليمي**

مجموعة مؤلفين

**تحرير
محمد هاشم البطاط
رزاق فالح العجيلي**

**صاحب الامتياز
محمد صادق الهاشمي
(قاسم هاشم مولى)**

**المطبعة
الساقي**

**التصميم والمتابعة الفنية
علي حسين مطر**

الناشر



٢٠١٥م-١٤٣٦هـ

الطبعة الأولى

٣٠٠٠ نسخة

مركز العراق للدراسات

www.markazaliraq.net

info@markazaliraq.net



تلميح

كان وما يزال حزب الله في لبنان يشكل ظاهرة فريدة على العديد من الأصعدة، منها تلك القدرة الكبيرة على تحقيق منجزات شكلت بالنسبة للكثير من الدول، وعلى قمتها الدول العربية، حلماً ظل يراودها حتى تصيرَها جسماً يلاحقها كلما إرتبط الامر بالكيان الصهيوني، إذ مثلَّ الحزب بانتصاراته المتكررة إنموذجاً للدراسة في حقول معرفية جمّة، تنصدها موضوعات البنية الفكرية والترابط الهيكلية وكاريزما القيادة وميكانيزم قواعد الاشتباك وغيرها الكثير من الاستيقافات التي شغلت الباحثين على التنوع في مجالاتهم، الامر الذي يعني ان هذه الظاهرة الفريدة - أعني حزب الله - ما زالت تروم مزيداً من التعاطي التحليلي والمقاربات الهادفة الى إمطة اللثام عن عناصر القوة ومكامن الإنطلاق الدافعة لعناصر الحزب في تسجيل إنتصار تلو آخر تجاه عدوٍ طالما تبجح في وجه خصومه أنه يحظى بالرعاية الدولية، لاسيما الدعم غير المحدود من لدن الولايات المتحدة الامريكية وسواها.

وحتى يُصار الى بناء فهمٍ متكامل تجاه موضوع الكِتَاب، وتحصيل قدرٍ مهم تجاه المواقف التي إتخذها بخصوص القضايا التي لازمتها في الداخل اللبناني أو خارجه، من اجل ذلك لا بد من تقديم تصور أولي، ولو بصورة تقترب من

التنميطة الاكاديمية المعهود، عن نشأة حزب الله وملاساتها وطبيعة الثوابت والمبررات المؤدية إلى إنتصارات هذا الحزب. وعلى هذا الاساس يُحِيل لي أن النقطة الفارقة والمنطوية على غير قليل من الأهمية تكمن في تلك اللحظة التي شعرت فيها الطائفة الشيعية بالقهر والحرمان والتغيب ضمن سياق توازن القوى اللبناني قبل وبعد الإجتياح الصهيوني للبنان، فعلى الرغم من الوزن الديمغرافي لأفراد هذه الطائفة بيد انها لم تمنح حقها في التمثيل السياسي وعاشت الإقصاء والتهميش والإفقار، وقد إنعكست هذه العناصر السلبية على الطائفة بالجهل والفقر المدقعين، وكلما تقادم الزمن إزداد الامر إغراقاً في النكوصية والتقهقر نحو الوراء في الوقت الذي برز خلاله المسيحيون والمسلمون السنة بشكل أكثر وضوحاً في التمثيل السياسي وفي تولي المناصب العليا داخل البناء السياسي اللبناني^(١)، من هنا إنطلق ثلاثي الإصلاح ونشر الوعي في لبنان، والطائفة الشيعية بشكل خاص، وهم كل من موسى الصدر (١٩٢٨ - عُيَّبَ عام ١٩٧٨م) الذي قام بتأسيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى وترأسه سعياً نحو تقليل مديات الحرمان التي عانى منها الشيعة كثيراً، وكذا محمد مهدي شمس الدين (١٩٣٦ - ٢٠٠١م) الذي كان نائباً لموسى الصدر وترأس المجلس عقب إختطاف الصدر ورفيقه في ليبيا، وأخيراً محمد حسين فضل الله (١٩٣٥ - ٢٠١٠م) الذي سعى الى بناء المعاهد والمؤسسات الدينية التي تستقبل الشبان اللبنانيين وتكون معيناً لهم للعلوم الدينية، وبديلاً عن عناء السفر الى النجف العراقية أو قم الايرانية، سعى العلماء الثلاثة الى تأصيل الوعي عند الشيعة بفداحة الحرمان والقهر الذي يرزحون تحت وطأتها، وإلزامية

(١) للإطلاع على حال الشيعة في لبنان والمراحل التي مرت بها الطائفة، يُنظر: فضيل أبو النصر:

حزب الله - حقائق وأبعاد، ط١ ٢٠٠٣م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ص١٢ - ١٣.

العمل الدؤوب والجد صوب تغيير الواقع نحو الافضل، الامر الذي قاد الى تأسيس حالة ما يمكن أن نسميه «حالة الحرمان المُدرَك» التي تعبر عن إدراك وتفاعل الفرد او الجماعة الانسانية بجحَم ما يعانیه مع تشخيصه للعناصر المُشكلة والمُسهمه في تنميط هذا الحرمان وإذكائه، وقد أجاد مثلث الإصلاح (الصدر - شمس الدين - فضل الله) في تفعيل الوعي ونشر الثقافة الاسلامية وإحقاق جنبه من جنبات التمثيل المتعدد الأصدعة للشيعه في لبنان.

لكن ما يهم هنا أكثر من غيره هو قيام موسى الصدر بتأسيس حركة أمل «أفواج المقاومة اللبنانية» التي أنطلقت تحت مسمى «حركة المحرّمين» في إشارة علنية وصریحة للمقدار الكبير من الإجحاف بحق هذا المكون المهم والاساس ضمن البنية الاجتماعية اللبنانية، وإستمرت حركة أمل كأبرز ممثل ومعبّر كيانی عن الشيعة في لبنان على المستويات كافة، لاسيما السياسية والاجتماعية، حتى العام ١٩٨٢م، إذ في شهر حزيران أقدم نبيه بري (ولد عام ١٩٣٨م) على الانضمام الى الجلسة الاولى لهيئة الإنقاذ للوطني^(١)، وموافقته على خطة فيليب حبيب (١٩٢٠ - ١٩٩٢م) الامريكی الجنسية من أصول لبنانية/مارونية، والذي قدم الخطة لوقف إطلاق النار مع الكيان الصهيوني^(٢)، لم تلق مشاركة بري

(١) ضمت الجبهة بالاضافة الى نبيه بري كل من قائد القوات اللبنانية بشير الجميل، ورئيس الحركة الوطنية وليد جنبلاط ورئيس الحكومة شفيق الوزان وقد عقدت أول إجتماع لها برئاسة رئيس الجمهورية إلياس سركيس بعد أيام على الإجتياح الاسرائيلي للبنان، المصدر: نعيم قاسم، حزب الله - المنهج، التجربة، المستقبل، ط٩ ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت، ص٢٨.

(٢) بتصرف عن: مسعود أسد إلهي، الاسلاميون في مجتمع تعددي - حزب الله في لبنان نموذجاً، ترجمة: دلال عباس، ط١ ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص١١٣.

ترحيباً من قبل الكثير من أعضاء حركة أمل، الامر الذي دفع المعارضين الى إعلان إنشقاقهم عن الحركة ليعلن حسين الموسوي أحد قيادات الحركة عن إنشقاقهم عن حركة أمل وتأسيسهم لحركة «أمل الاسلامية» تمييزاً لهم عن الحركة الأم، حيث لم تكن مشاركة بري في هيئة الانقاذ، كما يشير مسعود أسد إلهي، «مخالفة لخط حركة أمل ولمقررات مؤتمرها الرابع فحسب، بل كانت أيضاً مخالفة لتعاليم الاسلام»^(١)، وهكذا ستشكل حركة أمل الاسلامية المنبع الفكري والمنطلق الإجتماعي للتشكيل الجديد «حزب الله»، بيد ان الاخير سيعلن عن وجوده رسمياً في عام ١٩٨٥م، من خلال ما عُرف بالرسالة المفتوحة التي وجهها حزب الله للمستضعفين بمناسبة الذكرى الأولى لإستشهاد راجب حرب (١٩٥٢ - ١٩٨٤م)، والتي شكلت البيان الرسمي المُعلن عن وجوده بشكل واضح وجلي، بيد ان من غير الصحيح الارتكان الى ان لحظة الرسالة المفتوحة هي اللحظة الكُلية لوجود الحزب كما ذهب جوزيف سكايمان^(٢)، إذ ان البداية الفعلية سبقت البداية الرسمية بأكثر من سنتين ونصف، فقد آذن تصدع حركة أمل وإنشقاق حسين الموسوي ومن معه عنها، وغياب موسى الصدر، بكسر قاعدة إحتكار التمثيل السياسي الشيعي من قبل حركة أمل والمجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، وبالتالي أضحي بالإمكان إستيعاب تعبيرات سياسية جديدة^(٣).

(١) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢) Joseph Skyman, *Islamic Movements in Middle East*, ٢ND Edition, New York Printing Home, ٢٠١٠, p١٣٢.

(٣) عبد الاله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان - حزب الله من الحوزة العلمية الى الجبهة، ط١

٢٠٠٠م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٤٣.

إنطلق حزب الله في بدايته عبر القيادة الجماعية وأطلقت عليها تسمية الشورى، ثم جرى إستحداث منصب الناطق الرسمي مع الرسالة المفتوحة، ثم جرى إقرار عدد شورى الحزب بتسعة تنتخب أميناً عاماً منها، فجرى إنتخاب صبحي الطفيلي (ولد عام ١٩٤٨م) في الخامس من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٨٩م، بعد مرحلة من القيادة الجماعية^(١)، ثم صار عدد شورى الحزب سبعة وأستحدث منصب نائب الامين العام، وفي آيار ١٩٩١م تم إنتخاب عباس الموسوي (١٩٥٢ - ١٩٩٢م) أميناً عاماً للحزب بدلاً من صبحي الطفيلي نتيجة خلافات حصلت بين أعضاء الشورى والأخير بخصوص جملة من القضايا منها إعلانه العصيان المدني على الحكومة وغيرها، وبعد إستشهاد الموسوي في السادس عشر من شباط/ فبراير عام ١٩٩٢م، تم إنتخاب حسن نصر الله (ولد عام ١٩٦٠م) أميناً عاماً للحزب وإستمر في منصبه حتى الآن بعد ان تم إقرار عدم حصر عدد ولايات الامين العام بولايتين متتاليتين^(٢).

وقد إرتبط الحزب بمحمد حسين فضل الله، كما يشير نعيم قاسم (ولد عام ١٩٥٣م) نائب الامين العام لحزب الله، «بشكل وثيق في السنوات الاولى

(١) إلى الآن لا يوجد حسم بين الباحثين فيما يتعلق بإبراهيم الامين، هل كان أول أمين عام للحزب أم لا؟ بيد ان ارجح الاراء تثبت ان مرحلة ما قبل صبحي الطفيلي كانت تعبر عن القيادة الجماعية واقصى ما يمكن ان يُعبر فيه داخل الهيكل الحزبي عن التصدي للراي العام ووسائل الاعلام هو الناطق الرسمي للحزب، يُنظر:

Michel Husebam, Hizbullah and Israel . Face to face . Poliatcal today Magazine , Paris , Issue ١٢, ٢٠١٣, p٢٥.

(٢) بتصرف عن: نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧ - ٩٨.

لتأسيس الحزب، فمع نشوء الحزب كان المنضوون تحت لوائه من الفئات الاسلامية المختلفة يعتبرون العلامة رمزاً يمثل قناعاتهم، ويحمل الرؤية الاسلامية الواعية والحركية والمؤيدة لقائد الثورة الاسلامية في ايران الامام الخميني عليه السلام ما دفع جماعة لمناقشته في إمكانية تصدر موقع مركزي في الحزب الوليد، لكن العلامة أكد على رفضه الانخراط في العمل الحزبي التنظيمي، وأكد على عمله كعالم يطل من موقعه على كل الساحات، وهو يدعم ويؤيد توجهات الحزب التي تنسجم مع رؤيته»^(١).

وقد آمن الحزب بنظرية ولاية الفقيه التي تمكن روح الله الخميني (١٩٠٢ - ١٩٨٩م) من تطبيقها عقب إنتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م، مما أثار الكثير من الاشكاليات المتعلقة بالدور الايراني في تأسيس الحزب، وان الاخير قد أبصر النور بقرار إيراني، يرد حسن نصر الله بأن «القرار داخلي لبناني إتخذه شبان لبنانيون بسلاحهم وأموالهم وكفاءاتهم، أما الدور الايراني او الدور السوري ف جاء لاحقاً، إنطلقت المقاومة لإنجاز هدف معين، فقتلنا لم يكن منطلقه الحماسة، بل لتحقيق هدف مقتنعون بتحقيقه، وهذا يتطلب تدريباً - اي معسكرات تدريب - وتمويلاً وإمكانات وكادراً بشرياً، وهنا بدأنا التحرك وأقمنا

(١) المصدر السابق، ص٣٤.

(٢) لعل من الأهمية بمكان الإشارة الى ان رفض محمد حسين فضل الله الإنخراط في العمل الحزبي لا يعني رفضه للحزبية كميكانزم للتعاطي مع موضوعة السلطة السياسية، بقدر ما جاء رفضه الانضواء الشخصي تحت مظلة الحزب من منطلق أهمية الدور المرجعي في التوسع على الجماعة الاسلامية ككل، وليس على جزء من أجزائها. للمزيد يُنظر فصل (الظاهرة الحزبية في فكر محمد حسين فضل الله) ضمن كتاب: محمد هاشم البطاط، مقاربات في الفكر الاسلامي المعاصر، ط١ ٢٠١٤هـ/٢٠١٤م، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الاشرف، ص٦٩.

مجموعة عمل، وكنا مستعدين أن نمُد أيدينا إلى أية جهة أو دولة تبدي استعدادها لدعمنا»^(١)، من هنا يمكن التمييز بين منطلقين أساسيين في فهم حزب الله من حيث العلاقة مع الجمهورية الإسلامية في إيران:

المنطلق الأول: منطلق التعاضد والتعاون في سياق التوافق الاستراتيجي تجاه العدو المشترك (الكيان الصهيوني)، إذ يقرر حزب الله بأن توافقه هذا دفعه إلى أن يستعين بالامكانيات الكبيرة التي قدمتها وتقدمها له الجمهورية الإسلامية في إيران، دون أن يعني ذلك أنه تأسس بإرادة إيرانية رغبة من الأخيرة في التدخل بالشأن اللبناني، وإنما تأسس الحزب برغبة اللبنانيين الذي آمنوا بعدم نجاح الاستمرار في العمل داخل لواء حركة أمل، والسعي تجاه إيجاد تشكيل سياسي بديل يعبر عن طموحاتهم بشكل أفضل، ولا يعني هذا أن التأسيس جاء من مجرد ردة فعل مرتجلة ناجمة عن أي بديل آخر بعد مشاركة بري في هيئة الانقاذ، بعبارة أخرى، وكما يشير نعيم قاسم، أن «الحزب لم ينطلق من ردة فعل عشوائية عند تأسيسه، بل قام على رؤية فكرية سياسية جهادية متماسكة»^(٢)، وبطبيعة الحال فإن المرتكز الفكري العقائدي لحزب الله والمتأسس على الايمان بنظرية ولاية الفقيه دفعت إلى منطلق آخر في العلاقة مع إيران.

المنطلق الثاني: يستند هذا المرتكز على أحد الاقطاب الرئيسة في البنية الفكرية لحزب الله، والمتمثلة بالايان بنظرية ولاية الفقيه التي تمنح مرجع التقليد الجامع

(١) ينظر اللقاء الذي أجرته مجلة (الوسط) مع حسن نصر الله بتاريخ ١١/٣/١٩٩٦م، نقلاً عن: عامر الكفيسي، مقومات النهوض والاصلاح بين الاصاله والتجديد، ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص ٥٨٢.

(٢) نعيم نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

للشرائط، بوصفه نائباً للامام المعصوم عليه السلام، صلاحيات واسعة، لاسيما في نطاق السمة الاطلاقية لمن يؤمن بهذا النسق من الولاية للفقيه، إذ «إنطلق الحزب على أساس التزامه بالاسلام عقيدة وشريعة، ويضم في صفوفه من يؤمن بالاسلام كمنهج للحياة، وهو يلتزم بقيادة الولي الفقيه إنسجاماً مع إيمانه بولاية الامر كركنٍ أساسٍ لهذا الايمان»^(١)، ويرى الحزب انه في لبنان يشكل امتداداً لمشروع النهوض الاسلامي الذي انتهجه روح الله الخميني في ايران، وكما يبرر نعيم قاسم الاشكالية التي تثار فيما يتعلق بالاثر الرجعي على طبيعة علاقة الحزب مع ايران في سياق هذا المنطلق، بعبارة اخرى، كيف يتأتى للحزب ان يخضع ويتبع أوامر قيادة تعتبر بلحاظ العلاقة المعاصرة القائمة على الاساس الجغرافي في معانقة الدالة السياسية (المواطنة)، مخالفة لعين الهوية الوطنية التي يرجع اليها حزب الله، فالحزب لبناني في حين ان الولي الفقيه ايراني؟ يبرر نائب الامين العام للحزب هذه الاشكالية بالقول «لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته، كما لا علاقة لموطن المرجع بمرجعيته، فقد يكون عراقياً او ايرانياً او لبنانياً او كويتياً او غير ذلك، إذ لا دخل لجنسيته بالمواصفات التي يحملها»^(٢)، كما لا ينكر حسن نصر الله نفسه أهمية الإلتباع لخط روح الله الخميني الذي يعده رمزاً كبيراً يلهم مشروع المقاومة وتجربتها الاسلامية^(٣)، وكما يذهب عبد الإله بلقزيز، «قدمت ثورة ايران دليلاً على قدرة المسلمين - الإمامية منهم بخاصة - على كسر شوكة قوة

(١) محمد حسين فياض، حزب الله وخط الولاية، ط١ ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، سلسلة بحوث حزب الله (٢)،

د. م، ص ٢٧.

(٢) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٣) نقلاً عن: محمد حسين فياض، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

متغطرة من نوع تلك التي مثلها نظام الشاه محمد رضا بهلوي المحمي من أمريكا وإسرائيل»^(١). إن التعبير الاستبدادي الذي شكله نظام الشاه في إيران قد جوبه بمقاومة داخلية تقومت بزعامة دينية - فكرية مثلها الامام روح الله الخميني، فتكللت بالنصر وتقديم إنموذج رائع لمناهضة الاستبداد في العقود الاخيرة، يلتقي هذا التعبير مع الاستلهام الذي يقوم به حزب الله لمقاومة الاحتلال، ودرء الإعتداءات الاسرائيلية على لبنان إنطلاقاً من التلاقي الايديولوجي بين الحزب والجمهورية الاسلامية في ايران.

غير ان من الاهمية بمكان الاشارة الى ان علاقة الحزب بإيران لم تدفع المنضوين تحت لوائه الى الجمع الإرتجالي المنطلق من الأدلجة المنغلقة بين الاختلاف البين والواضح بين البيئتين الايرانية واللبنانية، فحزب الله، وعلى الرغم من إعتقاده وإيمانه بنظرية ولاية الفقيه، والزعامة الدينية والسياسية التي يجسدها علي الخامنئي (ولد عام ١٩٣٩م) بإعتبار الاخير خليفة في ولاية الامر لروح الله الخميني، لكنه يعترف بالتباين الكبير الذي تمتاز به الساحة اللبنانية عن غيرها، إذ تعد هذه الساحة ميداناً للتعارضات الايديولوجية والدينية والعرقية/ الاثنية بما يشكل صعوبة - إن لم تكن إستحالة - الانجرار وراء مشروع تطبيق ولاية الفقيه في لبنان، وهذا الامر، أعني إدراك حزب الله للتباين بين لبنان وايران وعدم التسطيح في البحث عن تقاربات في المنهج السياسي والتي تؤدي الى فشل مشروع الحزب سياسياً وعسكرياً، شكّل أحد مقومات الواقعية السياسية التي تجلت في سلوك الحزب في غير واحد من المجالات، وللأسف

(١) عبد الاله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٤١ - ٤٢.

الشديد فقد وقع خلط كثير، كما يرى حسن فضل الله، - من قبل الكثيرين، وربما لعدم إطلاعهم على المشروع السياسي للحزب بين تبني حزب الله للفكر والعقيدة الاسلامية وإيمانه بأن هذا الفكر يشكل الحل الناجح لازمات الشعوب، وبين مشروعه المرحلي القائم على مراعاة التعددية اللبنانية وظروفها السياسية التي لا تسمح بإقامة او إنجاح الدولة الاسلامية^(١).

وكيما يتمكن حزب الله من تحقيق مشروعه الاستراتيجي المتمثل بتحرير لبنان بشكل أولي، ومن ثم رد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الاراضي اللبنانية، وتشكيل ماكنة ردع استراتيجي قادرة على رد كل الاعتداءات المحتملة من قبل العدو، فإنه أعلن مراراً وتكراراً أنه فلسفته الفكرية ومنظومته العقديّة لا تنفصل عراها عن المقاومة كخيار أساس في التعاطي مع عدو كإسرائيل، الامر الذي جعل من المقاومة تحظى بأهمية معظمة داخل التنشئة الثقافية التي يلقن عبرها الحزب أتباعه ومريديه، وهو يربط، بذلك بارع، مشروع المقاومة بفريضة الجهاد الاسلامية بغية إعطائه دفعاً عقدياً كبيراً يسهم في تهيئة العقل الجمعي لعناصره للمضي قدماً كقرايين إستشهادية دفاعاً عن الارض والمعتقد، حيث إن الايمان والجهاد يشكلان الخلفية البارزة في ثقافة حزب الله ويطغيان على كل المعالم^(٢)، ويكفي كدليل على نجاعة الاندماج بين الايمان العقدي للحزب والمقاومة كمرتكز أساس في التعاطي مع الأخطار المحدقة بلبنان الممتزج - اي مرتكز المقاومة - مع خاصية الجهاد الاسلامية هو تلك الانتصارات المتحققة على

(١) حسن فضل الله، الخيار الآخر - حزب الله السيرة الذاتية والمواقف، ط١ ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار

الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص٩٠.

(٢) فضيل أبو النصر، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

يد رجالات الحزب في أكثر من ميدان حَمِيّ خلال الوطيس بين حزب الله وإسرائيل، أما البحث عن سر نجاح وإنتصار هذا الحزب القليل العدة والعدد قياساً بجيش نظامي كالجيش الإسرائيلي فيمكن تقديم جملة مبررات له:

المبرر الأول: الاستناد الايديولوجي لعناصر حزب الله الى الايمان بالرسالة الاسلامية وخاصة التضحية في سبيل الله دفاعاً عن الارض والعقيدة مكن عناصر الحزب من بذل الكثير من الجهد والاستبسال في كفاح الاحتلال الاسرائيلي في البداية، وفي رد الاعتداءات وتشكيل قوة الردع لاحقاً، لاسيما وأن النص القراني يكشف عن معيار إيماني في نيل الانتصار لا يعتكز على التقارب في كفة العدة والعدد بقدر ما يتقوم على صحة الاعتقاد ونجاعة الفكر الاصيل المعتمد على الدعم والاسناد الالهيين، يقول الله تعالى ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، ويزداد الامر تأكيداً اذا ما نُظِرَ اليه من لحاظ ما طرحه عبد الاله بلقزيز من انه اذا كان توازن القوى يعني تساويّاً او تقارباً في معدلات القوة بين أطراف الصراع، فإن «توازن الارادات» لا يتطلب ذلك، اذ يتطلب فقط إرادة مقاومة قوية تتمكن من كسر والانتصار على ارادة الاحتلال^(٢).

المبرر الثاني: الدعم الذي قدمته وتقدمه الجمهورية الاسلامية في ايران للحزب على مختلف الاصعدة والمجالات، والانفتاح السوري المتعدد الجوانب الذي شكل إسناداً وريفاً خلفياً للحزب، بما أسهم في تقوية الترسانة العسكرية للحزب، وتحصينه وتدريبه على إجادة ميكانزم الحروب الطويلة والقصيرة،

(١) سورة البقرة - آية ٢٤٩.

(٢) عبد الاله بقزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

لاسيما الاستنزافية منها، إذ لم تأل إيران أو سوريا أي جهد من اجل دعم الحزب بما شكل عنصر تقوية له في حروبه ضد المحتل الاسرائيلي، فبالنسبة لايران لم ينكر حسن نصر الله الدعم الذي لطالما قدمته لحزبه، وأن لها الفضل الكبير في انتصاراته المتكررة، وبالنسبة لسوريا التي تشكل لحزب الله «ظهر المقاومة»^(١)، فأنها فتحت، على سبيل المثال، ترسانتها العسكرية لحزب الله في حرب تموز ٢٠٠٦م، وإعلن الرئيس السوري بشار الاسد (ولد عام ١٩٦٥م) عن إستعداد الجيش السوري للمشاركة في القتال فيما لو طلب حزب الله منه ذلك^(٢).

المبرر الثالث: إرتكان الحزب على ميكائزم حرب العصابات *Guerrilla* في مقاومة إسرائيل، ويلاحظ في هذه الحرب انها تقوم على المباغته والعمليات النوعية ذات السرعة في التنفيذ على مراكز نوعية للخصم والانسحاب السريع دونما اية ممارسات تشبه قواعد الاشتباك في الحروب المعهودة بين الجيوش النظامية، وحزب الله، وإن كان في أحيان عديدة قد مارس قواعد الاشتباك النظامية مع اسرائيل، بيد ان إعتماده على حرب العصابات ومرتكزاتها القتالية الفاعلة هي التي أفلقت العدو الصهيوني وجعلته يتكبد الكثير من الخسائر، بل ان الحزب تعدى كل هذا وإعتمد في بعض الاحيان العمليات الاستشهادية التي ارعبت العدو وجعلت يتكبد خسائر كبيرة، ودفعته الى الانسحاب من لبنان يوم كان محتلاً لها، وكما يشير أحد

(١) إستعمل حسن نصر الله هذا المصطلح للإشارة الى الاهمية الاستراتيجية لسوريا بالنسبة للبنان بشكل عام، وحزب الله بشكل خاص. وقد إستعمله نصر الله قبيل ولوج الحزب ضمن دائرة الصراع في سوريا منعاً لسيطرة المتطرفين - المدعومين من إسرائيل على سوريا وإسقاطهم للنظام السوري.

(٢) أدلى حسن نصر الله بهذا التصريح في لقاء أجراه معه غسان بن جدو وعُرض على قناة الميادين،

الكتاب معبراً عن إنتصار الحزب عام ٢٠٠٠م، «إن أهمية إنتصار حزب الله لا يكمن فقط في ان اسرئيل تلقت هزيمة عسكرية من قوة قتالية عربية، فقد تلقت مثل تلك الهزيمة نسبياً في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ولكن الاهمية في انه يحدث لأول مرة (في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي) ان تُجبر إسرائيل بالقوة المسلحة على الانسحاب من أرض إحتلتها في حرب ضد العرب»^(١).

المبرر الرابع: السرية والكتمان منقطعا النظير الذان تجلب بهما الحزب في إدارة للصراع مع اسرئيل بشكل حيرّ الاعداء والاصدقاء، إذ ضرب أتباع حزب الله أروع الامثلة في القدرة على التكتّم المتعدد التمظهرات، سواءاً أكان على صعيد العمل الاستخباري وجمع المعلومات والتحرك التكتيكي في أوقات السلم^(٢) والحرب^(٣) أو في غيره من الاصعدة، فكما هو بيّن في عملية صنع القرار،

(١) عبد الاله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص٩.

(٢) توجد الكثير من الامثلة على الباع الطويل والاجادة الفائقة للحزب في تمثّل السرية في العمل، إذ كشف أحد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية والمكلف بمراقبة ومتابعة «الحاج رضوان - عماد مغنية» أنه عانى الكثير وتجشم صعوبات جمّة في سبيل جمع المعلومات عن عماد مغنية لكنه فشل، بشكل حيره كثيراً، وكمثال آخر، فقد أجرت قناة المنار الفضائية لقاءً مع جيران أحد عناصر الحزب الذي أسّشهد على يد الموساد الاسرائيلي، فأجاب جيرانه انهم لم يكونوا يعرفون عنه سوى الخير والاحسان وانه يعمل كاسباً في أحد المجالات لا غير، وهذا ما يكشف قدرة كبيرة من رجالات الحزب في المحافظة على سرية نشاطاتهم.

(٣) تعجب الكثير من القادة العسكريين الاسرائيليين إبان حرب تموز ٢٠٠٦م من أنهم لم يتمكنوا من تحديد المواقع الاستراتيجية التي يهجم منها الحزب وينفذ عملياته العسكرية خلال الاشتباك الحربي آنذاك، ينظر:

Israel Conflict, ١st Edition, Goerge Home Printing , . David Hopesreed, the Arab Paris , ٢٠٠٨p١٢.

لا سيما خلال الحروب، انه كلما قلت المعلومات التي يحصل عليها صانع القرار، وكلما انطوت على درجة كبيرة من التشويش وعدم الدقة، كلما كان القرار المتخذ بصدها غير صائب واقرب الى الفشل في النتائج المرجوة خصوصاً في الظروف الضاغطة والمستعجلة التي تتطلب بتاً سريعاً وعاجلاً، بما يقود الى مردودات عكسية غير محمودة العقبي، وهذا عين ما حصل مع إسرائيل في مجابهاتها ضد حزب الله الذي تمكن من تشويشها بشكل أظهر صراعات داخلية بين ساسة الكيان، كل صار يلقي باللائمة على سواه محاولاً إبعاد سمة الفشل عن محيطه.

المبرر الخامس: لا ريب في أن للقيادة كبير الأثر على مسار الجماعة، اية جماعة، فكيف بحزب يقع على تخومه الجغرافية عدو كإسرائيل، وإذا ما تم الإقرار بدرجة كبيرة من الكاريزما القيادية لدى الشهيدين راغب حرب وعباس الموسوي، فإن مما لا شك فيه ان حسن نصر الله قد تجاوزهما بخبرته وتلك الهالة الكبيرة من الكاريزما التي يتمتع بها بشكل حير الكثيرين، إذ كشف الإعلامي غسان بن جدو عن تعجب المراقبين من ان نصر الله اذا هدد الخصوم بصوت مرتفع فإنه يمارس حرباً نفسية عليهم، وإذا هدد بصوت منخفض فإنه مُقدمٌ على فعل ما يهدده!!^(١)، وهذا الامر بطبيعة الحال يتطلب مقدرة غير طبيعية على التحكم بالخطاب الذي إعتاد الناس على معاينة نصر الله وهو يخطب بإنسيابية ولباقة كبيرتين، وقد ألهمت الخصائص الشخصية لحسن نصر الله في السلم والحرب المنضوين تحت لواء حزب الله بدرجة جعلتهم يرون فيه قدوة لهم في التضحية والاستبسال في صون الحرم والمقدسات، ويكفي لاثبات ما يملكه نصر الله من مؤهلات جعلته يسهم الى حد

(١) ينظر الموقع الالكتروني لقناة الميادين الفضائية على الانترنت: www.almayadeen.net

كبير في منجزات الحزب وتحقيقاته ان نذكر ما جرى بُعيد إستشهاد ولده هادي ورفاقه (إستشهدوا عام ١٩٩٧م)، إذ يقول حسن نصر الله «عندما إستشهد هادي ورفاقه حاولتُ ان أتدخل لتعديل البرنامج بإلغاء مجلس العزاء حتى لا يفترض البعض أنه قد أُقيم خصيصاً من أجل هادي ورفاقه، فليست هذه طريقة مناسبة في إستقبال الشهداء، الشهيد لا يُكى عليه، بل هو المثل والقُدوة ومصدر العزة، وكان عليّ ان أخطب بعد مجلس العزاء، وحين وقفت على المنصة واجهتني عشرات الكاميرات التلفزيونية بالمصابيح الكهربائية الهائلة الطاقة، وقد كان الحر فوق الإحتمال، خصوصاً وأن هذه الكشافات تضخ حرارة شديدة، إضافة الى انها تضايق البصر، لا سيما بالنسبة لمن يستخدم النظارات مثلي، بدأتُ خطابي بالمعتاد في مناسبات كهذه... وفي لحظة معينة شعرت أنني لم أعد أرى، إذ كان العرق ينهمر على وجهي غزيراً، ويغطي زجاج النظارتين، هممتُ بأن أمد يدي الى علبة المحارم على الطاولة أمامي كي أمسح العرق، أقله عن نظارتي، لكنني فكرتُ ان بين هذه التلفزيونات من هي أجنبية الهوية، وربما يبيع بعضها إنتاجه لإسرائيل، وسيفترض الجميع انني امسح دمعي لا عرقي اذا أنا أخذتُ منديلاً ومررته على وجهي، جمدتُ يدي، وفضّلتُ أن أسبح بعريقي على ان أعطي العدو صورة الأب المفجوع يقف على المنصة باكياً بكّره، بينما هو يدعو الاخرين الى الشهادة، فما أنا إلا واحد من أهل الشهداء»^(١)، هكذا تتضح إحدى صور الإبداع الكارزمي في تفكير

(١) طلال سلمان، حزب الله - التاريخ والرمز، في (صورة المقاومة في الاعلام - حزب الله وتحرير جنوب لبنان) تحرير: محمد محسن وعباس مزنر، ط١ ٢٠٠١م، مركز الدراسات الاستراتيجية

وسلوك حسن نصر الله، إذ يأبى البكاء، بل ما يُحِيل للآخرين أنه بكاء، على ولده البكر ما دام الامر سيعني، بدرجة من الدرجات ولو بحساب الاحتمال، ضعفاً وإنهياراً، علماً ان البكاء في مثل هذه الحالات قد لا يكون ضعفاً بالتصور الانساني العام لوالد فقد ولده، بيد انه في منظومة نصر الله يتحول الى قمة الضعف والاهتزاز ما دام الامر يتعلق بقضية سامية أقصت بسموها كافة الانحيازات والانتهايات الجزئية الاخرى، وأمام قيادة كارزمية كهذه يغدو الانتصار مسألة وقت ليس إلا في حساب الرهان ضمن سياق المواجهات بين الحزب واسرائيل.

المبرر السادس: الدعم الشعبي غير المحدود الذي قدمته الشعوب العربية والاسلامية للحزب في مواجهاته المتكررة مع اسرائيل، بالشكل الذي أضاف زخماً معنوياً كبيراً، ودعماً اقتصادياً لا بأس به عبر التبرعات التي تبرعت بها الجماهير الداعمة للمقاومة والممانعة، وللآن ما زالت صورة تلك المرأة المسيحية اللبنانية تقف بإفتخار بمخيلتي وأنا أراها تفتخر بحزب الله، وتدعمه بكل شيء، حتى أنها طلبت ان يقدم لها السيد نصر الله عباءته الشخصية من أجل التبرك بها «مشأن أتمسح بيها أنا وولادي».

بل ان الدعم الشعبي الساند لحزب الله ومواقفه لم ينحصر ضمن النطاق الجغرافي للدول العربية والاسلامية، وإنما تعداها في اوربا والامريكيتين، لاسيما في امريكا اللاتينية التي تجمع شعوباً لطالما تلوعت بمرارة الاحتلال، وتلفعت بلبوس الحكومات الاستبدادية التي هي بحقيقتها صنيعه الاستعمار، وهكذا تمكن حزب الله من توظيف زخم هذا الدعم الكبير وغير المحدود من شعوب العالم المختلفة في قضيته المصرية التي تمكن من ان يحقق فيها إنتصارات عجزت عنها الدول الاثنين والعشرين التي هي مجموع أعضاء جامعة الدول العربية، وعلى الرغم من سعي

بعض الانظمة العربية والاسلامية الى فك الارتباط وفصم عرى التعانق بين الشعوب وهذا الحزب، إلا انها لم تتمكن من إضعاف إرادة الشعوب وثني عزميتها لأن الشعوب، كما ردد محمد باقر الصدر (١٩٣٥ - ١٩٨٠م) أقوى من الطغاة، قد تصبر لكنها لا تستسلم، فظلت وتظل الشعوب وفيه لقضية الحزب مهما حاولت الانظمة ان تبعدها عنه، خصوصاً محاولاتها بعد دخول الحزب ضمن معادلة القتال في سوريا وإعادة كفة ميزان القوى لصالح النظام السوري.

المبرر السابع: كما يمكن ايراد الواقعية السياسية المنبثقة من إدراك حزب الله لتنوع مظهرات المقاومة كأحد العناصر الفاعلة في تبرير إنتصاراته، فالمقاومة لا تعني حمل السلاح والولوج داخل وطيس حرب مع الخصوم فقط، وإنما المقاومة قبل كل شيء هي «فكرة» يجب تمثيلها بمختلف تجلياتها، وهي معتقد حريّ بالجميع ان يؤمنوا به، لاسيما وأن المقاومة شعار المستضعفين، إن جاز التعبير ولاق، لا يمكن ان يتم إبتساره ضمن نطاق الميدان العسكري، وإنما لا بد من التعاطي معه في مختلف الميادين، وقد كانت إسرائيل تتصور ان حزب الله رغم إجادته القتال العسكري، سينكفي على نفسه في مجال السياسة والثقافة وغيرها، لكن تصورهما فشل أيضاً كما فشلت هي في كسر عزيمة المقاومين، إذ «يشير حزب الله الى ان مسار المقاومة والممانعة في طوره التصاعدي الذي يستند الى انتصارات عسكرية ونجاحات سياسية، والثبات في المواقع والمواقف السياسية رغم ضخامة الاستهداف وجسامة التحديات»^(١)، فشارك في الحياة السياسية بإيجابية، وخاض معترك الإنتخابات، ودخل الى البرلمان، بل تحالف مع «أمل»

(١) محمد حسين فياض، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩.

ومع بعض اليساريين في الجنوب في الانتخابات التشريعية، بل قدّم مرشحين مسيحيين^(١)، كما وأكد الحزب على انه يريد لبنان واحداً موحداً، ويرفض أي شكل من أشكال التقسيم او (الفدرلة) الصريحة او المقنعة^(٢)، خصوصاً اذا تم تمرير التقسيم تحت أغطية الفيدرالية بوصفها توزيع لسلطات الدولة، في حين ان السر الكامن وراءها تقسيم لبنان الى أديانه وطوائفه وأعرافه.

كما أجاد حزب الله في تنويع دوره المقاومي، إن جاز التعبير ولاق، ليشمل بالإضافة الى العسكري والسياسي، المقاومة الاجتماعية والثقافية والتربوية والاعلامية من خلال المؤسسات العديدة التي أنشأها ووسائل الاعلام التابعة له كجريدة العهد وقناة المنار الفضائية وغيرها من مؤسسات ناشطة في حقول التربية والمساعدات الاجتماعية وغيرها^(٣). لقد أسهم هذا التنوع في المقاومة في نجاح حزب الله في مشروعه الممانع للضغوط الدولية المدفوعة بالضغوط الاسرائيلي، وأظهر الحزب بوصفه موضوعاً تمكنت من ان توجد لذاتها موقعاً استراتيجياً ضمن تراتبية حركات المقاومة في العالم، لاسيما تلك القليلة منها التي كللت جهودها بطرد المحتل من الارض، وردعه عن تكرار مساعيه للعودة لممارسة الاستيطان من جديد.

وعبر هذا التمهيد يتم الدخول الى فصول هذا الكتاب المتمضن لمجموعة من البحوث الاكاديمية التي كتبها مجموعة من الاساتذة المتخصصين بالعلوم السياسية، بدءاً بالبحث الأول الذي كتبه (أحمد حامد الهذال) تحت عنوان (البنية

(١) عبد الإله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٣) طلال سلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

السياسية الفكرية لحزب الله) ليليه ما تناوله (عدي حسين) بعنوان (الدور السياسي للنخب السياسية الشيعية في إطار النظام السياسي اللبناني/ حزب الله إنموذجاً)، ثم عالج (أسعد كاظم شبيب) الموضوع من لحاظ (موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية)، في حين كتبت (زينب عبد الكريم التميمي) عن (تأثير شخصية حسن نصر الله في الانتصارات اللبنانية على إسرائيل) أما (حسام مطر) فقد عالج (الدور الاقليمي لحزب الله - المحددات والقيود/ الحرب السورية إنموذجاً)، بينما قام (حيدر عبد الرزاق) بالكتابة عن (دور حزب الله في تغيير ميزان القوى في سوريا)، أما (حيدر زاير العامري) فقد كتب عن (إستراتيجية الردع لحزب الله بين التأييد الشعبي والرفض الرسمي العربي)، وأخيراً تناول (سلام شهيد العيسى) (موقفَ حزب الله من القضية الفلسطينية).

محمد هاشم البطاط

بغداد ٢٠١٤

البنية الفكرية السياسية لحزب الله في لبنان

أمجد حامد الهذال

المقدمة

تحظى دراسة الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط عموماً، والوطن العربي خصوصاً، باهتمام واسع من قبل باحثين متخصصين عرب وأجانب، وبغض النظر عن سرد الكتابات بهذا الخصوص، يبرز الكتاب القيم (خلاصات أهم ما كتب عن الجماعات الإسلامية)* الذي يبيّن جانباً مهماً من هذا الاهتمام. ويرجع السبب في ذلك إلى البعد التأثيري والمحوري لهذه الحركات على الواقع السياسي والاجتماعي لحاضنتها المجتمعية.

(*) كتاب موسوعي جاء في تسعمائة صفحة، صدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث في دبي، وهو يعني بالحركات والجماعات الإسلامية في العالم. وبما أن الكتب التي صدرت في مختلف المكتبات حول الحركات الإسلامية وعددها أكثر من ٦٥ كتاباً تشكل مرجعاً أساساً للباحثين؛ قام المركز بإعداد قراءات في بعض الكتب التي تتناول الشأن الإسلامي بمختلف مجالاته، من المؤسسات الدينية إلى الحركات الإسلامية إلى جماعات العنف، إلى الجماعات المتشددة، والمفاهيم القتالية، وهي ملخصات تستعرض أهم ما ورد في الكتاب المتناول، ما بين عرض للفكرة وسرد لتاريخ أو موجز لجماعة أو حركة. مجموعة من الباحثين والمختصين، خلاصات أهم ما كُتِبَ عن الجماعات الإسلامية، ط١، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي. الإمارات، ٢٠١١، المقدمة وما يليها.

ولا غرو أن حزب الله، بوصفه جزءاً من هذه الحركات التي بات يُطلق عليها بـ «حركات الإسلام السياسي»، له دور بارز ومهم في الحركة الجهادية والسياسية اللبنانية، لما يمثله من أطروحة فريدة حاولت أن تبرز بوثبات مدروسة لتخترق الجدار اللبناني بعد أن استحوذت عليه توجهات معيّنة احتكرت التمثيل الطائفي في لبنان على مدى سنوات، لذا فحزب الله ظاهرة تستحق الدراسة وعلى مختلف الصعد والمجالات (الفكرية والسلوكية)، بصرف النظر عن المواقف المبدئية تجاه الحزب من قبل بعض المختصين والمفكرين، معارضةً وتأييداً، فهذا ليس مجال بحثنا.

ولعل المتتبع لمسيرة ومنهج حزب الله يدرك الحاجة الضرورية لتسليط الضوء عليه بين الفينة والأخرى، وهذا التركيز متأً من نقطتين لافتتين اتفقت عليهما غالبية الكتابات التي تناولت التمهصلات الفكرية للحزب ومقاومته: فالأولى، أنه - حزب الله - الحركة الإسلامية الوحيدة في المنطقة التي حققت انتصارات واضحة على العدو «الإسرائيلي» بكامل جبروته وقوته وآلته العسكرية القاتلة. والنقطة الثانية، هي أنه من أكثر الحركات والأحزاب السياسية الإسلامية مرونةً ودينامية، فقدرتة على التكيف والإنسجام «المنضبطين» مع ظروف المرحلة ساعدته على الديمومة والاندماج المجتمعي وتخطى في كثير من الأحيان البعد الطائفي الذي - عادةً - ما قوبل الأحزاب الإسلامية مما جعلها تقع في فريسة التفوق الطائفي الذي طالما تجنبه الحزب عبر ممارسات تخطت الطابع الطائفي في بلد عانى طوال خمسة عشر عاماً من الحرب الأهلية.

من هذه المنطلقات وغيرها يجدر بنا إعادة قراءة التجربة الفكرية التي خاضها الحزب، وصراعه الداخلي بين العسكري والسياسي، وبين الأصولية

الإسلامية والمتغير السياسي وميكانزمات المواءمة بينهما، ونحاول هنا الابتعاد عن رصد حركاته الميدانية وسلوكه العسكري فهذه الموضوعات تكفلت بها عشرات الكتابات العربية والأجنبية التي صدرت خلال فترات زمنية مختلفة ورصدت بشكل تفصيلي تكتيكات واستراتيجيات الحزب ومقاومته للاحتلال الإسرائيلي.

قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

تضمن المبحث الأول أبرز المرتكزات الفكرية ومشروع الدولة الإسلامية لحزب الله، وجاء في قسمين: تناول الأول منه أبرز المرتكزات الفكرية العامة لحزب الله، في حين تناول القسم الثاني منه، مشروع إقامة الدولة الإسلامية عند الحزب وما يتطلبه هذا المشروع من متطلبات والبحث في أدوات إقامة هذا المشروع.

أما المبحث الثاني فتناول موضوعه ولاية الفقيه وإشكالية العلاقة بين حزب الله وإيران؛ وجاءت في ثلاثة أقسام، تضمن القسم الأول تأصيل نظري لمفهوم ولاية الفقيه وتم التركيز على التنظير الفكري الذي جاء به الإمام الخميني، كما تضمن هذا المبحث التطرق إلى هذا المفهوم بوصفه الأساس الفكري - السياسي لحزب الله، وتناولنا في القسم الثالث إشكالية العلاقة بين حزب الله وإيران كون الأخيرة تمثل الامتداد الفكري والسياسي للحزب.

وقد تناولنا في المبحث الثالث مشروع المقاومة فكرياً لدى حزب الله، كما تضمن هذا المبحث مديات الواقعية السياسية التي تحلى بها الحزب التي أفرزت المشاركة السياسية في العملية السياسية اللبنانية بعد حين.

المبحث الأول: أبرز المرتكزات الفكرية ومشروع الدولة الإسلامية لحزب الله

المرتكزات الفكرية العامة:

يتطلب تسليط الضوء على أبرز المرتكزات الفكرية لحزب الله، الرجوع إلى المصادر الرسمية للحزب، وتنظيرات القيادات الفاعلة فيه، فوفقاً لذلك تشكل (الرسالة المفتوحة)^{*} أبرز وثيقة رسمية صادرة عن حزب الله - أهم مصدر يحدد المعالم الأيديولوجية والجهادية والسياسية للحزب الوليد آنذاك، إلى جانبها (الوثيقة السياسية) التي أصدرها الحزب عام ٢٠٠٩؛ كما أن لقيادات الحزب البارزة دور مهم في إيضاح متبنياته الفكرية والأسس العقائدية، ويبرز في هذا الإطار كتابات الشيخ (نعيم قاسم)^{**} فضلاً عن الرجوع إلى أدبيات بعض القيادات والكتاب المقربين من الحزب.

(*) أصدر حزب الله في اجتماع رسمي في ١٦ شباط ١٩٨٥ وثيقة أطلق عليها (الرسالة المفتوحة)، أعلن فيها للمرة الأولى عن هويته واستراتيجيته وبرنامج الأيديولوجي، كان هذا الاجتماع قد عقد بمناسبة الذكرى الأولى لاستشهاد الشيخ (راغب حرب) في حسينية (الشيخ) في ضاحية بيروت الجنوبية، ويمكن أن تعد هذه الرسالة (المانيفست السياسي) لحزب الله. للمزيد يُنظر: مسعود أسد الله، الإسلاميون في مجتمع تعددي (حزب الله في لبنان نموذجاً). ت: دلال عباس، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، ط١ ٢٠٠٤م، ص١٦١.

(**) يتأسس الشيخ (نعيم قاسم) موقع نائب الأمين العام لحزب الله، وذلك منذ اقرار هذا المنصب في الهيكلية عام ١٩٩١ وحتى الآن، فهو بالإضافة إلى علومه الدينية، حاصل على شهادة الإجازة في الكيمياء من الجامعة اللبنانية، من مواليد عام ١٩٥٣ كفرصلا - جنوب لبنان. عمل مع الإمام موسى الصدر في بداية حركة المحرومين، وأصبح عضو اللجنة المركزية لحركة أمل عام ١٩٧٨. ترك الحركة عام ١٩٨٠، لديه مؤلفات دينية وسياسية. عبد الغني حميد، (حزب الله: التأسيس، والمرجعية، والمسارات)، الحركات الإسلامية في الوطن العربي، مجموعة من الباحثين، مج٢، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م، ص٢٠٧.

وبتقييم عام وقراءة موضوعية نلتمس في (الرسالة المفتوحة) غياب لغة الدبلوماسية في أول خطاب رسمي للحزب، وكوثيقة تحدد الملامح الأيديولوجية العامة أظهرت الرسالة خطاباً هجوماً عسكرياً واضحاً، فقد برزت عناوين حاولت أن تؤكد الطابع العسكري للحزب، في ظل عدم التركيز على العملية السياسية اللبنانية، فتصدرت عبارات: العالم المستكبر متفق على حربنا، أمريكا وراء كل مصائبنا، لا خيار لنا إلا المواجهة، أعداؤنا الأساسيون، إسرائيل يجب أن تزول... وقد تُبرر هذا الرؤية بطبيعة الظروف التي ولد من رحمها حزب الله. وإحدى أبرز النقاط اللافتة التي ركّز عليها الحزب في بيان متبنياته الفكرية العامة هو «أهمية المشروع» الذي يشير إلى إهمال الحدود الضيقة التي اصطنعها الاستعمار والعمل في إطار الفضاء الواسع للأمة الإسلامية كجسد واحد. فتحت عنوان (من نحن وما هي هويتنا؟) عبر الحزب عن هذه الرؤيا: (إننا أبناء أمة حزب الله نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الإسلام في العالم) مؤكداً: (نحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً.. بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين في كافة أنحاء العالم برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام الذي أكمل الله رسالته على يد خاتم أنبيائه محمد ﷺ^(١) إن مبدأ «الأمية» وإن كان توجهاً تقليدياً لدى الكثير من الجماعات الإسلامية ودالة طوباوية يصعب تحقيقها، إلا أن حزب الله أراد أن يُبعد عنه شبهة الإنغلاق والطائفية التي ترسم وجه المشهد السياسي اللبناني، لكي يبدو بمظهر وطني لبناني في الفضاء الجغرافي، أمياً لا تحده في الفضاء الإسلامي.

(١) حزب الله، الرسالة المفتوحة، شباط ١٩٨٥.

والمنبع الرئيس لتمويل الحزب فكرياً مجموعة من المصادر الإسلامية: (أما ثقافتنا فمنابعها الأساسية: القرآن الكريم، والسنة المعصومة، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا) ^(١) وترد الرسالة: (أنا مقتنعون بالإسلام عقيدة ونظاماً، فكراً وحكماً، وندعو الجميع إلى التعرف عليه والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيه والالتزام بتعاليمه على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي) فمنظومة الحزب الفكرية لا تنطلق من الإكتفاء بتبني الإسلام وحسب - ديناً ودنياً - إنما تفتح آفاق أخرى لتدعو الآخرين إلى قراءته والتمعن في أبعاده الإنسانية للتعرف عليه والدخول في منظومته.

يحاول الشيخ (نعيم قاسم) تقنين المبادئ المذكورة، ليحدد ثلاث منطلقات أساسية لتأسيس بنية فكرية، لتأسيس مشروع عقائدي جهادي لإعادة رسم معالم الخارطة السياسية اللبنانية: ^(٢)

- ١- الإسلام هو المنهج الكامل الشامل الصالح لحياة أفضل، وهو القاعدة الفكرية والعقائدية والإيمانية والعلمية التي يُبنى عليها هذا التشكيل.
- ٢- مقاومة الاحتلال الإسرائيلي كخطر على الحاضر والمستقبل، وله أولوية المواجهة، لما له من أثر على لبنان والمنطقة، وهذا يستلزم إيجاد بنية جهادية تُسخر لها كل الإمكانيات للقيام بهذا الواجب.
- ٣- القيادة الشرعية للولي الفقيه كخليفة للنبي والأئمة، وهو الذي يرسم الخطوط العريضة للعمل في الأمة، وأمره ونهيه نافذان.

(١) الرسالة المفتوحة، المصدر نفسه.

(٢) نعيم قاسم، حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل (لبنان ومقاومته في الواجهة)، ط٩، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م، ص ٣٧.

ونلاحظ أن هناك اعتقاد محوري يرى أن وجود الحزب من وجود مقاومته، ويعلو صوت الأخيرة على جميع المشاريع الأخرى، وينبع ذلك من الظروف التي نشأ تحت ظلها، فالحزب يعتقد إن هذا الدور وهذه الوظيفة (المقاومة) ضرورة وطنية دائمة دوام التهديد الإسرائيلي ودوام أطماع العدو في أرضه ومياهه، ودوام غياب الدولة القوية القادرة، وفي ظل الخلل في موازين القوى ما بين الدولة العدو؛ فإن التهديد الإسرائيلي الدائم يفرض على لبنان تكريس صيغة دفاعية تقوم على المزاجية بين وجود مقاومة شعبية تسهم في الدفاع عن الوطن في وجه أي غزو إسرائيلي، وجيش وطني يحمي الوطن ويثبت أمنه واستقراره. ^(١) وهذا الخطاب يؤشر إلى ضرورة نفترض وجود علاقة تفاهمية بين فصيل مسلح يرفع شعار المقاومة وبين جيش وطني يساعد ويعاضد المقاومة، حرص الحزب على إيجادها فيما بعد.

من ثم، كما يعبر أحد الباحثين، فإن حزب الله هو أولاً وقبل كل شيء حركة جهادية تعمل بالسياسة وليس حزباً سياسياً يمارس الجهاد. ^(٢) ويرتكز هذا المفهوم في أذهان غالبية قيادات الحزب؛ إذ كتب الشيخ (حسن حمادة) (أحد مسؤولي حزب الله والمدير العام لمؤسسة الشهيد ذات الأهمية البالغة لدى الحزب) في كتابه «سر الانتصار»: (حزب الله كحركة سياسية وعقائدية تقوم على أساسين: الإيمان والجهاد. فالإيمان والجهاد عنوانان أساسيان يشكلان الخلفية البارزة في ثقافة

(١) الوثيقة السياسية لحزب الله لعام ٢٠٠٩م، نعيم قاسم، المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

(٢) أحمد نزار حمزة، على طريق حزب الله، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م،

حزب الله، ويطيغيان على كل معالم المشهد. ويدمغانه بلونهما الثابت ويعتبران الخيط الذهبي لنسيج هذا الحزب، والروح الداخلة في كل مفاصله، من هيكلياته ووحداته إلى مؤسساته، يشمل ذلك المحازبين، من القيادة إلى القاعدة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً^(١).

وإيجازاً يتأسس حزب الله، كبنية عقائدية على مرجعية الإسلام من خلال نظرية ولاية الفقيه، لذلك هو حزب يعتمد الجهاد مرجعية فكرية وفقهية وتربوية. والتكليف الشرعي منهجاً وسلوكاً وإطاراً ضابطاً للأفراد والجماعة.^(٢) بالتالي فالحزب لم يعر مسألة التفصيل في المعتقدات الفكرية العامة اهتماماً واسعاً بقدر ما ركز التفكير حول حصر هذه المعتقدات بمحاور مختصرة، تاركاً التفاصيل للظروف الموضوعية لكل مرحلة من مراحل المقاومة اللبنانية.

مشروع إقامة الدولة الإسلامية: الوسائل والمتطلبات

غني عن القول إن الدولة العادلة المثالية بالنسبة إلى حزب الله هي الجمهورية الإسلامية.^(٣) إذ يمثل إقامة الدولة الإسلامية البعد المركزي في أيديولوجية حزب الله، فقد أشار إليها في أول أدبياته السياسية بوضوح، كما مرّ سابقاً، مشروطاً بقبول الناس لها، ومن خلال التكليف الديني للولي الفقيه.^(٤) فلم تغب

(١) حسن حمادة، سر الانتصار، ص ٣٩، نقلاً عن: فضيل أبو نصر، حزب والله: حقائق وأبعاد، ط ١،

الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ٢٠٠٣م، ص ٢٥.

(٢) عبد الغني حميد، (حزب الله: التأسيس، والمرجعية، والمسارات)، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠١.

(٣) أمل سعد غريب، حزب الله: السياسة والدين، ط ٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت

- لبنان، ٢٠٠٩م، ص ٩٥.

(٤) عبد الغني حميد، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩٩.

الرؤية التقليدية لدى حزب سياسي إسلامي التي تستند مرجعيته العقائدية إلى الأصولية الإسلامية في بناءه الفكري، لذا لا نتوقع من حزب إسلامي كحزب الله، أن يطرح نظرية سياسية بعيداً عن مفهوم الدولة الدينية.

ف نجد أن الحزب أكد على هذا المطلب عندما قال: (أنا مقتنعون بالإسلام عقيدة ونظاماً، فكراً وحكماً، وندعو الجميع إلى التعرف إليه والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيّه والالتزام بتعاليمه على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي)^(١). وهذا المنظور يبيّن أن الحزب لا يجد حرجاً بطرح هذا المشروع علناً وبكل صراحة في مجتمع متعدد الطوائف والأديان. ويذهب أحد الكتّاب في تفسيره لتبني الحزب لمشروع الدولة الإسلامية بأنه عند تأسيسه، تبني حزب الله مبدأً أيديولوجية إسلامية شاملة بوحى إيراني. ودعت هذه الأيديولوجية إلى إقامة دولة في لبنان على أساس الشريعة الإسلامية، بحيث تكون هذه الدولة جزءاً لا يتجزأ من دول إسلامية عالمية. وبحسب هذه الأيديولوجيا، يكون مركز هذه الدولة في إيران ويكون حكمها الوليّ الفقيه، أي القائد الخميني. وفعلاً، رفض حزب الله الهوية اللبنانية وحقّ النظام اللبناني (الخاضع للسيطرة المسيحية) في الوجود.^(٢)

والسؤال الذي يُمكن طرحه في هذا الإطار: هل ثمة آليات وأدوات يطرحها الحزب لتحقيق مشروع الدولة الإسلامية؟ ونجد الإجابة عند أحد

(١) الرسالة المفتوحة، مصدر سبق ذكره.

(٢) يائير متريلي، حزب الله والحركات الإسلامية، الكابوس الشيعي، مؤتمر هرتسليا السنوي (١١)

١، باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت - لبنان، ٢٠١٢م، ص ١٩.

الباحثين^(١) فالخيار الأول، عندما يقرر الحزب بأن الخيار الجهادي يقر اللجوء إلى الكفاح المسلح (القتال) أسلوباً لقيادة الدولة الإسلامية. لنفترض أن الظروف ملائمة جداً، خاصة معادلة السلطة، الأكثر احتمالاً هو لجوء حزب الله إلى الجهاد والكفاح المسلح لتحقيق أهدافه.

أما الخيار الثاني، يستخدم الحزب الأسلوب البرغماتي التدريجي أو ما يسمى بالبرغماتية السياسية معانٍ غير جهاديّة لإقامة نظام إسلامي. يعمل حزب الله بهذا الأسلوب إلى حدّ ما ضمن حدود الشريعة كما حددتها السلطة.

ومن خلال ممارسات الحزب خلال أكثر من عقدين لجأ إلى استخدام الأسلوبين معاً؛ من خلال مرحلتين مختلفتين مختلفتين من هذه الفترة التاريخية، وفقاً للتحوّلات التي طرأت على ظروف الحزب، فقد أظهر في فترة الثمانينات «ممارسات راديكالية»، كان سعي بعض مؤيديه لتطبيق الأحكام الإسلامية إلزامياً، في المناطق التي كانت خاضعة لنفوذه، حتى تلك التي يسكنها السنّة أو المسيحيون. ففي شباط ١٩٨٤، حين سيطر المقاتلون الشيعة على بيروت الغربية، أقدم شباب حزب الله على تأسيس مصليّات في نقاط مختلفة في هذه المنطقة، وزيّنوها بصورة الإمام الخميني، ثم تحوّلت هذه المصليّات إلى أماكن لإجراء المراسم الدينية كصلاة الجمعة، وإقامة الإحتفالات ومراسيم العزاء الدينية. علاوةً على ذلك، أراد بعض أنصار حزب الله فرض «أحكام الشرع» على الأهالي، بمن فيهم المسيحيين. فمنعوا أصحاب محال البقالة من بيع المشروبات الكحولية، وعمدوا إلى نسف بعضها ليلاً. وراقبوا رواد المطاعم لنهيم عن

(١) أحمد نزار حمزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

تناول الكحول، وفرضوا على المسابح الخاصة إغلاق أبوابها في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم.^(١)

بعد انتهاء الفتنة مع حركة أمل ٨٨ - ٨٩ استولى حزب الله على مؤسسات الدولة اللبنانية في هذه المناطق (بعلبك، الهرمل، ضواحي بيروت الجنوبية، وإقليم التفاح) وفرضت بالقوة الشريعة الإسلامية. كان ذلك منعكساً بوضوح في سلوك يستلزم تلقين الأفراد الذين حياتهم اليومية تحذو سلوك النبي والائمة كما وصفها الولي الفقيه، منع حزب الله أيضاً بيع الكحول ولحم الخنزير ومنع المملدات المحرمة، وجرى ضبط الاختلاط بين الأجناس وفرض على النساء تغطية أجسادهن بلباس فضفاض ورؤوسهن بحجاب للحفاظ على الكرامة وتجنب إمكانية الإغواء، وقد استبدلت القيم والعادات الغربية بمناصرة واضحة لأركان الإسلام الستة.^(٢) إن هذه الممارسات وغيرها لا تعكس الخطاب الفكري الذي طرحه الحزب عند تأسيسه بعد أن أكد إن شكل النظام السياسي اللبناني يحدده الشعب نفسه، وعبر عن عدم نيته فرض النظام الإسلامي بالقوة.^(٣)

ولا يكتفي عند تقريره بحرية الشعب اللبناني اختيار نظامه، بل يذهب الحزب إلى أبعد من ذلك عندما يحرص على التمييز بين عنصرين من توجهه: الرؤية الفكرية من جانب والتطبيق العملي من جانب آخر، فبيّن أنه في الرؤية الفكرية: يدعو الحزب إلى إقامة الدولة الإسلامية، ويشجع الآخرين على قبولها

(١) وضّاح شرارة، دولة حزب الله، ص ٢٣٥، نقلاً عن: مسعود أسد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٧.

(٢) أحمد نزار حمزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨.

(٣) الرسالة المفتوحة، مصدر سبق ذكره.

لما تمثل من إسعاد للإنسان. أمّا على المستوى العملي، فهذا يتطلب وجود الأرضية التي تتقبل إنشاء هذه الدولة، والأرضية هي هذا الشعب، الذي من حقه أن يختار ما يريد تحكيمه في حياته.^(١)

وطرأت تحولات على ممارسات حزب الله بعد اتفاق الطائف، منها التعديل في نظرة الحزب إلى تطبيق الأحكام الإسلامية في المناطق الخاضعة لنفوذه، فالمرقب في الوقت الحاضر، حين يرى للمرة الأولى هذه المناطق وبخاصة ضاحية بيروت الجنوبية، يصاب بالحيرة من مدى التسامح والتساهل اللذي يمارسها الحزب في هذه المنطقة: تجول النساء غير المحجبات في الشوارع، بيع أنواع الأشرطة الموسيقية دون حرج، الاختلاط بين البنين والبنات.^(٢)

كما انعكس التغيير في قيادة الحزب الصاعدة، خصوصاً بعد انتخاب السيد (عباس الموسوي) خلفاً للشيخ (صبحي الطفيلي) - الذي يُصنف من التيار الراديكالي في الحزب - فقد دفع الموسوي إلى تغيير نمطية استراتيجية المدة الماضية، من السعي المستمر لإقامة الجمهورية الإسلامية في لبنان عن طريق الكفاح المسلح، إلى الاستعداد للمشاركة في النظام السياسي اللبناني.^(٣) لتبدأ مرحلة جديدة للعودة إلى المبادئ الأساسية التي أطلقها الحزب، وليتم التركيز على نقطتين أساسيتين: الحفاظ على مشروع المقاومة، والمشاركة السياسية في النظام الديمقراطي اللبناني.

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٥١.

(٢) مسعود أسد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٦.

(٣) ماغنوس رانستورب، الوجه المتغير لحزب الله، ص ٩، نقلاً عن: مسعود أسد الله، مصدر سبق

وهذا ما بدى واضحاً في برنامجه الانتخابي (حزب الله) الذي طرح في العام ١٩٩٢، مطالب عديدة، تعدّ من قواعد اللعبة الديمقراطية، وأهمها احترام الحريات السياسية والإعلامية وحرية التفكير والتعبير، وحرية العمل السياسي، وعدم خضوع وسائل الإعلام الخاصة لرقابة الحكومة.^(١)

ويحلل البعض أسباب التحول في مواقف الحزب اتجاه إقامة الدولة الإسلامية، بعد أن يُرجعه إلى ظروف الواقع اللبناني بعد الحرب الأهلية، أجبر حزب الله على الكف عن الدعوة إلى إقامة «حكم إسلامي في لبنان»، وعلى الإعلان، أن ذلك الشعار إسلامي، يفتقد إلى مقومات التنفيذ.^(٢) كما أن ظروف موضوعية دفعت الحزب إلى التفكير بالإستراتيجية التدريجية السلمية للانتقال إلى الدولة الإسلامية وكما تصف باحثة فإن مثل هذا المشروع لا يرفضه المسيحيون والسنة والدروز اللبنانيون فقط، بل حتى جزء كبير من الشيعة. واستناداً إلى ما ورد في دراسة (جوديث حريق) سنة ١٩٩٢، فإن ١٣٪ فقط من الشيعة أيّدوا إنشاء جمهورية إسلامية في لبنان.^(٣) وربما لا تعبر هذه النسب عن حقيقة اتجاهات الرأي في تقبل فكرة الدولة الإسلامية، إلا أن الواقع اللبناني يشير إلى صعوبة إقامة هذا المشروع، في ظل غياب الأرضية المجتمعية الغالب على طبيعتها التعدد والتنوع.

(١) حسن فضل الله، الخيار الآخر.. حزب الله: السيرة الذاتية والموقف، ط١، دار الهادي، بيروت.

لبنان، ١٩٩٤م، ص٢١٩.

(٢) مسعود أسد الله، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٩.

(٣) أمل سعد غريب، مصدر سبق ذكره، ص١٢٠.

المبحث الثاني: ولاية الفقيه وإشكالية العلاقة بين حزب الله وإيران

ولاية الفقيه عند الإمام الخميني . تأصيل نظري

يكاد يتفق الباحثون في الفكر السياسي الإسلامي إن الإمام الخميني لم يكن هو المبدع الأول لنظرية ولاية الفقيه، وإنما تطور إطارها النظري من خلال حقب تاريخية مختلفة من تاريخ الفكر السياسي الشيعي، من هنا يحاول أحد الباحثين^(١) ملاحقة التطور التاريخي لنشوء هذه النظرية مرجحاً، إن أول محاولة عملية لإرساء مفهوم ولاية الفقيه محاولة المحقق (الكركي) في القرن العاشر الهجري، إذ استطاع تطبيق نظرية ولاية الفقيه بشكل عملي، فقد تمكن من إقناع الشاه (إسماعيل الصفوي) بشرعية ولاية الفقهاء مستدلاً على ذلك بمقبولة (عمر بن حنظلة). كما تمكن الكركي أن يؤثر على الشاه (طهماسب بن إسماعيل الصفوي) فيدفعه للتسليم بمكانته كنائب عام عن الإمام المهدي، وطلب الإجازة منه لممارسة السلطة.^(٢)

إلا أن الكركي لم يطرحها كمشروع استراتيجي في الفكر السياسي الشيعي، إنما جاءت كضرورة مرحلية اقتضتها الظروف الموضوعية في الدولة آنذاك، وقد شهد القرن الثالث عشر الهجري، وخاصة بعد سقوط الدولة الصفوية، انتعاش المد الأصولي، وهذا ما دل على تطور نظرية (النيابة العامة) من إجازة الملوك إلى تصدي الفقهاء بأنفسهم للحكم، وتجاوز نظرية (الانتظار) والتخلي عنها تماماً...

(١) أحمد جيهان برزك، ولاية الفقيه: قراءة تاريخية، ت: دلال عباس، كتاب المنهاج، ع (١٠) مؤسسة

الغدِير، ٢٠٠١م، ص ٤١٤ - ٤١٦.

(٢) أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط ٢، دار الشورى، لندن،

٢٠٠٥م، ص ٢٦.

الأمر الذي دفع الشيخ (أحمد بن محمد مهدي النراقي ت ١٢٤٥هـ) إلى طرح النظرية في إطار جديد وشامل أكثر تطوراً، تحت عنوان (ولاية الفقيه) وليس تحت العنوان السابق: (النيابة العامة) القائمة على نظرية (الغيبة والانتظار)، حيث نظر النراقي إلى واقع قيام الفقهاء بتشكيل حكومات لا مركزية في بلاد شيعية واسعة.^(١) لم تتطور هذه النظرية فيما بعد إلا على يد الإمام الخميني فقد أخرجها من متون الكتب ووضع أسسها التفصيلية من خلال مجموعة محاضرات ألقى في النجف الأشرف في ستينيات القرن الماضي، في إطار متكامل من خلال طرح مباحث متعدد عن أسباب غياب النظرية السياسية للإسلام، معترضاً على عدم اهتمام العلماء للتصدي إلى السلطة رافضاً فكرة إنتظار الإمام المهدي دون حكومة وترك الأمة الإسلامية بلا سلطة تقود المجتمع. وهذا لا يعني أن فكر الخميني لم يتعرّض إلى تحولات فكرية بين نظريات متعدد وهنا يرصد أحد الباحثين هذا التحول، فيعتقد إن نظرية ولاية الفقيه لدى الإمام الخميني نتيجة تصوّره الفقهي السياسي في النجف لم تكن مطروحة عنده من قبل. إذ أنه كان يملك «نظرية المشروطة» في قم، وقد تعيّر في بداية انتصار الثورة وهجرته إلى باريس وطهران إلى نظرية الجمهورية أو الدور المشرف للفقهاء. وهذه النظرية تبدّلت في أواخر عمره إلى الولاية المطلقة.^(٢)

(١) أحمد الكاتب، المصدر نفسه، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) مصطفى جعفر بيته، الثابت والمتغيّر في فكر الإمام الخميني السياسي، موسوعة الفكر السياسي عند الإمام الخميني (فقه الاجتماع السياسي)، مجموعة من الباحثين، ط ١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٨٤.

فمعه تحوّلت فكرة ولاية الفقيه إلى مفهوم، وذلك من خلال نقل ولاية الفقيه من حيّز الفقه ومسائله العبادية والعملية إلى حيّز علم الكلام ومسائله الاعتقادية، بما يعنيه ذلك من جعل مفهوم ولاية الفقيه جزءاً من أصول الدين لا فروعه، وبما يعنيه ذلك من إخراج مسألة ولاية الفقيه من النطاق البشري الذي يختص به الفقه إلى النطاق الإلهي الذي يختص به علم الكلام.^(١)

ومن خلال تنظيره لولاية الفقيه يحاول الخميني التأكيد على فكرة العلمية في النظرية، فيؤكد أن «ولاية الفقيه فكرة علمية واضحة، قد لا تحتاج إلى برهان، بمعنى أن من عرف الإسلام، أحكاماً، وعقائداً، يرى بدايتها، ولكن وضع المجتمع الإسلامي، ووضع مجامعنا العلمية على وجه الخصوص، يضع هذا الموضوع بعيداً عن الأذهان، حتى لقد عاد اليوم بحاجة إلى برهان.»^(٢) ويحاول في هذا الإطار أن يسرد الأدلة على صحة هذه النظرية من مجموعة روايات جاءت على لسان الأئمة (ع) أبرزها مقبولة عمر بن حنظلة، ويمنح (الخميني) انتباهه إلى المواصفات التي ينبغي أن يتصف بها الولي الفقيه لقيادة الأمة الإسلامية، بالتالي يؤكد^(٣) أنه بصرف النظر عن الشروط العامة كالعقل والبلوغ وحسن التدبير، هناك شرطان مهمان، هما:

١ - العلم بالقانون الإسلامي.

-
- (١) عبد الفني عماد، حاكمية الله وسلطان الفقيه: قراءة في خطاب الحركات الإسلامية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٣٥.
- (٢) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، د. ط، مؤسسة الإمام الخميني الدولية للثقافة والفن والدراسات، د. ت، ص ٩.
- (٣) الإمام الخميني، المصدر نفسه، ص ٤٩.

٢- العدالة.

وهذا التركيز من قبل الإمام الخميني على مواصفات الولي الفقيه ولا سيما منها العلم والتفقه بالقانون والعدالة، مرده وضع نظرية يجمع فيها النظري إلى العملي في وحدة متكاملة، لا غرض لها سوى إحياء فكرة الحاكم الشرعي في نفوس المسلمين والعلماء منهم على جهة خاصة.^(١) وهذه الحقائق أرتكز عليها الدستور الإيراني فيما بعد وتحديداً في المادة (١١٠) التي نصت على أنه «في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل، التقي، البصير بأمر العصر، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير».^(٢)

ويتمتع الولي الفقيه في ظل حكومة الإمام الخميني بصلاحيات واسعة ومطلقة، لا تحدها سوى الخصوصية التي يتمتع بها الرسول والأئمة عليهم السلام وقد ركز اهتمامه على هذه الموضوعات من خلال تجذير فكرة الإطلاق في الصلاحيات، وقد أكد هذا المعنى بما لا يقبل مجالاً للتأويل والتحريف بقوله: «إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل، فإنه يلي من أمور المسلمين ما كان يليه النبي صلى الله عليه وآله منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية السياسيّة للناس ما كان يملكه الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام».

(١) حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة: بين النص الثابت والواقع المتغير، ط٢، مركز

دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

(٢) محمد علي التسخيري، حول الدستور الإسلامي الإيراني، ط١، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

الإسلامية، طهران - إيران، ٢٠٠٣م، ص ١٢٠.

على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة.»^(١)

ويستدرك من سوء الفهم الذي قد يحصل، ليفرق بين نوعين من مقاربة الصلاحيات بين الولي الفقيه والرسول والأئمة فيقول: «ولا ينبغي أن يُساء فهم ما تقدم، فيتصور أحد أن أهلية الفقيه ترفعه إلى منزلة النبوة أو إلى منزلة الأئمة لأن كلامنا هذا لا يدور حول المنزلة والمرتبة، وإنما حول الوظيفة العملية»^(٢).

ونظن أن تلبية هذه النقاط المهمة في تفكيك نظرية ولاية الفقيه في فكر الخميني كافياً إلى حد ما، إذ نعتقد أن الكتابات في هذا الإطار كافية ووافية ولم نسع إلا لتوضيح نظرة عامة عن النظرية كي تسهم في فهمها عند حزب الله على ما سيأتي.

حزب الله.. ولاية الفقيه أساس البناء الفكري - السياسي

المحنا في مبحث سابق إن حزب الله يرتكز في متبنياته الفكرية إلى إقامة الدولة الإسلامية في أبعادها المثالية، وكثيرة هي النظريات السياسية الإسلامية التي تؤسس للسلطة في الدولة، وربما لا يحتاج إلى الكثير من التفكير قولنا أن حزب الله يلتزم بمفهوم ولاية الفقيه كمتبني لنظام الحكم في الإسلامي، وكما يشير (عبد الإله بلقزيز) بأن القول هذا ليس محض خيار سياسي، بل هو في عداد الواجب الشرعي.^(٣)

ولكن ما هو المسوّغ الحقيقي لاقتناع الحزب بولاية الفقيه؟ حتى تتفوق عن

(١) الإمام الخميني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

(٢) الإمام الخميني، المصدر نفسه والصفحة.

(٣) عبد الإله بلقزيز، المقاومة وتحريم جنوب لبنان (حزب الله من الحوزة العلمية إلى الجبهة). ط ١.

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م، ص ٥٧.

سائر النظريات السياسية الإسلامية خصوصاً إذا ما أدر كنا أن المصادر الإسلامية الأساسية وأبرزها القرآن والسنة لم تتبنى نظاماً سياسياً أو نظرية سياسية تفصيلية لنظام الحكم، وهذا ما يبرر اختلاف تمفصلات النظام السياسي الإسلامي عند المفكرين الإسلاميين في تعاطيهم مع السلطة السياسية في الإسلام.

ينطلق حزب الله في الإجابة عن التساؤل آنف الذكر بالقول: يحتاج الملّكف إلى مرجع تقليد لمعرفة الأحكام الشرعية وضوابطها، ويحتاج إلى قائد هو الولي الفقيه لتحديد السياسات العامة في حياة الأمة ودور الملّكفين العملي في تنفيذ احكام الشرع المقدس والسهر على تطبيقها في حياة الأمة. وقد تجتمع المرجعية والولاية في شخص واحد. (١) فمرجع التقليد لا غنى عنه عند معتقّي مذهب أهل البيت إلا أن الاختلاف في تبنيهم لمجال صلاحيات - «القائد» أو الولي الفقيه، الذي يقود الدولة الإسلامية؛ ففريق يرى بأن الفقيه له الولاية الخاصة فحسب ويتصرف فقط في الأمور الحسبية، أما الفريق الآخر فيؤمن بأن للفقيه مديات أوسع من الدائرة الضيقة التي وضعها فيها الفريق الأول، إذ يقوم بما قام به الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، كما صرح الخميني، لهذا فإن حزب الله ينطلق في رؤيته السياسية من نقطة جوهرية هي أن للفقيه دور مهم في النهوض بتأسيس الدولة الإسلامية وقيادة الأمة. ويبرر هذا الإلتزام بنظرية الولي الفقيه نعيم قاسم بقوله: «هذه الولاية ضرورية لحفظ وتطبيق الإسلام، فلا يمكن التعاطي مع المشروع الإسلامي الكبير بمبادرات فردية أو أعمال منفصلة عن بعضها البعض، بل لا بدّ من خط عام يربط الأمة عملياً مع بعضها البعض، وهذا الذي يتم من

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢.

خلال قيادة الولي الفقيه ورعايته». (١) بل يذهب قاسم إلى مديات أبعد عندما يقرر بأن الإلتزام بالولي الفقيه عن الذين يتخذونه مرجعاً والذين يقلدون مرجعاً آخر، ويبرر ذلك بقوله: «الأمريّة في المسيرة الإسلاميّة العامّة للولي الفقيه المتصدي». (٢) من ثمّ يعتبر الحزب أن القبول بوجهة النظر هذه - ولاية الفقيه - يجسّد إلتزاماً بجوهر الثورة الإسلاميّة وإعلاناً للولاء المطلق لقائد إيران، الذي يمثّل بشخصه وعلمه وفقهه الديني شخصية الولي الفقيه. (٣)

طاعة الولي الفقيه هي القوّة الدافعة لحياة ونشاط المقاومة للحزب والعالم الذي يعطيها القوّة والأمن. ولولا هذه الطاعة، لما كان الحزب قد حقّق قدسيّته ولا عباً مقاتليه (المجاهدين) ولا بلغ ضفاف الانتصار. (٤) فرمزية الولي الفقيه تتماهى مع اندفاع الحزب الجهادي، فالواعز في تحريك «مجتمع المقاومة» لحزب الله هو ولاية الفقيه وتتفياً في ظل القائد الخميني ومن بعده الخامنئي. وهذا المعنى واضح في خطابات قيادة الحزب، فيكتشف - مثلاً - السيد حسن نصر الله (أمين عام الحزب الحالي) أن مشكلة الأمة الإسلاميّة تاريخياً هو غياب «الطاعة» فيقول: «لو أطاعت الأمة النبي في ولاية علي، لتغير تاريخ الإسلام» وينسب نصر الله نجاح ولاية الخميني بقوة طاعة الناس لها. (٥)

(١) نعيم قاسم، المصدر نفسه والصفحة.

(٢) نعيم قاسم، المصدر نفسه، ص ٨٧.

(٣) يائير متري، حزب الله والحركات الإسلاميّة، الكابوس الشيعي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٤) جريدة بقية الله، العدد ١٢٥، شباط/٢٠٠٥م، نقلاً عن: أوري يوست، حزب الله وولاية الفقيه،

الكابوس الشيعي، المصدر نفسه، ص ٨١.

(٥) نصر الله، من ولاية علي إلى ولاية الفقيه، ص ٢٧، نقلاً عن: أحمد نزار حمزة، مصدر سبق ذكره،

وتتكشف لنا مدى محورية نظرية ولاية الفقيه عند الحزب عندما يقرر نصر الله قائلاً: «العمود الفقري لحزب الله هو ولاية الفقيه، استئصال ولاية الفقيه يصبح حزب الله جسد ميت وحتى جسد مقسم. أمة بدون علي هي أمة بلا روح وأمة بدون الحسين هي أمة بلا روح وأمة بدون ولي الفقيه الذي تتوجب طاعته هي أمة ميتة وممزقة»^(١) وقد بدأ هذا الارتباط منذ اليوم الأول لولادته، وتطور مع مرور الوقت ليصبح ثابتة من ثوابته، بل السقف الوحيد الذي يتحرك بين جدرانها^(٢) وخلاصة القول إن ثابت ولاية الفقيه لا يمكن المساومة عليه، بمعنى أن أي تنظير سياسي خارج ولاية الفقيه لا معنى له عند حزب الله، فهو العقل المفكر لجسد الحزب لوضع المشروع الإستراتيجي، الذي يتحرك من خلاله الحزب لإستكمال مقومات الدولة الإسلامية من جهة، وتعبئة الجسد المقاوم من جهة أخرى، وهذا يدفعنا إلى البحث عن مديات الارتباط بين الحزب وسلطة ولاية الفقيه في إيران، وقدرته على خلق معادلة متوازنة بين الولاء الإيراني والولاء الوطني اللبناني.

إشكالية العلاقة بين حزب الله وولاية الفقيه:

لا جدل بأن الفكر الإمامي الشيعي (الإثنى عشري) يؤمن بأن الإلتزام بأوامر المرجعية الدينية لا يعرف الحدود السياسية بين الدول لذلك يجادل نائب أمين حزب الله (نعيم قاسم) بأن لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته، كما لا

(١) نصر الله، الإمامة والولاية، خطاب غير منشور ألقى في ضاحية بيروت الجنوبية، ٢ حزيران ١٩٩٧.

نقلاً عن: أحمد نزار حمزة، المصدر نفسه، ص ٦١.

(٢) حسن فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

علاقة لموطن المرجع بمرجعيته. فقد يكون عراقياً أو إيرانياً أو لبنانياً أو كويتياً أو غير ذلك، إذ لا دخل لجنسيته بالمواصفات التي يحملها. فهو يحمل الإسلام ويعمل للإسلام. نعم تختلف حدود سلطته بحسب الاستجابة من الأفراد المكلفين.^(١) بذلك فإن أولى العقد لجدلية العلاقة بين الحزب وولاية الفقيه، تجذ حلها في مرتكزات الفكر الشيعي فلا تلازم بين موطن المرجع أو الولي الفقيه، وبين موطن المقلد، فحدود الدولة لا معنى لها عند حزب الله. وهنا يردف قاسم عن تحليل طبيعة هذا التقارب وأسبابه ليؤكد أن نشأة العلاقة بين حزب الله وإيران بسعي الحزب للاستفادة من هذه التجربة الجديدة في منطقتنا، ولتأمين النصير في مواجهته للاحتلال الإسرائيلي. وقد نمت هذه العلاقة بسرعة وثقة.^(٢)

ويحلل أحد الباحثين عن جذور أبعاد لنشأة حزب الله تحت الكنف الوطني في محاولة لإبعاد شبهة الارتباط المباشر بولاية الفقيه في إيران ويقرر: إن جذور حزب الله هي جذور لبنانية، لا إيرانية. تمتد إلى حوالي عشرين سنة قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، بمعنى أنها أقدم من الثورة الخمينية التي أعلن حزب الله تأييده لها منذ تأسيسه رسمياً تحت هذا الاسم عام ١٩٨٥، وأصبحت مرجعيته الرسمية والشرعية، بعد أن كانت جذوره دعوية، ونجفياً عراقية مرجعيته، نسبة إلى حزب الدعوة الإسلامية الذي تأسس في العراق عام ١٩٥٩، ومرجعية الإمام محسن الحكيم هي الأساس.^(٣) في إشارة إلى الحركة التي قادها

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٢) نعيم قاسم، المصدر نفسه، ص ٤٠٨.

(٣) صالح زهر الدين، الحركات والأحزاب الإسلامية وفهم الآخر، ط١، دار الساقى، بيروت - لبنان.

السيد (موسى الصدر) في ستينيات القرن الماضي لخلق معادلة جديدة في العملية السياسية اللبنانية بعد أن اعتقد بغياب التمثيل العادل لشيعة لبنان. ويعتبر البعض الفاعل اللبناني في تأسيس حزب الله، ليعطي للفاعل الإيراني اليد الطولى في تكوين لبناته الأساسية! فيؤكد أنه تم تأسيس حزب الله كذراع استراتيجية طويلة لإيران في قلب العالم العربي عموماً، وفي لبنان على وجه الخصوص. ^(١) ويذهب تحليل أبعد من ذلك فيشير إن حزب الله أداة المصالح الإيرانية السورية، وبذلك ولأن الحزب كان (البيدق) في أيدي لاعبين دوليين لا تنسجم مصالحهم دائماً، لم تحظ الشؤون الداخلية اللبنانية سوى باهتمام ضئيل في التحليل التقليدي لإدارة حزب الله وصنع القرار. ^(٢) وهذا الرأي يجانب الحقيقة إلى حد كبير لأن الدافع الحقيقي وراء تأسيس الحزب هو مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وربما هذا المشروع يتخذ طابعاً إقليمياً باتساع جغرافية الاحتلال، إلا أن البعد اللبناني حاضر وبقوة، وذلك وفقاً لمعطيات تمدد الاحتلال إلى الأراضي اللبنانية بالتالي فالحزب لم يؤسس لتحقيق مصالح إيرانية وحسب وإنما تلاقت المصلحة اللبنانية مع الرؤية الإيرانية في استئصال هذا الجسم الغريب من الجسد العربي-الإسلامي.

في حقيقة الأمر هناك أشكاليتين رئيسيتين في العلاقة بين الحزب وإيران، أولى هذه الأشكاليتين: ولاء حزب الله المطلق لفكرة ولاية الفقيه التي تجعله

(١) يائير ميزيلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

(٢) دانييل سويلمان، قواعد جديدة للعبة: إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان، ت: عماد

فوزي شعبي، ط ١، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٩.

خاضعاً لسلطة شخصية غير لبنانية (القائد الإيراني)، كان وما يزال العنصر الرئيس في حياة الحزب. ^(١) أما الإشكالية الثانية فهي مصادر تمويل الحزب. إذ يتلقى حزب الله مساعدات مالية من إيران سنوياً من طريقين: أولاً: مساعدات مالية تقدمها المؤسسات التي يشرف عليها قائد الثورة الإسلامية علي الخامني، ولها ميزانية مستقلة عن الحكومة الإيرانية. وثانياً: المساعدات التي تقدمها الحكومة الإيرانية والمؤسسات الرسمية. ^(٢)

ومن هاتين الإشكاليتين يبرز الارتباط العضوي بين حزب الله والولي الفقيه لتثير إشكالية أخرى وهي حدود تأثير رؤية الولي الفقيه على قرارات الحزب الاستراتيجية، يطرح باحث هذا الإشكال متسائلاً عن طبيعة اتخاذ القرارات حينما يتصدى الولي الفقيه لأمر مثل العلاقة مع أهل السنة والموقف من إسرائيل والجبهة على الشمال واتفاقات الهدنة وقرارات خوض الحرب والسلم والمفاوضات والتوازنات الداخلية. ^(٣) ولم يفرق هذا الباحث بين الخطوط العامة للقضايا الاستراتيجية وتفصيلاتها، وهذا ما يوضحه الحزب من إن التزام حزب الله بولاية الفقيه حلقة من هذه السلسلة، إنه عمل في دائرة الإسلام وتطبيق أحكامه، وهو سلوك في إطار التوجهات والقواعد التي رسمها الولي الفقيه. ثم تكون الإدارة والمتابعة ومواكبة التفاصيل والجزئيات، والقيام بالإجراءات المناسبة، والعمل السياسي اليومي، والحركة الثقافية

(١) أوري روست، حزب الله وولاية الفقيه، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

(٢) مسعود أسد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر.. رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إسرائيل وإيران، مجلة

الاجتماعية، بل والجهاد ضد المحتل الإسرائيلي، من مسؤولية القيادة المنتخبة من كوادر الحزب بحسب النظام الداخلي المعتمد، والتي تتمثل بالشورى التي يرأسها الأمين العام، والتي يحصل على شرعيتها من الفقيه، فيكون لها من الصلاحيات الواسعة والتفويض ما يساعدها على القيام بمهامها، ضمن هامش ذاتي خاص ينسجم مع تقدير الشورى للأداء التنفيذي النافع والمفيد لساحة عملها. ^(١)

لذلك، وبما أن العمل ضمن بلد ما يرتبط بخصوصياته وظروفه، فإن عمل حزب الله يوائم بين إسلامية المنهج ولبنانية المواطنة، فهو حزب لبناني بكل خصوصياته ابتداءً من الكادر والقيادة مروراً بالعناصر، وهو مهتم بما يجري على ساحته في الميادين الجهادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. ^(٢) في حقيقة الأمر، لقد تمكن حزب الله في الواقع، أن يوفّق جيداً في مواقفه وآرائه بين العوامل الثلاثة المختلفة والمتناقضة: «إنه إسلامي وشيعي ولبناني»، واستطاع مع المحافظة على ماهيته الإسلامية، وتعديل مواقفه وآرائه تجاه المسائل الداخلية اللبنانية، من إبعاد تهمة الحزب «الإيراني» به. ^(٣) خصوصاً بعد اتفاق الطائف، والقرار الإستراتيجي القاضي بالمشاركة الفعّالة بالعملية السياسية اللبنانية، ليفتح خطوطاً مع جميع القوى اللبنانية، ويكون للهّم اللبناني أولوية تفوق العديد من القضايا، وبدون إغفال مشروع المقاومة الذي بقي ثابتاً منذ تأسيس الحزب حتى اللحظة.

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨.

(٢) نعيم قاسم، المصدر نفسه، والصفحة.

(٣) مسعود اسد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٦.

المبحث الثالث: ثابت المقاومة ومتغير السياسة

المنطلقات الفكرية لمشروع المقاومة عند حزب الله

كُتبت عن المقاومة سلوكاً الكثير من الدراسات والتقارير، وقد أُرخت الحقبات التي مرت بها المقاومة في صراعها مع الاحتلال الإسرائيلي، وأعتقد أن مشروع المقاومة له بعدان سياسيان: البعد الفكري والبعد الحركي - الجهادي، والأخير كما أشرنا تم رصده بالتحليل والتوثيق والمتابعة في كتابات سابقة، إلا أن البعد الأهم والذي يتحرك من خلال الحزب هو البعد الفكر والعقائدي. فهو وإن تم بحثه ولكنه يحتاج إلى تسليط الضوء بشكل مستقل، لأن مسألة المقاومة تحتاج إلى تنظير فكري لتستكمل جانبها العقائدي مما يوفر الأرضية المعنوية للمقاومين.

تشكّل مقاومة حزب الله للاحتلال الإسرائيلي في الجنوب والبقاع الغربي اللبنانيين أساس بنية الحزب الفكرية، فضلاً عن كونها مبرر وجوده في البداية. وهي الدعامة الوحيدة لفكر حزب الله السياسي التي ليست عرضة لأي شكل من أشكال مساير للواقع أو التكيف معه.^(١)

إن حزب الله مقتنع بأن هناك معنيان للمقاومة، المعنى الضيق للمقاومة، والمعنى الواسع لها الذي عبّر عنه الحزب بـ «مجتمع المقاومة»، فالمعنى الضيق يتجسد في المقاومة العسكرية المسلحة أما معناها الواسع فهو ما عبّر عنه الشيخ نعيم قاسم بـ «المقاومة المجتمعية» أو «مجتمع المقاومة» فالمقاومة بالنسبة لحزب

(١) أمل سعد غريب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٧.

الله، هي رؤية مجتمعية بكل أبعادها، فهي مقاومة عسكرية وثقافية وسياسية وإعلامية، هي مقاومة الشعب والمجاهدين، ومقاومة الحاكم والأمة، ومقاومة الضمير الحر في أي موقع كان، ولذا كنا ندعو - والحديث للشيخ قاسم - دائماً لبناء مجتمع المقاومة، ولم نقبل يوماً بمجموعة المقاومة، لأن مجتمع المقاومة يحمل الاستمرارية، أما مجموعة المقاومة فأداؤها ظرفي. ^(١) ولذلك انصرف النشاط الدعوي لحزب الله إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة، مؤمنة بقضيتها الدينية والمذهبية والوطنية. ولم يتوسّل في ذلك ما توسّله آخرون من ضروب التجييش والتعبئة المنبرية. ^(٢)

وفي ذات الإطار فإن الحزب يمتلك رؤية فكرية فريدة تدوب فيها الخطوط الفاصلة بين مؤسساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى العسكرية لتصبح كلاً واحداً منسجماً لا يعرف إلا صوت المقاومة، وقد أشارت الرسالة المفتوحة إلى هذا المعنى: «ليس لدينا جهاز عسكري منفصل عن بقية أطراف جسمنا، بل إن كل واحد منا هو جندي مقاتل حين يدعو داعي الجهاد، وكل واحد منا يتولى مهمته في المعركة وفقاً لتكليفه الشرعي» ^(٣).

يركز الحزب على محورية التربية العقائدية في غرس مبدأ المقاومة، فهو أس البناء الفكري لذلك المشروع المُستند إلى المبادئ الإسلامية، وهذا ما ركّز عليه منظرو الحزب إذ أن «ما قدمه حزب الله يبيّن أنها تربية الإسلام، وليست تربية

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣.

(٢) عبد الإله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

(٣) الرسالة المفتوحة، مصدر سبق ذكره.

جهة محددة أو خاصة. فعندما لا نجد الأمة تعيش روحية الشهادة والاستعداد لها، فلتقصير ونقص في وعيها والتزامها بتكليفها. وعندما نجح الحزب في هذه التعبئة، فلأنه انسجم مع تعاليم الإسلام، وقد حقق وجود وتوجيه الولي الفقيه المتمثل بالإمام الخميني ومن بعده بالإمام الخامني النموذج التطبيقي لإرادة الجهاد بطريقة واقعية وعملية وفاعلة»^(١). فمصدر التربية عند الحزب هو الإسلام بالدرجة الأساس، والمحرك الآخر لديمومة التربية الالتزام بولاية الفقيه.

ولعلنا، في هذا الإطار، نستشهد بالوصف الدقيق لعبد الإله بلقزيز كيف يترى العنصر المقاوم في الحزب بقوله: «ليس المقاتل في (حزب الله) والمقاومة الإسلامية مجرد خريج دورة تكوينية عسكرية (دورة تدريب) في أحد المعسكرات، إنه أكثر من ذلك بكثير: خريج مدارس التعليم الديني، وقد يكون طالباً متقدماً في الحوزة العليمة. إنه لا يُتقن حمل السلاح واستعماله، وفنون القتال التي يفرضها أسلوب حرب العصابات فحسب، بل هو متشبع بتاريخ ثقافي فقهي وسياسي خاص بالمذهب»^(٢).

فالمقاوم في الحزب لا يكتفي بالتربية العقائدية وتحصين الجوانب الفقهية والالتزام بمنظومته الفكرية، كما أنه لا يكتفي بالتدريب العسكري المتقن على مختلف الأسلحة المتطورة وحسب، بل يرتكز الحزب على قضية تاريخية ذات بعد تعبوي تضخ الدافع الإستشهادي لدى الأفراد، وهو ما يُسمى بـ «القدوة»،

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

(٢) عبد الإله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

فلدى الحزب قضية مركزية يستلهم منها عزمه وقوته ألا وهي قضية الإمام الحسين عليه السلام وواقعة الطف التي تمثل النموذج الأمثل لبذل الغالي والنفيس من أجل القضية لدى حزب الله.

فمؤسسات حزب الله هي تربية تقوم على المثال الحسيني المتعالي - شيعياً - عن كل مضاهاة أو مضارعة. وهو مثال يذهب بعيداً في استرخاض النفس إلى الحدّ الذي يجعل فعل الشهادة فعلاً شرعياً مقدساً! إن كل مقاتل في الحزب يجد نفسه ضعيفاً أمام مأثرة سيد الشهداء (الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب) وإيثاره الشهادة على الصمت عن طلب الحق المغتصب. ^(١) وتحت ظل هذه التربية كان يصعب على أي عنصر من عناصر حزب الله تصور الهزيمة أو الخسارة، إنما كانت الروح الثورية متوهجة إلى أقصى حدودها، فغلب الطابع العسكري المستند إلى رؤية عقائدية تؤمن بالجهاد والشهادة، ولا ترى مكاناً للحلول الوسط أو الديبلوماسية. ^(٢)

وخلاصة القول نجد أن مشروع المقاومة لدى حزب الله يتخذ جانباً علمياً مدروساً على مختلف الأبعاد، وهو مشروع يرتكز على منظومة فكرية وعقائدية تلتزم بالإسلام تربيةً وبمفهوم ولاية الفقيه تحركاً، وبفجيرة كربلاء وسيد الشهداء قدوةً. لتنتقل من قضية سطحية لمجموعة تقاوم احتلال غاشم استباح الأرض والعرض، إلى مشروع استراتيجي مقاوم مكتمل البنية الفكرية والسلوكية قادر على تغيير جميع المعادلات في المنطقة واحراز النصر.

(١) عبد الإله بلقزيز، المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٢) مسعود أسد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩.

الواقعية المرحلية ومسوغات المشاركة السياسية

لم يفكر حزب الله في بداية المدة التي تأسس خلالها (١٩٨٢ - ١٩٨٥) أن يكون له جناحاً سياسياً إلى جانب الجناح العسكري، يشارك بالتوازي بالعملية السياسية اللبنانية بشقيها، التشريعي والتنفيذي، ويعود أسباب تأخير هذا التحول والانفتاح إلى أسباب يوردها نعيم قاسم بالنقاط الآتية: (١)

١ - الفترة التأسيسية، التي ركزت على الإعداد العسكري كأولوية بهدف مقاومة الاحتلال.

٢ - السرية التي طبعت تلك الفترة، فالعمل المقاوم يتطلب إعداداً تحت الأرض كجزء من الحماية الضرورية لتأمين استمرارية المواجهة مع قلة العدد والعدة في بداية المطاف.. أما العمل السياسي والعلاقات العامة فتتطلب العلانية.

٣ - الظروف اللبنانية المعقدة والمرتبطة بالحرب اللبنانية منذ عام ١٩٧٥، والتي زجّت بأغلب القوى في صراع داخلي قاسٍ على المستويين العسكري والسياسي.

٤ - التخوف في البداية من ضياع المقاومة عند الاهتمام بالعمل السياسي، بأن تستدعي متطلبات العمل السياسي تنازلات ومراعات في أداء المقاومة.

٥ - الرغبة باستقرار خصوصية الحزب ووضوح أهدافه نظرياً وعملياً، وبحسب بعض النقاشات الدائرة في داخله حول عدد من القضايا الرئيسية.

كان على الحزب، وعند زوال الأسباب آنفة الذكر، أن يبدأ بمراجعة شاملة لمجمل المواقف السياسية ضمن منطقة الفراغ التشريعي فيما لو كانت هذه المتغيرات لا تصطدم بثوابت الحزب أبرزها: سلاح المقاومة، والالتزام بمدأ

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢ - ١٢٣.

ولاية الفقيه، وبما يحقق أهداف الحزب الرئيسية ويعكس حالة التوازن الديمغرافي الذي يعيشه المجتمع اللبناني، وهذا ما عكسته مرحلة ما بعد اتفاق الطائف لطرح موضوع المشاركة بقوة.

لم تكن الصورة واضحة عند الحزب في الدخول إلى المجلس النيابي أو عدمه، ما استلزم نقاشاً داخلياً موسعاً حول هذا الأمر. فاخترت الشورى آلية لحسم الأمر بتكليف لجنة من (١٢) عضواً تضم أبرز الفاعليات الحزبية بما فيها أعضاء الشورى لصياغة الموقف النهائي المقترح.^(١) وربما أبرز أسباب هذا التردد هو استراتيجية وخطورة القرار، ومدى ملائمته مع المتبنيات الفكرية التي يحملها الحزب، وربما التناقض بين مشروع ولاية الفقيه، والمشاركة بعملية سياسية تعتمد آليات ربما لا تنسجم مع رؤية الحزب، خصوصاً وأن الهوية العامة للنظام السياسي اللبناني هي المحاصصة الطائفية، كما يعتقد الحزب بوجود إشكالية بُنيوية في الدخول بهذا النظام تحت ظل رئيس جمهورية مسيحي وهذا مما لا يتسق مع الثوابت الإسلامية وفقاً لمنظور الحزب. ولكن تبدلت تدريجياً صورة الحزب التي رسمها لنفسه وارتسمت عنه، عندما بدأ يفصل بين حركته السرية كمقاومة ضد الإحتلال وبين حركته السياسية العلنية. وعندما استبدل خطابه «الثوري» و«الأممي» ودعوته إلى إسقاط الأنظمة «العميلة» و«الخائنة».. بأخرى يؤكد الرغبة في المشاركة السياسية والانفتاح على الطوائف والأحزاب والشخصيات.. على أن تبقى المقاومة عملاً سرياً وناجحاً.^(٢)

(١) نعيم قاسم، المصدر نفسه، ص ٢٢٧ - ٢٣٨.

(٢) طلال عتريسي، الإسلاميون واستراتيجية التصالح مع الديمقراطية حزب الله نموذجاً (مجلة شؤون الشرق الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، العدد ٩٨ آب ٢٠٠٠م)، ص ٢٣.

يفصّل الشيخ قاسم تفاصيل المناقشات الموسعة داخل الحزب للبت في قرار المشاركة من عدمه في الانتخابات بالقول: ^(١) بعد نقاشات في الإيجابيات والسلبيات للمشاركة في الانتخابات النيابية، خلّصت اللجنة بأغلبية ١٠ من ١٢ أن المشاركة بالانتخابات مصلحة بل ضرورية، وهو ينسجم مع رؤية حزب الله الشمولية للتصدي لشؤون الناس ومصالحهم في الحياة السياسية، ولا يتعارض مع أولوية الجهاد للتحرير، ويحقق جملة من النتائج السياسية الجيدة، ويقدم تجربة جديدة ومنفتحة لحزب إسلامي ناشئ، ويحقق خطوة هامة باتجاه التفاعل مع الآخرين.

ثم جرى استفتاء السيد (الخامني) حول المشروعية بعد تقديم اقتراح اللجنة فأجاز وأيد، عندها حُسمت المشاركة في الانتخابات النيابية، ودخل المشروع في برنامج وآلية عمل الحزب. وهذه الموافقة على الاشتراك في العملية السياسية اللبنانية تعطي إشارات بأنها - إي المشاركة - لا تعني أبداً التخلي عن ثوابت الحزب التي أُسس من أجلها، يأتي في مقدمتها الحفاظ على قوة واستمرارية المقاومة، والألتزام التام بأوامر الولي الفقيه في القضايا العامة، وقد أكدّه الاستفتاء الذي وافق الإمام الخامني بموجبه بمشاركة الحزب في الانتخابات ودخول اللعبة الديمقراطية.

وبذلك حقق الحزب نتيجة مهمة ربما لا تحمل الكثير من التعارضات والتناقضات في الأصول الفكرية والمتغيرات السياسية؛ وفقاً لمنطقة الفراغ التشريعي والهامش الحركي في الفكر السياسي الإسلامي، وهذا ما أشار إليه (بلقزيز) بقوله أن «حزب الله» حزباً سياسياً حقيقياً: لم يتخلّ عن نظرية «ولاية

(١) نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

الفقيه» ومشروع «الدولة الإسلامية»، لكنه لم يتخلَّ عن رؤية الممكن في السياسة وعن «تحريره» الاضطراري من إفسار الواجب الشرعي. ثم لم يتخلَّ عن الولاء الأيديولوجي لإيران، لكنه لم يستنسخ موقفها الفقهي من «حكومة الوقت» غير الإسلامية.^(١)

ويحاول النائب محمد رعد (رئيس كتلة الوفاء للمقاومة التابعة لحزب الله) أن يعطي بعداً عقائدياً للمشاركة وجوانبها الإيجابية بقوله: «^(٢) ما يتلاقى مع الحرام الشرعي، نحاول إسقاطه، وما يتعارض مع الحلال الشرعي، نحاول إيقافه أو تعديله، وفيما يدخل في دائرة المباحات، نجتهد في إيجاد الصورة الأكثر عدلاً وفق رؤيتنا الدينية. قد نواجه مشروعاً فيه ضرر كبير حسب رؤيتنا، وقد لا نستطيع أن نلغيه وفق اللعبة الديمقراطية إلا بطريقة تعويم مشروع قانون آخر يكون أقل ضرراً وقد لا يحقق المطلوب. كل هذا يتم استناداً إلى قاعدتين:

القاعدة الأولى: درء المفسد مُقدم على جلب المصلحة.

القاعدة الثانية: التزاحم بين الأكثر ضرراً والأقل ضرراً.

ويبدو من خلال ما تقدم أن حزب الله أظهر براعةً منقطعة النظير في التكيّف اللافت مع المتغيرات السياسية، من خلال تحقيق توازن فريد لم يستطع أي حزب سياسي إسلامي تحقيقه، فقد أبدى التزاماً بالثوابت الإسلامية وحافظ على المقاومة وسلاحها، ولم يترك مشروع ولاية الفقيه من جهة، وتكيّف سياسياً مع الوضع اللبناني عبر المشاركة في اللعبة الديمقراطية بعد أن قاطعها نحو عقداً من

(١) عبد الإله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

(٢) فضيل أبو نصر، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٢.

الزمن من جهة أخرى؛ وبذلك أظهر الحزب نجاحاً عسكرياً وسياسياً من خلال أصولية إسلامية مرنة أظهرت قدرة على التفكير بإسلوب بارغماتي في التعامل مع التطورات السياسية.

الخلاصة

إن حزب الله ليس حزباً تقليدياً خاض غمار تجربته الفكرية بمعزل عن واقعه السياسي ومتغيراته، فعلى الرغم من أصولية المرتكزات الفكرية التي يستند عليها، أبرزها الألتزام بنظرية ولاية الفقيه، والحفاظ على سلاح المقاومة الإسلامية في لبنان، إلا أن الحزب لم يقف عند هذه الثوابت، بل استطاع أن يتكيف مع واقعه السياسي اللبناني المتغير، بما يعكس حالة اندماجية عجزت أغلب الحركات الإسلامية الوصول إليها، بعيداً عن التشدد والتزمت في انعكاس ثوابته الإسلامية على الواقع السياسي.

يحمل حزب الله مشروعاً إسلامياً لا يلتزم بالحدود المصطنعة للدول، إنما يؤمن بعالمية وشمولية الدولة الإسلامية، إلا أن تأسيس هذه الدولة عند الحزب يتطلب ظروف موضوعية مقترنة برضى غالبية المجتمع على النظام السياسي الإسلامي، بذلك فإن تكوين المجتمع الإسلامي يسبق إنشاء الدولة لدى حزب الله، وتستند هذه الدولة على نظرية ولاية الفقيه التي وضع إطارها الفكري الإمام الخميني، فتأثر بها الحزب والتزم بمبادئها لتكون واحدة من أبرز مرتكزاته الفكرية السياسية، ليسعى، وفقاً لهذا المعطى، إلى بناء علاقة متوازنة مع الولي الفقيه من جهة، والدولة اللبنانية من جهة أخرى؛ على الرغم من صعوبة الوقوف على الحدود الفاصلة التي ترسم هذه العلاقة، إلا أن الحزب استطاع أن يضع

صيغة تنطلق من خلال معادلة مفادها: أن الخطوط العامة في رؤية الحزب يضعها الولي الفقيه، مع ترك الوسائل والأدوات والتفصيلات لشورى الحزب يفكر ويتحرك وفقاً للمتغيرات والوقائع الراهنة.

ولا يمكن إغفال مشروع المقاومة الإسلامية التي طرحها حزب الله في إطار الصراع مع الكيان الإسرائيلي بعد أن حاول احتلال الأراضي اللبنانية، إلا أن المقاومة التي قادها الحزب اظهرت براعة منقطعة النظير على الرغم من قلة العدة والعدد، إلا أن سر انتصار هذه المقاومة يعود إلى البناء الفكري الذي تنطلق منه المقاومة، إذ أنها استظلت بمرجعية ولاية الفقيه، وتنفست بقضية الإمام الحسين «القدوة» ليكتمل المشروع التربوي لبناء المقاومة لدى حزب الله.

وعلى الرغم من أن مشروع المقاومة عند الحزب قد ضيق مساحه التفكير للولوج إلى العمل السياسي، إلا أن عاملين مهمين جعلوا الحزب يفكر بشكل جدي بالانتقال إلى العمل السياسي بالتزامن مع العمل الجهادي المقاوم؛ وأول هذين العاملين: اجتماع القوى السياسية للخروج بما سميَّ بـ «اتفاق الطائف» الذي غير من الجغرافية السياسية في لبنان، وثانيهما: التغييرات التي طرأت على قيادة الحزب بعد انتخاب السيد (عباس الموسوي) خلفاً للشيوخ (صبحي الطفيلي) الذي يوصف بأنه من التيار المتشدد في الحزب، وهذا أدى إلى انفتاح الحزب بعد هذه المرحلة وتأكيد ذلك أيضاً بعد أن ترأس الحزب السيد (حسن نصر الله) لتبدأ مرحلة جديدة من الاشتغال الحقيقي لمفهوم الحزب المعاصر، وكتيجة لتلك المعطيات خلصنا فيما سبق أن الحزب حافظ على ثوابته الإسلامية ومتبنياته الفكرية، فالتزم بمبدأ ولاية الفقيه من جهة ولم يتخلى عن سلاح المقاومة

من جهة أخرى.

إن هذه القراءة والتحليل ربما لم يقدمها الصورة الكاملة للمتبنيات الفكرية السياسية لحزب الله، كونها تحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة على مختلف الصعد، إلا أننا حاولنا ما بوسعنا أن نسلط الضوء على أبرز هذه المتبنيات كي تتضح وبشكل مستقل عن الكتابات المتحمسة والمبغضة، ونأمل أن نكون قد وفقنا في هذا المرجحى.

المصادر

١. مجموعة من الباحثين والمختصين، خلاصات أهم ما كُتِبَ عن الجماعات الإسلامية، ط١، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي - الإمارات، ٢٠١١م.
٢. مسعود أسد الله، الإسلاميون في مجتمع تعددي (حزب الله في لبنان نموذجاً)، ت: دلال، ط١ عباس، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
٣. عبد الغني حميد، (حزب الله: التأسيس، والمرجعية، والمسارات)، الحركات الإسلامية في الوطن العربي، مجموعة من الباحثين، مج٢، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م.
٤. نعيم قاسم، حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل (لبنان ومقاومته في الواجهة)، ط٩، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م.
٥. أحمد نزار حمزة، على طريق حزب الله، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م.
٦. أمل سعد غريب، حزب الله: السياسة والدين، ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.
٧. حسن حمادة، سر الانتصار، ص٣٩، نقلاً عن: فضيل أبو نصر، حزب الله: حقائق وأبعاد، ط١، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ٢٠٠٣م.
٨. حزب الله، الرسالة المفتوحة، شباط ١٩٨٥.
٩. يائير متريلي، حزب الله والحركات الإسلامية، الكابوس الشيعي، مؤتمر هرتسليا السنوي (١١) ط١، باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت - لبنان، ٢٠١٢م.
١٠. حسن فضل الله، الخيار الآخر.. حزب الله: السيرة الذاتية والموقف، ط١، دار الهادي، بيروت - لبنان، ١٩٩٤م.
١١. أحمد جيهان برزك، ولاية الفقيه: قراءة تاريخية، ت: دلال عباس، كتاب المنهاج، ع (١٠) مؤسسة الغدير، ٢٠٠١م.
١٢. أحمد الكاتب، تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط٣، دار الشورى، لندن، ٢٠٠٥م.

- ١٣- الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، د. ط، مؤسسة الإمام الخميني الدولية للثقافة والفن والدراسات، د. ت.
- ١٤- عبد الغني عماد، حاكمية الله وسلطان الفقيه: قراءة في خطاب الحركات الإسلامية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧.
- ١٥- مصطفى جعفر بيته، الثابت والمتغير في فكر الإمام الخميني السياسي، موسوعة الفكر السياسي عند الإمام الخميني (فقه الاجتماع السياسي)، مجموعة من الباحثين، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠م.
- ١٦- حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة: بين النص الثابت والواقع المتغير، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. لبنان، ٢٠٠٦م.
- ١٧- محمد علي التسخيري، حول الدستور الإسلامي الإيراني، ط١، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران - إيران، ٢٠٠٣م.
- ١٨- عبد الإله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان (حزب الله من الحوزة العلمية إلى الجبهة)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. لبنان، ٢٠٠٠م.
- ١٩- صالح زهر الدين، الحركات والأحزاب الإسلامية وفهم الآخر، ط١، دار الساقية، بيروت - لبنان، ٢٠١٢م.
- ٢٠- دانييل سولمان، قواعد جديدة للعبة: إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان، ت: عماد فوزي شعبي، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت. لبنان، ٢٠٠٤م. ص٩
- ٢١- علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر.. رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إسرائيل وإيران، مجلة الراصد، الكتاب الثاني، الشبكة الدولية (الإنترنت) د. ت،
- ww. alrased. net*
- ٢٢- طلال عتريسي، الإسلاميون واستراتيجية التصالح مع الديمقراطية حزب الله نموذجاً (مجلة شؤون الشرق الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، العدد ٩٨ آب ٢٠٠٠م).

البيئة الاجتماعية واثرها في نضال حزب الله اللبناني

رزاق فالح العجيلي

المقدمة

لاشك ان معرفة البنية الفكرية والسياسية لاي حزب او حركة او منظمة يتطلب الحديث عن البيئة الاجتماعية والظروف المحيطه بنشأته، والتي سيكون لها تاثير واضح على ادائه السياسي والاجتماعي، وهو ما ينطبق على حزب الله اللبناني ولاسيما يعد احد اهم الاحزاب السياسية والقوى الوطنية الفاعلة على الساحة اللبنانية، التي تمتلك خصوصية اجتماعية وظروفاً سياسية انعكست بشكل مباشر على الاحزاب السياسية اللبنانية بشكل عام والحركات الاسلامية وحزب الله هو واحد اهم قواها الاساسية التي ستعرف عليها في ثنايا هذا البحث.

وهنا نقصد بالبيئة الاجتماعية هو كل ما يحتوي المجتمع من افراد ومجموعات ومكونات وطوائف وقيم ثقافية وفكرية، وانماط معيشة ووسائل انتاجية وغيرها، مما تعتبر البيئة الاجتماعية احدى الدعامات الاساسية والرئيسية في نشوء وبروز مدارس ومذاهب فكرية وتيارات واحزاب سياسية، بل قد تعتبر هي النواة الرئيسية والأم الحاضنه له، بحيث لا يمكن ان يطرح فكراً او تيار او

حزب سياسي اراءه ما لم يكن له مؤيدين او مرّيين، ولكن مع اختلاف طبيعة البيئة الاجتماعية وتأثيرها بالظروف الزمكانية، او بالعكس قد يكون في بعض الاحيان طبيعة الاحداث والمشاكل التي يمر بها مجتمع ما، هو الذي يولد هذا الفكر او نهج معين، مما يدفع بالمجتمع الى اعتناقه نتيجة سيطرة القعل الانفاعلي او حالة الوعي الجمعي لدى قطاع واسع من المجتمع، وهذا ما يدفعنا الى السؤال التالي؟ هل لعبة البيئة الاجتماعية والظروف والمشاكل التي مرت بها الساحة اللبنانية والاحداث الاقليمية دور في نشوء حزب الله؟. ومع الافتراضلو كانت المشاكل والاحداث التي مر بها المجتمع اللبناني هي التي انتجت هذا الفكر والحزب، مما يعني انه سوف ينتفي دوره ووجوده سرعاً ما تحل هذه المشاكل والاحداث، ام ان هناك رؤية اخرى للحزب قد تنسجم مع الواقع والمتغيرات التي تطرأ على الساحة اللبنانية والدولية بين الحين والآخر.

ان البحث عن البيئة الاجتماعية يعد مدخلاً طبيعياً لفهم حزب الله الذي يعتبر نتاج متكون من هذه البيئة والمجتمع الذي نشأ فيه.

المبحث الاول: طبيعة البيئة الاجتماعية في لبنان

لقد اصبحت من بديهيات العلوم السياسية المعنيه بدراسة الظواهر والمشاكل والقضايا العامة التي تقع في اطار الدولة، مما يعني ان الحديث عن المتغير الاجتماعي هو ضمن اطار الدولة واسسها الفكرية.

ان الجذور والمنطلقات الاساسية التي نشأ على ضوئها الفكر السياسي اللبناني لا تتمحور حول الدولة بل حول المجتمع وتكويناته الدينية والعرقية والثقافية والفكرية المتنوعة، فان الدولة اطار لتعايش الطوائف على المستوى

السياسي ولبنان في التجربة الفكرية السياسية العربية - تنظر الى السياسية بشكل عام كحركة من المجتمع نحو الدولة، لا من الدولة نحو المجتمع، لاسيما ان السياسة ما هي الا انعكاس وربما تصادم بين المصالح التي تسعى اليها فعاليات المجتمع وتكويناته المختلفة^(١) فان العلاقة ما بين المجتمع والدولة في لبنان تتميز بفارق نوعي عن بعض المجتمعات المحافظة والتي تتمثل في مدى قوة الدولة وسيطرتها على مفاصل المجتمع المختلفة وتشارك معها في كون السياسة حركة من المجتمع نحو الدولة، حيث يقتصر دور الدولة الداخلي فيها على تنظيم علاقات القوى السياسية وصراعتها، سواء اتخذت هذه القوى شكل الاحزاب او القبائل او العشائر او الطوائف والمذاهب، مما يمكن القول ان المجتمع اللبناني المتعد الطوائف سابق على الدولة الطائفية التي اتخذته ظهورها حتى عام ١٩٢٠^(٢).

يمتاز المجتمع اللبناني الذي لايزيد عن اربعة ملايين نسمة، يكونه مجتمعاً يتالف من فسيفساء من قوميات واديان مختلفة وعلى الرغم من وجود قوميات متعددة في لبنان (العربية، التركية، الكردية، الشركسية، اليونانية، الارمن) الا ان الطابع العربي يكاد يكون غالباً وواضحاً في لبنان^(٣)، ومع وجود القوميات المتعددة فيه، الا انه لايعاني من مشكلة قومية او عرقية اذ ان لبنان هو بلد عربي

(١) جهاد الزين، مستقبل الوحدة الوطنية والنظام السياسي اللبناني، ورقة قدمت الى لبنان ووافق

المستقبل تحرير ابراهيم النجار ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٧.

(٢) سعد الدين ابراهيم واخرون ، المجتمع والدولة في الوطن العربي ، مشروع استشراف مستقبل الوطن

العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٨ ص ٤٥ - ٤٩

(٣) بول سالم، قراءة في مستقبل حزب الله اللبناني: سيناريوهات الحرب والسلام، مركز كارنيغي في

الشرق الاوسط، بيروت، ٣/آب/٢٠١٠، للمزيد انظر شبكة الانترنت: <http://ar.qantara.de/>

الهوية والانتفاء وهو عضو مؤسس لجامعة الدول العربية وملتزم بمواثيقها. اما على الصعيد الديني فان المجتمع اللبناني يتالف من سبعة عشر طائفة يعترف بها الدستور وهي دستورياً متساوية في الحقوق والواجبات. الا انه وبشكل عام فان هذه الطوائف مقسمة في انتمائها ما بين الطوائف الاسلامية وتشكل نحو ٦٠٪ من الشعب اللبناني والطوائف المسيحية تشكل ٤٠٪، ومع اعتراف الدستور اللبناني لتلك الطوائف بالشخصية المعنوية الاعتبارية وبحق التشريع والقضاء في كل ما يتعلق بشؤونها وبقضايا الاحوال الشخصية لرعاياها حتى غدت هذه الطوائف ومؤسساتها اشخاصاً معنوية من اشخاص القانون^(١).

ويذكر ان المجتمع اللبناني مجتمعاً متشابهاً في كثير من مظاهره، الا انه يختلف والى حدٍ ما في بناء المذهبية وفي الاتجاهات السياسية التي تم تبنيها على اسس مذهبية ناهيك عن انشداد اللبنانيين في المراحل التي سبقت الاستقلال وتلته لدول غربية بعينها، تبعاً لحالة الدعم الديني والسياسي والذي كانت تتلقاه كل طائفة. ومع هذا الافتراق فالمجتمع اللبناني يتكوّن من مجموعة اتجاهات وجماعات وأفراد، تتداخل فيما بينها بشكلٍ منظم، يكفل توازن هذا المجتمع واستمراره في احيان وقد يضطر بسبب تكوينه المذهبي والتناقضات التي تفرض الى خلخلة هذه التوازنات^(٢). ومع ذلك، استمرّ المجتمع اللبناني بكل طبقاته وطوائفه ومناطقه، مصراً على الوحدة وعلى رفض جميع أشكال التقسيم

(١) التقرير الإستراتيجي العربي، ملف العدوان على لبنان، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٦. ص ١٢

(٢) فؤاد شاهين، الطائفية في لبنان: حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٢٢٣.

والكانتونات التجزئية، وما تزال القوى الإقليمية والدولية مصرّة على الاعتراف بوحدة لبنان، أرضاً وشعباً ومؤسسات.

أولاً: العوامل المؤثرة على البيئة الاجتماعية

١. البنية السياسية والدستورية

لا تزال البنية السياسية في دول المنطقة بُنية شمولية، ونظام الحكم فيها مطلق، وتنظيمات المجتمع المدني محدودة، لا تتعدّى مجالات العمل الخيري البحت، الحكومة بتوجّهات السلطة وتفضيلات من الأشخاص الذين تسمح لهم بالترخيص ومن نوعيّة النشاط. فالبنية السياسية عندما تتحدّث عنها نعني بها نسقاً من العلاقات الداخلية، التي تتضمّن طبيعة القوى العاملة، مثل النظام السياسي والدستور والأحزاب السياسية. فأيّ تغيير، سلباً أو إيجاباً، في إحدى هذه العلاقات سينعكس تأثيره على باقي علاقات البنية كلياً. لذا، فإن إحدى القنوات المعبرة عن حقيقة التفاعل بين النظام السياسي والبيئة الاجتماعية، هي الاتصال بين المسؤولين في النظام السياسي الذين يشكّلون حلقة أساسية في عملية التواصل المعلوماتي، حتّى يتسنى التعرّف على مطالب وحاجات النظام، كي يتمكن من الاستجابة لها بصورة طبيعية.^(١)

وكما يقول «بول بوريل» إن السياسة هي «الوظيفة التي تربط معاً سائر البنى والأنظمة الثانية التابعة لنظام اجتماعي من أجل تنسيق علاقاتها المتبادلة، وعلاقاتها

(١) كمال المنوفي، نظريات النظم السياسية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٥. ص ٦٨.

مع المجموع، وتنظيمها ومراقبتها، وهي فنّ حكم النظم الاجتماعية»^(١).

أ) طبيعة النظام السياسي اللبناني

لكي نفهم النظام السياسي القائم في لبنان، لا بدّ من الإشارة إلى الأحداث السياسية ومراحل التطور التي أدت إلى قيام هذا النظام. فالنظام السياسي والدستوري في لبنان، كغيره من الدول العربية، مرّ بأزمات متعدّدة، وبأحوال مختلفة، انطبع كلّ منها بطابع الظروف والأحداث، التي توالى هذا البلد، وتأثر نظام الحكم فيه بمختلف النزعات، ومنها نزعات الفاتحين، ومنها أيضاً نزعات الإقطاعيين، إذ احتلّت مركز القيادة ومقاعد الحكم في السلطتين التنفيذية والتشريعية.

وأخيراً، يمكننا القول بأن النظام السياسي في لبنان نشأ على أساس توزيع السلطة السياسية بين الطوائف المختلفة، فيكون رئيس الجمهورية مسيحياً مارونياً، ورئيس الوزراء مسلماً سنياً، ورئيس مجلس النواب مسلماً شيعياً.

إن الصفة البرلمانية للنظام اللبناني تظهر في القواعد والمبادئ التي يميّز بها النظام البرلماني في العالم. فهذا النظام يقوم على دعامتين: تتمثل الأولى في ثنائية السلطة التنفيذية، وتتمثل الثانية في الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، مع وجود قدرٍ من التعاون والرقابة المتبادلة، فثنائية السلطة التنفيذية تعني وجود رئيسين: رئيس للدولة ورئيس للحكومة، الأوّل غير مسؤول، والثاني مسؤول مع وزرائه أمام البرلمان، وقرارات رئيس الجمهورية لا تكون نافذة إلاّ إذا وقعها

(١) نقلاً عن: صادق الأسود، صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي، مطبعة رشاد، بغداد، (د).

رئيس الحكومة والوزير المختص.^(١)

أمّا الفصل بين السلطات في لبنان، فهو ليس فصلاً مطلقاً، وإنما هو مرن، ولا يخلو من روح التعاون. فالسلطة التشريعية تتدخل في عمل السلطة الأخرى، بما لها الحق في الموافقة على الموازنة وحق التصديق على المعاهدات وحق توجيه الأسئلة والاستجابات إلى الوزراء، ومن حقها أيضاً حجب الثقة. والسلطة التنفيذية تتدخل في عمل السلطة الأخرى، بما لها من حق دعوة البرلمان إلى الانعقاد من حق اقتراح القوانين والتصديق عليها ونشرها، والتعاون بين السلطتين لا يحول دون وجود قدر من الرقابة المتبادلة بينهما. فالسلطة التشريعية حق مراقبة الحكومة، وللحكومة حق حل البرلمان.^(٢)

دستورياً، لم يكن النظام اللبناني نظاماً نيابياً ولا نظاماً رئاسياً، وإنما هو خليط من النظامين، وإن غلب عليه، من الناحية الواقعية، سمات النظام الرئاسي، إذ يُعدّ رئيس الجمهورية، من الناحيتين، النظرية والعملية، هو الشخص المسيطر في النظام، ويُنتخب لمدة ست سنوات غير قابلة للتجديد، بواسطة مجلس النواب، بأغلبية الثلثين، في أول اقتراع. فإذا لم يحصل أحد المرشحين على هذه النسبة، يكون انتخابه في الاقتراع الثاني، بالأغلبية المطلقة.

ب) الأحزاب السياسية اللبنانية

هنا تأتي قراءة التجربة الحزبية في لبنان كمدخل لتبيان معالم هذا الوضع

(١) محمد المجذوب، القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية،

بيروت، ط٤، ٢٠٠٢، ص ٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

والبحث في مبرراته ومسبباته من خلال ما يمكن أن تثيره من تساؤلات منهجية حول الظاهرة الحزبية وعلاقتها بالبيئة المجتمعية، وكيف أسهمت التنظيمات الحزبية في لبنان، في إذكاء حدة الحرب الأهلية، وبلورة طائفيتها إذ انبثق من كل طائفة حزبا.^(١)

الحزب السياسي هو أساس كلّ النظم الديمقراطية، وهو يضمّ من الأفراد من لهم مصلحة أو هدف مشترك. والأحزاب اللبنانية متعدّدة ومختلفة عن بعضها البعض، ليس في المنهج السياسي فحسب، بل في درجة التنظيم والانضباط الحزبي.^(٢) كما وأن عمرها من عمر الدولة التي نشأت في مطلع عشرينات القرن الماضي، وقد واكبت الأحزاب في تكوّنها وتطوّرها الحقبات الثلاث التي مرّت بها الدولة، بدءاً بمرحلة الانتداب الفرنسي، مروراً بالمرحلة الممتدّة من الاستقلال حتّى اندلاع الحرب في منتصف السبعينات، ووصولاً إلى حقبة الحرب التي انتهت في عام ١٩٩٠.^(٣)

وبشكل عام تعود الحياة الحزبية في لبنان إلى العشرينيات من القرن الماضي، إذ تأسس كل من حزب (الكتلة الدستورية) و حزب (الكتلة الوطنية) من شخصيات تقليدية لبنانية من مختلف الطوائف هاجسها السياسة الداخلية اللبنانية والتنافس فيما بينها.^(٤) وبين عامي ١٩٤٣ - ١٩٧٥ م راجت في البلاد

(١) المصدر نفسه: ص ٤٧.

(٢) فريد الخازن، الأحزاب السياسية في لبنان: حدود الديمقراطية في التجربة الحزبية، الناشر:

المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢. ص ٨٣

(٣) ينظر الى المصدر نفسه ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) فريد الخازن: الأحزاب السياسية في لبنان، المصدر السابق، ص ٢٩.

أربعة تيارات حزبية ذات توجهات فكرية سياسية تنادي بالقومية اللبنانية وتتمثل بـ(حزب الكتائب اللبنانية)، و(حزب الوطنيين الأحرار) و(حزب الكتلة الوطنية)، أما التيار الثاني فهو القومية السورية وتمثل بـ(الحزب السوري القومي الاجتماعي) وأشتهر بدعوته إلى الوحدة السورية، أما تيار القومية العربية فقد نادى أصحابه (حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي ومنظمات ناصرية)، بالوحدة العربية. أما التيار الأهميتمثل بـ(الحزب الشيوعي اللبنانيو منظمة العمل الشيوعي) هذا التيار أعتقد بحتمية التحول الثوري في لبنان من الرأسمالية الى الاشتراكية، في ظل أجواء الحرب الباردة والصراع الإيديولوجي بين الشرق والغرب.^(١)

ومع التطورات السياسية والاجتماعية عشية الحرب، صعّدت قوى سياسية أخرى في وجه اليسار الناهض اذ برزت في مطلع السبعينيات حركة سياسية جديدة داخل الطائفة الشيعية (حركة المحرومين) التي أسسها وقادها الامام موسى الصدر، وفي تموز ١٩٧٥ أعلن الإمام الصدرولادة حركة أمل (أفواج المقاومة اللبنانية)^(٢)، وهي التنظيم العسكريلحركة المحرومين، حركة المحرومين وفيما بعد حركة أمل كانت تنظيما سياسيا شيعيا يسعى إلى إيجادقاعدة شعبية على مستوى الطائفة، وخصوصا في أماكن تواجدها في الجنوب والبقاع. أما أهدافها السياسية فهي:

(٢) المصدر نفسه، ص٦٣.

(٣) برناديت شينك: كمال جنبلاط: التراث العربي الإسلامي ودور الدروز في مفهومه لتاريخ لبنان، ترجمة كامل إسماعيل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص٧٧.

أولاً: إيجاد موقع مؤثر لنخب سياسية جديدة بعيداً من هيمنة تقليدية.
ثانياً: إيجاد تيار سياسي جاذب هدفه استقطاب الشباب الشيعي والنخب
السياسية الناشطة في الاحزاب اليسارية.

ثالثاً: تحقيق اصلاحات في الجنوب واخراج الطائفة الشيعية هناك من حالة
الحرمان المزمنة وقد أسهم تردي الاوضاع الامنية والاجتماعية في الجنوب من
جاء المواجهات العسكرية بين المنظمات الفلسطينية و(إسرائيل) منذ عام ١٩٦٨
إلى تزايد حالة النقمة في الأوساط الشيعية والى عسكرة التعبئة الشعبية.^(١)

ومع ذلك لم يُشر الدستور اللبناني إلى موضوع الأحزاب السياسية. غير أنه
أوضح في المقدمة أن «لبنان جمهورية ديموقراطية برلمانية، تقوم على احترام
الحريات العامة، وفي طبيعتها حرية الرأي والمعتقد». كما تنص المادة (١٣) من
الفصل الثاني من الدستور على أن «حرية إبداء الرأي قولاً وكتابة، وحرية
الطباعة، وحرية الاجتماع، وحرية تأليف الجمعيات، كلها مكفولة ضمن دائرة
القانون». ^(٢) وتنشط وتتوسع في لبنان الأحزاب السياسية والجمعيات، فمنها
الإيديولوجي الأممي أو القومي، ومنها الوطني والديني والمناطقي، وهي تعمل
سياسياً واجتماعياً، وتستقطب حولها المنتسبين والمؤيدين، لذلك نلاحظ
ولاسباب بنوية وإيديولوجية وسياسية واجتماعية وفتوية بقاء الأنقسام
المجتمعي الطائفي متجذراً بقوة وحاضراً باستمرار للاشتعال والانفجار، عند
كل منعطف او ازمة داخلية او خارجية، لقداستعمل هذا السلاح من بعض

(١) فريد الخازن: الأحزاب السياسية في لبنان، المصدر السابق، ص ٣٨ - ٤٨.

(٢) ينظر الى، علي فياض، حزب الله ودوره في تجديد مفهوم السياسة، مقالات سياسية، ١٨ - ٩.

القوى والاحزاب التقليدية والمحافظه اذ أدى بعضها قبيل الحرب الاهلية على وتر أنقسام المجتمع فازداد انغلاقه في حدود الطائفة - المذهب واندماجه فيه.^(١)

ثانياً: الواقع الاقتصادي في لبنان

لا شك أن النظام الاقتصادي هو نتيجة التفاعلات السياسية والاجتماعية والمعيشية، وبالتالي، هو نتيجة التفاعلات التاريخية. إلا أن هذا لا يعني أن النظام الاقتصادي لا يؤثر على سير حركة التاريخ وعلى العلاقات الاجتماعية والنظام السياسي، بل الأصح هو عدّ النظام الاقتصادي أحد القطبين الأساسيين في عملية التطور والقطب الثاني هو البنية القومية التي ينتج عنها النظام السياسي والنظام الاجتماعي.^(٢)

صحيح أن النظام اللبناني اعتمد مبدأ الملكية الخاصة وحرية المبادرة الفردية. غير أن الضوابط المطلوبة والمفروض قيامها وعملها في نموذج النظام الاقتصادي الحرّ لم تكن موجودة في الغالب.^(٣) ومع تزايد الأزمات الحادة، الناتجة عن التطور الاقتصادي - الاجتماعي - السياسي المشوّه للمجتمع اللبناني في ظلّ دولته الطائفية، الطبقيّة بدأت سلسلة الأزمات المتفاقمة تنفجر الوحدة تلو الأخرى، في حقل الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الدولة، وتعمّقت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية لمناطق معيّنة على

(١) محمد المجذوب المصدر السابق، ص ٧٠.

(٢) فؤاد شاهين، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٣) إلياس سابا، الاقتصاد اللبناني: أين والى أين، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة

العربية، العدد ٢٧٦، ٢٠٠٢، ص ٥٤.

حساب باقي المناطق. كما ارتفعت شعارات: المشاركة، الخوف، والتخويف، والعنف، والحرمان، كنتاج طبيعي للتطور الاقتصادي - الاجتماعي المتكافئ بين الطوائف والمناطق اللبنانية^(١).

وعلى الرغم من أن الأعتبارات الاقتصادية والاجتماعية مارست دوراً غير بسيط في تفجير الحرب اللبنانية، وتعميق مداها وتوسيعه وأطالة أمدها. وبدورها اسهمت الحرب نفسها في تفاقم الأزمة الاقتصادية مباشرة من خلال تهديم وسائل الإنتاج المادية (من بنى تحتية وفوقية)، وإعادة توزيع القوى العاملة البشرية على أساس أعتبارات غير اقتصادية، وتهجير أعداد كبيرة منها إلى الخارج، وأنهيار حكم القانون، وتدهور الأوضاع الأمنية، وأضطراب مختلف وسائل النشاط الاقتصادي من أنتاج وتوزيع وتبادل في الداخل والخارج.^(٢)

وشلل وهجرة العدد الكبير من المؤسسات الاقتصادية وأنهيار الإطار القانوني والمؤسسي الذي يحكم النشاط الاقتصادي ويرعاه. كذلك أسهمت الحرب في تفاقم الأزمة الاقتصادية بشكل غير مباشر بواسطة بعض قراراتها وتتاؤها. اذ قدرت الخسائر المادية في البنى التحتية والمصانع والأماكن العامة والخاصة بحوالي ٢٥ مليار دولار مما فاقمت أزمة البطالة الاجتماعية.^(٣) وفي

(١) مسعود ظاهر، الطائفية في الحرب اللبنانية: أزمة نظام أم أزمة مجتمع، في مجموعة باحثين، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠، ص٤٥٢.

(٢) مجموعة باحثين، لبنان وآفاق المستقبل، مصدر دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٩٨.

(٣) ينظر الى ، مجموعة باحثين، لبنان وآفاق المستقبل، ص٨٨

الإطار الاقتصادي الضيق، تؤدي البطالة الناجمة عن الركود الاقتصادي إلى الفقر، الذي يعرف، في مفهوم التنمية الإنسانية، على أنه حرمان من القدرات البشرية، ما يؤدي بالتأكيد لتفاقم البطالة^(١)

أن البطالة تشكل مصدر قلق دائم في الأوساط الاقتصادية المعنيّة بهذا الشأن، لما لاستمرار هذه الظاهرة من مخاطر جسيمة، ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب، بل وعلى الأصعدة السياسية والاجتماعية والتربوية والأمنية^(٢). مما سببت هذا التدهور الاقتصادي في لبنان بروز ظاهرة الحرمان الاجتماعية والفوارق الطبقة مما ادت الى تفكك النسيج الاجتماعية الذي سوف يصبح فيما بعد عرضة للازمات الداخلية والخارجية

ثالثاً: الطائفية في لبنان

فقد عرف الطائفية في لبنان بأنها «حركة سياسية تعتمد على الدين لتجعل منه الإطار الإيديولوجي لتماسكها»^(٣). ويتبين قانون الانتخاب مبدأ التمثيل الطائفي، أي أن النواب المنتخبين يمثلون في الواقع أبناء الطائفة التي ينتمون إليها، في حين نصّ الدستور صراحة في المادة (٢٧) منه على أن «عضو مجلس النواب يمثل الأمة، ولا يجوز أن تربط وكالته بقيد أو شرط من قبل منتخبيه».

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) التقرير الإستراتيجي العربي، ملف العدوان على لبنان، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٦.

(٣) ينظر الى، المصدر نفسه، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

من المعلوم أن النظام المجتمعي اللبناني قائمٌ على تركيبة، تعد فيها الطائفة الوحدة الأساسية لممارسة النفوذ الاجتماعي ومن ثم النفوذ السياسي. فلبنان هو دولة (متعددة الطوائف)، ويبلغ عدد هذه الطوائف ثمانٍ عشر طائفة، وكلّ مواطن لبناني يحدّد له انتماءه الطائفي ضمن المعلومات التي يحملها في بطاقة هويّته، وبالرغم من صعوبة تقرير نسبة كل من الطوائف الأربع الرئيسية في لبنان، نتيجة انعدام إحصاءات رسمية موثّقة، وهذه النسب تبدو الأقرب إلى الحقيقة: (الشيعة ٤١ ٪، السنة ٣١ ٪، الموارنة ٢١ ٪، والدروز ٧ ٪).^(١) وهذه الطوائف لها رؤساء رويّون، ولها قوانين أحوالها الشخصية الخاصّة، ولها أوقافها، ولها إطاراتها السياسية التمثيلية.. أيّ أن لها كيانات مميّزة وبارزة، الأمر الذي ولّد في نفوس المواطنين ولاءً طائفيًا، يمارس، لا في الشعائر الدينية فحسب، بل في الأحوال الشخصية والانتماء. والدليل على هذا ان التشريعات القانونية في قانون الاحوال الشخصية الذي ينظم حياة المواطن اللبناني الاجتماعية (زواج، طلاق، ارث... الخ) قد كرس الانقسام الطائفي مع ما يترتب من تعدد الانظمة وتعارضها في الموضوع الواحد واختلاف الحق من طائفة الى طائفة وهذا يعتبر اخلال بمبدأ المساواة والعدالة بين المواطنين فيبلاد اعلن دستوره انها دولة موحدة مما جعل الشعب اللبناني شعوب موازية لعدد الطوائف الموجودة التي يتمتع كل واحد منها بانظمة احوال شخصية مخالفة لانظمة الطوائف^(٢)

(١) تقديم د. خالد قباني، موقع رئيس الجمهورية ودوره في النظام السياسي اللبنانية قبل وبعد اتفاق الطائف (دراسة مقارنة)، منشورات الحلبي الحقوقية، تقدم: بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٩١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢١

أمّا الدكتور جورج حنّا، فيقول «كانت الطائفية مشكلة الحكم في لبنان المتصرّفية، وكانت الطائفية مشكلة الحكم في لبنان الانتداب، وبقيت الطائفية مشكلة الحكم في لبنان المستقلّ، وستكون الطائفية إذا ما بقيت، المعول الذي سيهدم استقلال لبنان، ويقضي على الوجود اللبناني، أو يحدّ من انطلاقه على الأقلّ»^(١).

ويوضح أمين الريحاني عمق هذه الأزمة الناشئة عن التشعبات في الولاء القومي، بقوله إن في لبنان فريقين، بل حزبين «حزب رسم دائرة صغيرة وقال: هذه هي بلادنا، وهذه هي دائرتنا، وكلّ من كان على غير مذهبنا هو خارج الدائرة، وحزب رسم دائرة كبيرة حول الدائرة الصغيرة، وقال: هذه هي بلادنا». فالمبدأ الأوّل مبنيّ على الفكرة الطائفية التي لا ترى الحقّ في غير الاعتزال.. والمبدأ الثاني قام على الفكرة الاجتماعية السديدة أن لاهياة للشعوب المستضعفة إلاّ بالاتحاد^(٢). والطائفة بإمكانها أن تكون جسماً اجتماعياً يحمل درجة موروثه وعرقية من التلوّث الثقافي والديني، فيما «الطائفية». هي تحويل «الطائفة» إلى الإطار الوحيد لممارسة العمل السياسي. وبإمكان حتّى «الطائفيين»، أيّ الذين يقدّمون أنفسهم سياسياً بصفّتهم الطائفية، أن يملكوا حقّ التعبير عن لوهم في دولة ديمقراطية، لكنّ الشاذّ القمعي هو أن يتحوّل ذلك إلى المجال الوحيد لممارسة العمل السياسي. لذا، فإنّ الواقع الطائفي في لبنان هو نقطة الضعف^(٣).

(١) جورج حنّا، العقدة اللبنانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٧، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٣) مجموعة باحثين، لبنان وآفاق المستقبل، المصدر السابق، ص٢١.

ويتبين من كل ذلك أن سبب مصائب ومشكلات لبنان الرئيسية هو ما يعرف بالطائفية، التي يعدّها الجميع آفة محكمة، لذا، علينا التفريق بين المفهومين، أيّ الطائفة والطائفية، إذ إن هناك فرقاً جوهرياً وأساسياً بينهما.

ومسألة الطائفية في لبنان ذات صلة وثيقة بمشكلات بناء الدولة الحديثة، وبالمصالح الدولية والإقليمية التي كان لها أثر سلبيّ على أمن لبنان واستقراره. فاتفاق الطائف الذي عُقد في ٣٠ أيلول ١٩٨٩، جاء بمبادرة سعودية لوقف الحرب، وبموافقة أمريكية، وسمّي بـ (وثيقة الوفاق الوطني)^(١)، وقد أنهى خمسة عشر عاماً من الحرب الأهلية في لبنان، والتي شاركت فيها جميع الطوائف. إلا أن فشل السلطة السياسية التي أقيمت على أساس الطائفية في تطبيق أغلب بنوده، أوجد تدمراً كبيراً من زعماء الطوائف، التي حولوها إلى مذهبية مدمرة أفقدت النظام السياسي الطائفي كامل مصداقيته، بما يهدّد اللبنانيين بحروب مذهبية^(٢).

ومع تزايد الازمات الحادة الناتجة من التطور الاقتصادي - الاجتماعي - المشوه للمجتمع اللبناني في ظل دولته الطائفية، دفعت الى سلسلة من الازمات المتفاقمة تنفجر الواحدة تلو الاخرى في حقل الممارسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه الدولة برز نزاع اخر حول هوية لبنان العربية، وبالاخص في ظل تفاقم الازمات الاجتماعية والاقتصادية بعد ان عدا مظهر اخر للازمة. وفي ضوء ما ذكر يمكن القول ان تفجر الحرب الاهلية لم يكن معزولاً عن تفاقم الازمة الاجتماعية في البلاد، والادعاء بان هذه الحرب كانت فقط وليدة المؤثرات

(١) نادية فاضل عباس، الملف السياسي: تداعيات الازمة اللبنانية، يصدرها مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد العدد ١٢، بغداد، ٢٠٠٥، ص٥٠.

(٢) مسعود ظاهر، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية المصدر السابق، ص٩ - ١١.

الخارجية المرتبطة بعوامل الصراع العربي - الاسرائيلي وتحديدًا بالعامل الفلسطيني يشكل افتراء على الحقيقة، فمن دون ذكر هذه المؤثرات فلم تكن الحرب تفعل فلعلها المباشر والكبير في تفجير هذه الحرب لم تكن البنى الداخلية والسياسية والاجتماعية مهياة لتلقي هذا الفعل والاستجاب اليه.

بهذا المعنى يمكن القول ان الحرب الاهلية انخرطت في سياق منطلق تطور الازمة الاجتماعية في البلاد فيما اضطلعت عوامل النزاع الاقليمي بدور الصاعق المفجر لهذه الحرب^(١) وان الطوائف اللبنانية بوصفها مرتكزات التركيبة السياسية والاجتماعية للبنان لم تستطع التوصل الى اتفاق فيما بينها لو لم تتوافر معطيات وجهود عربية ودولية اجبرتها على الاتفاق فيما عرف لاحقا اتفاق الطائف او الجمهورية الثانية، فاتفاق الطائف اتى ليضع حدا للحرب الاهلية.

وفي ضوء ما تم ذكره فان هذه الظروف الاجتماعية والسياسية لدولة لبنان كان من الطبيعي ان تظهر قوى وتكتلات تعكس هذا الواقع التنوعي العرقي والديني والفكري، ولاسيما ان هناك خصوصيات معينة للبيئة الاجتماعية اللبنانية ربما من ابرزها هو ما شهدوه هذا البلد من حرب اهلية خلفت لدى اللبنانيين ذاكرة مليئة بالاحتقان الطائفي يمكن استحضارها بسهولة في حال تعرض لبنان الى لاي ازمة داخلية او خارجية، هذا ناهيك عن التدخل الخارجي (الاقليمي والدولي) الذي يلعب احيانا دور مهماً في رفع مستويات هذا الاحتقان وعلى الرغم من ذلك كله فان طبيعة هذا البيئة افرزت ولاسيما في العقد الاخير من القرن الماضي مرجعيات سياسية ودينية لدى القوى والاطراف اللبنانية

(١) المصدر نفسه ، ص ٦١

تفاعل بوعي ونضج سياسي وطني معها، بشكل يحول دون انفجار الواضح الداخل في لبنان، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال التعرض لآثر البيئة الاجتماعية في لبنان على نشأة حزب الله.

المبحث الثاني: تأثير البيئة الاجتماعية على نشأة حزب الله

ان انفجار الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٧٥م وما نتج عنها من انهيار مؤسسات السلطة السياسية القائمة آنذاك سهل لاسرائيل عمليات التسلل الاستخباري والسياسي في لبنان وساعدت الظروف القائمة على انشاء كيان للعناصر الموالية لها على اختلاف مذاهبها وطوائفها، حيث صرحت اسرائيل على عزمها اثار الفتن عن طريق استمالة المواطنين اللبناني الذي ينتمون الى طوائف دينية مثل بعض الطوائف المسيحية واثارة الفتنة الطائفية بينهم وبين الفلسطينيين والشيعية والسنة والدروز.

ولاشك ان الجيش الاسرائيل قد استثمر نتاج هذه التفرقة الطائفية التي زرعتها ولاسيما في مطلع السبعينات حينما بدأ التواجد الفلسطيني في جنوب لبنان يتزايد، وقد استخدمت عناصر ميليشيات ودعمها لتعزيز سيطرتها على الجنوب اللبناني، وفي ايلول عام ١٩٧٦م عينت اسرائيل الرائد (سعد حداد) المسيحي من قرية مرجعيون قائداً للميليشيات المحلية في الجنوب والتي اطلق عليها اسم جيش جنوب لبنان، وقد ساعدت الحرب الاهلية وتفكك الجيش الى اقامت هذه الميليشيات^(١)

(١) مجموعة باحثين، لبنان وأفاق المستقبل، ص ٩٨

وفي اذار من عام ١٩٧٨ غزت اسرائيل الاراضي اللبنانية، واحتلت المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني فيما عرف لاحقاً بعملية الليطاني، قامت حزاماً أمنياً متعاوناً معها ميليشيات الرائد سعد حداد ومن ثم انطوان لحد وعلى اثر الغزو الاسرائيلي لبنان اصدر مجلس الامن قراره رقم (٤٢٥) في ١٩ اذار من العام ١٩٧٨ م يدعو اسرائيل الى ان توقف فوراً عملها العسكري ضد الاراضي اللبنانية وتسحب على الفور قواتها، وعلى اثر هذا القرار حلت قوات الامم المتحدة مكان القوات الاسرائيلية، وقد اعترفت بقوات سعد حداد على انها قوات مهيمنة على هذه الاراضي وتقاسمت معها الاراضي اللبنانية^(١)

قامت اسرائيل مرة اخرى في شهر حزيران عام ١٩٨٢ م بغزو لبنان في اطار عملية واسعة (اسمها سلامة الجليل)، وكانت هذه العملية تستهدف وضع جميع سكان الجليل بمنأى عن نيران المقاومين الصادرة من لبنان ووصولاً الى تدمير البنية العسكرية الفلسطينية واخراج مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، وقد تكون هذه من الاسباب الاسرائيلية المعلنة الا ان الوقائع التاريخية تشير الى ان اسرائيل قد طالبت بضم منطقة الجنوب اللبناني الى الوطن القومي اليهودي اثناء مؤتمر الصلح عام ١٩١٩، ومع ان اسرائيل اجبرت على الانسحاب من بيروت لاحقاً واستمرت القوات الاسرائيلية بالتقهقر وصولاً الى التمرکز فيما اسمته بمنطقة الحزام الامني في الجنوب اللبناني في حزيران عام ١٩٨٥ م^(٢).

(١) ينظر الى، جورج حنّا، العقدة اللبنانية، المصدر السابق، ص ٦٧ - ٧٠.

(٢) ينظر الى، عبد الاله بلقزيز، المقاومة والتحرير جنوب لبنان، حزب الله من الحوزة العلمية الى الجبهة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص ٣٩ - ٤٨.

في خضم هذه التطورات السريعة المتلاحقة برزت الى الوجود المقاومة الاسلامية، ومن الغريب انها بدأت كمقاومة لا كتنظيم سياسي له جناح عسكري، وانما كانت قوة مقاتلة تشكل لها تنظيم سياسي، وهذا ما جعل المقاومة الاسلامية تتكيف مع كل الظروف والاضاع، فلا تتراجع عند المحطات التي يكون فيها الاطار السياسي منكفئاً في الداخل ومحاصراً فهي تنفصل في اداءها العسكري عن السياسية وتوظف السياسة لمصلحة هذا الاداء وهي في بناءها العسكري لا تتمايز عن الاطار السياسي^(١)، وبذلك تكونت لها عناصر الاستمرارية والبقاء في اكثر الظروف السياسية الصعبة، اولها عند النشأة الاولى حين لم يكن لها تنظيم سياسي يوظف نشاطها لحسابه، حيث كانت الولادة عسكرية امنية بدون هيئات قيادية او تشكيلات حزبية سياسية، بل اقتصر الامر على عدد محدود جداً من الاشخاص الموثوقين والكوادر العليا التي كانت موجودة انذاك، فهي لا تماثل المنظمات الحزبية الموجودة ولا الميليشيات العسكرية التي خرجت الى العلن في الحرب وساهم بعضها في الاعمال العسكرية للاجتياح وادى دوراً في المقاومة المسلحة قيل ان ينكفى كنتيجة طبيعية لانكفاء الحزب الذي يمثلها^(٢).

ومن هنا يظهر التمايز بين تلك الاحزاب وبين التجربة العسكرية السياسية للمقاومة الاسلامية واطارها السياسي حزب الله بموازاة النشاط العسكري الذي باشرته المجموعات العسكرية في المناطق التي احتلها الجيش الاسرائيلي في

(١) ينظر الى، عبد الاله بلقزيز، المصدر السابق، ص٤٠ - ٤١.

(٢) حسن فضل الله حرب الارادات (صراع المقاومة والاحتلال الاسرائيلي في لبنان، دار الهادي،

لبنان كانت التحركات ناشطة لايجاد اطار يجمع تلك المجموعات بعد ما انجز علماء الدين وشخصيات مدنية صيغة للعلاقة بين اتجاهات عدة من مدارس سياسية مختلفة^(١)

اذ كانت تلك القوى الصغيرة الخارجة من صراعات محلية فهناك مجموعات انشقت من حركة (امل) وكونت حركة امل الاسلامية وكما هو معروف فان تاسيس هذه الحركة من حيث التنظيم السياسي والبنية الفكرية، جاءت نتيجة للنشاطات الاجتماعية التي قام بها السيد موسى الصدر بعد عودته من ايران الى الجنوب اللبناني عام ١٩٦٠م واستقراره تحديداً في منطقة صور ليؤسس العديد من الجمعيات للعمل الديني، وتمكن من خلالها الصدر من استقطاب عدد كبير من المؤيدين وسعى الى استنهاض تيار شيعي لتوحيد الصف والتمسك للدفاع عن مصالح الطائفة المحرومة المعرضة للحرمان، وبعد سلسلة من الاحداث والمظاهرات التي قادها السيد الصدر اتجاه الحكومة للمطالبة بحقوق المحرومين اسس على اساسها (حركة المحرومين) ثم جعل بعد ذلك للحركة تنظيماً مسلحاً اسمها (افواج المقاومة اللبنانية) او (امل) عام ١٩٧٥م، لكن الحركة اصابها التصدع فتمخض عنها خطين^(٢).

التيار الاول يريد الانخراط في اللعبة السياسية اللبنانية، والثاني واظب على تلقي العلوم الدينية وفتح خطاً عقائدياً مباشراً مع ايران، فحصلوا منها على دعم

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٠

(٢) سعد المولى، شيعية لبنان من حركة المحرومين إلى حزب الله، مجلة مسارات، مؤسسة مسارات للتسمية الثقافية والإعلامية، بغداد، العدد (١٥)، السنة السادسة، ٢٠١١.

معنوي ومادي غداة الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢م، وتوسع الشرخ بين التيارين، ففي حين انضم التيار الاول برأسته نبيه بري الى هيئة الانقاذ الوطني الى جانب بشير الجميل.

اما التيار الثاني فباشرة العمل باتجاه مغاير تماماً حيث انشق السيد حسين الموسوي عضو المكتب السياسي للحركة والناطق الرسمي باسمها ومن ثم تاسيسهم مع مجموعة من المنشقين حركة (امل الاسلامية) مما يعني ان ولادة حزب الله جاءت نتيجة الانشقاق في حركة امل مع تبني سياق فكري مختلف، ومن جملة الذي انشقوا من حركة امل واسسوا حزب الله هم (السد ابراهيم الامين - ناطق رسمي باسم الحركة، السيد حسن نصر الله) اذن يمكن القول ان الجذور الفكرية الاساسية لحزب الله تكونت من حركة امل الاسلامية ومجموعات منضوية في الفرع اللبناني لحزب الدعوة واخرين مستقلين فضلا عن اللجان المساندة للثورة الاسلامية في ايران^(١).

يضاف الى ذلك ان المؤسسين الاولي لحرك امل وحزب الله كانوا من المتأثرين بمجموعة من العلماء وهم (السيد موسى الصدر، والسيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد حسين فضل، والشيخ محمد مهدي شمس الدين) فضلا عن الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م كان لها اثر فعال في تحفيز ودعم هؤلاء الاسلاميين، ان هؤلاء العلماء الذين يحملون رؤية فكرية متكاملة، ويملكون كفاءات ثقافية مهمة، يؤمنون بضرورة التحرك واحداث التغيير في الواقع

(١) امل سعد غريب، حزب الله الدين والسياسة، ترجمة: حسن الحسن، مركز الحضارة لتنمية الفكر

المعاش، لم يكن نمطهم واحد، فلكل مميزاته واسلوبه العملي وخطته للعمل على الساحة، كما ولكل واحد منهم لقاءاته وحركته واهتماماته، ولكن المنحى الذي اتخذته كل وواحد منهم كان مستقلاً.

المبحث الثالث: العوامل الاقليمية واثرها في نشأة حزب الله

أولاً: تأثير الاعتداءات الإسرائيلية في نشأة حزب الله

بدأ الجيش الإسرائيلي في السادس من حزيران من العام ١٩٨٢ هجوماً واسعاً على لبنان، برّاً وبحراً وجوّاً، وتقدّم بسرعة إلى مشارف بيروت، محاصراً للمرة الثانية إحدى العواصم العربية^(١).

من الوجهة القانونية والعرف العسكري، لم يكن لإسرائيل أيّ حجة لاجتياح لبنان. ومع ذلك، هي اجتاحتها، مدّعية أنها ستصل إلى مسافة (٤٥ كم) فقط لتوفير الأمن لحدودها بعيداً عن مرمى المدفعية الفلسطينية. لكنّ اللبنانيين رأوا أنها فرضت عليهم سياستها^(٢).

(١) مسعود أسد الله، الإسلاميون في مجتمع تعددي، ترجمة: دلال عباس، مركز الاستشارات والبحوث، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص١٠٧.

(٢) سليم الحصّ وآخرون، المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٢٨٥.

(*) العزّام الأمني: أو الشريط الحدودي المحتلّ، والذي تشكّل بعد الانسحابات الإسرائيلية التي جرت في العام ١٩٨٥، وبلغت مساحته (١٠٠٠ كلم٢) أو (١١٪ من مساحة لبنان)، بعد أن كانت حوالي (٥٠٠ كلم٢) بعد الاجتياح في ١٦/١٦ آذار/١٩٧٨، والذي عُرف بعملية الليطاني. وكانت تقع في منطقة الشريط الحدودي ١٧١ بلدة وقرية، وهي تميّز بوفرة المياه نظراً لكثرة أنهارها

ومنذ ذلك الوقت، تشنّ إسرائيل حروباً وهجمات متنوّعة ضدّ لبنان، مرّة بحجّة القضاء على وجود منظّمة التحرير الفلسطينية (حرب ١٩٨٢)، ومرّة بحجّة تقوية الحزام الأمني^(١) في جنوب لبنان (حرب ١٩٨٧)م، ومرّة ثالثة، وهي الأهم، بحجّة القضاء على المقاومة الإسلامية المسلّحة (حزب الله)، كما في حرب تمّوز عام ٢٠٠٦م^(٢)، والتي جاءت لتخرّب ما جرى تعميره، ولتدكّ المناطق اللبنانية كافّة، ولتعيد لبنان إلى الوراء، كما أفصحت قيادة الجيش الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية، إذ أطلق عليها اللبنانيون حرب تمّوز، وسماها الإسرائيليون حرب لبنان الثانية (بعد حرب لبنان الأولى ١٩٨٢)، واقترح بعض المحلّلين الصهاينة تسميتها، حرب إيران - إسرائيل الأولى، كونها نتاجاً للوجود الذي تمكّنت إيران من ترسيخه على سواحل البحر المتوسط، وتسبّب للمرّة الأولى في اندلاع حرب شاملة، حارب فيها ضدّ إسرائيل تنظيم يعمل بإيحاء من إيران ومزوّد بأسلحة إيرانية^(٣).

ولبنان، بحكم موقعه الجيوبوليتيكي في قلب الصراع العربي - الإسرائيلي، تأثّر مباشرة بالصراع في المنطقة، حيث شهد حرباً داخلية مدمّرة، واجتياحات

وينايبعها، وفي مقدّمها: نهر الليطاني، ونهر الوّزّاني، ونهر الحاصباني، للمزيد انظر الى: مسعود أسد الله، المصدر السابق، ص ١٦٠ - ١٦١، كذلك انظر الى، عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الاسرائيلية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص ١١٢

(١) سيد حسين موسوي، أسباب تفوق إيران في لبنان، مختارات إيرانية، العدد (١٢٥)، القاهرة، كانون الاول ٢٠١٠ ص ٥٠.

(٢) عدنان السيّد حسين (حلقة نقاشية)، حول الانسحاب الإسرائيلي من لبنان (ندوة)، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد، ٢٥٧، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩١.

إسرائيلية عديدة لأرضه. وعليه، فإن حالة التوتر الدائم هي سمة من سمات الواقع السياسي اللبناني، على رغم المقاومة الصلبة للمشروع الإسرائيلي، التي بلغت ذروتها مع صعود ظاهرة حزب الله، إذ اعتمد الحزب خياراً له وكأولوية مطلقة، مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، في إطار استراتيجية تعبوية تحشيدية، عسكرياً وشعبياً وسياسياً، من أجل إنجاز التحرير^(١)، وهكذا، فإن إسرائيل كانت تهدف من وراء اجتياحها العسكري الأول أن تجعل من لبنان الدولة الثانية التي توقع «معاهدة سلام» معها بعد مصر^(٢).

ثانياً: التأثير الإيراني على المشهد اللبناني وحزب الله

كان لإيران بعد الثورة وقبلها بفترة وجيزة علاقة وثيقة بالمشهد السياسي اللبناني وذلك من خلال وجود عدد من قادة الحركة الإسلامية في إيران ومن خلال العلاقات الوثيقة التي جمعت بين الإمام موسى الصدر وقائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني، وليس من الغريب بعد ذلك ان يكون الحراك الإسلامي الشيعي في لبنان هو الأكثر تأثراً بأحداث الثورة الإسلامية في إيران وإن تكون هنالك علاقة تفاعلية قائمة على التعاون والتنسيق بين قيادة الثورة والقيادات الإسلامية الشيعية في لبنان.

ففي الأسبوع الأول من حزيران ١٩٨٢م، استضافت طهران مؤتمر الحركات التحررية الذي انعقد بمناسبة النصف من شعبان، وقد شارك من لبنان

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٧.

(٢) مسعود أسد الله، المصدر السابق، ص ١٠٧ - ١٠٨.

ممثلو القوى الإسلامية وشخصيات دينية، كالسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ راغب حرب، والشيخ صبحي الطفيلي^(١). لكن ما إن باشر المؤتمر أعماله، حتى بدأت تصل تباعاً من لبنان، أنباء عمليات عسكرية تجري في منطقة الجنوب، ومن ثمّ تقدّم الجيش الإسرائيلي داخل المناطق الجنوبية، واحتلاله العديد من المواقع الاستراتيجية. ومع مرور الوقت، بدأ كلّ شيء يتّضح في طهران، التي هيمن على مؤتمرها عنوان رئيسي، هو اجتياح إسرائيل للبنان^(٢)، وكيفية مواجهة مخاطره، وقد توجّهت حينها أنظار المتحدثين في المؤتمر إلى الدولة الراعية للإسراع في تقديم الدعم والعون للمسلمين اللبنانيين والفلسطينيين^(٣)، وفي إحدى الجلسات، أعلن رئيس مجلس الشورى آنذاك، هاشمي رفسنجاني، عن إرسال وحدات من الحرس الثوري الإيراني إلى لبنان للمساهمة في مواجهة الهجوم الإسرائيلي، وذلك عن طريق سوريا، بعد أن وافقت قيادتها، على مرور قوات الحرس إلى لبنان، والتي أنشأت معسكرات للتدريب في منطقة البقاع لتدريب المتطوّعين، حيث اكتشف الناس هناك نموذجاً راقياً في التربية والإعداد والأخلاقية والإيمان. وقد أقبل على هذه المعسكرات عدد كبير من الشباب، وخاصّة من شباب حزب الله الذي بدأ يضمّ إلى صفوفه أعداداً من المؤمنين بأهدافه^(٤).

(١) مسعود أسد الله، المصدر السابق، ص ١١٦.

(٢) حسن فضل الله، الخيار الآخر: حزب الله السيرة الذاتية والموقف، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٤. ص ١٢ - ١٣.

(٣) مسعود أسد الله، المصدر السابق، ص ١١٦.

(٤) حسن فضل الله، الخيار الآخر: حزب الله السيرة، المصدر السابق، ص ٢٨.

وقد فاجأ وصول هذه القوّات إلى دمشق القيادة والشعب في سوريا الذين كانوا يظنون أن إيران، بسبب انهماكها في الحرب مع العراق، ليست قادرة على إرسال قوّات، وأن خبر إرسالها كان هدفة دعائياً لدعم سوريا ولبنان أو حرباً نفسية ضدّ إسرائيل. لكنّ مشاهدة قوّات الحرس مع تجهيزاتها الكاملة في مطار دمشق، أذهل الجميع، وقد استُقبلت استقبالاً شعبياً عفويّاً^(١). هذا مع العلم أنه كان لإيران نفوذ في لبنان لكن لم يكن لديها وجود سياسي أو عسكري قبل عام ١٩٨٢، وكان الوجود الإيراني رمزياً، يتمثل بمجموعة من المعارضة الإيرانية تعمل في ظل السيّد موسى الصدر، ومن بين هؤلاء: مصطفى شمران، الذي أصبح وزيراً للدفاع بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران^(٢).

بدأ الحرس الثوري بمهمّته والتي كان التدريب العسكري والتأهيل الفني جزءاً منها. أما جزؤها الأساس، فكان تعليم مجاهدي المقاومة الإسلامية روح الاستشهاد والتضحية في سبيل العقيدة والوطن. وبعد ذلك توالى الدورات العسكرية والثقافية التي اشترك فيها مئات الشبّان، فصقلت شخصيتهم وفق تعاليم الثورة الإسلامية، وفكر الامام الخميني، الذي أجاد الحرس الثوري نقله إلى اللبنانيين^(٣). وفيما بعد، أصبح يتمّ انتقاء بعض العناصر من الحزب وإرسالها إلى إيران لتلقّي دورات تدريب خاصّة في طهران وأصفهان ومشهد والأحواز. وبعد أن توقّفت الحرب مع العراق، أمر الامام الخميني بعودة القوّات، مع بقاء

(١) مسعود أسد الله، المصدر السابق، ص ١١٧

(٢) أمل سعد غريب، حزب الله الدين والسياسة، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣) عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الاسرائيلية، المصدر السابق، ص ٤٨

جزء من الحرس الثوري في لبنان لمساعدة المقاومة في تحويل المعركة إلى حرب استنزاف^(١).

اقترحت قوّات الحرس على المقاتلين اللبنانيين اعتماد تكتيك حرب العصابات، بهدف إضعاف قدرة القوّات الإسرائيلية الغازية، وحرمانها من فرصة التمركز والاستقرار في المناطق المحتلة، لأن عدم التوازن العسكري بين قدرات الجيش الإسرائيلي وقدرات لبنان ككل لا يتيح إمكانية خوض الحرب الكلاسيكية. لكن، هذا الاقتراح كان يتطلّب وجود الدعم الشعبي، ووجود المقاتلين المحليين المنظمين^(٢).

لقد شكّل الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، فرصة مهمّة لإيران فساعدت حزب الله، لوجيستياً في إطار بناء قاعدتها السياسية والعسكرية في لبنان. وتمكّنت عبر حزب الله من الإمساك بجانب رئيسي من الوضع في لبنان ومن الوضع العسكري الفاعل ضدّ إسرائيل، كما تمكّنت من كسب قطاع واسع من الرأي العام الشعبي إثر نجاح حزب الله في مقاومته بإخراج إسرائيل من لبنان عام ٢٠٠٠م^(٣).

وعلى الرّغم من وجود الحرس الثوري الإيراني في الجنوب اللبناني، إلاّ أنّه لم يشارك في المعارك ضدّ الكيان الصهيوني، وهو اكتفى بتقديم خدمات علمية ولوجستية وتدريبية وثقافية إلى حزب الله وغيره. وقد مثل لبنان بالنسبة للثورة

(١) حسن فضل الله ، حرب الارادات، المصدر السابق، ص٣٠٤.

(٢) مسعود أسد الله، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٣) عبد الحليم خدام، التحالف السوري - الإيراني والمنطقة، دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠١٠.

الإسلامية البيئة الخصبية، لتقبل شعاراتها الثورية وترجمة رؤاها في الصراع مع «إسرائيل». فعلى أرضه، يتحرك العمل الفدائي الفلسطيني، وعلاقة إيران بالشيعة اللبنانيين هي علاقة دينية وتاريخية^(١). فمع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وظهور اصطفاي جديد في «هيكل التوازن الإقليمي»، دخل لبنان في دائرة دول المواجهة ضد إسرائيل^(٢).

أمّا الأيديولوجيا التي حملتها الثورة الإسلامية، فكان حزب الله يحملها أيضاً، وهو ما يفسّر لنا نظرة إيران إلى حزب الله، ك رأس حرب في معركتها ضد إسرائيل. لذا، منحت إيران حمايتها لحزب الله، أي أن الحزب كان يعدّ نفسه امتداداً للثورة الإسلامية الإيرانية في لبنان. وبهذا، أكّدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية للعالم أن شعبيّتها تجاوزت الحدود الإيرانية إلى بلدان أخرى منها لبنان، وأن لديها رصيداً شعبياً عظيماً في أغلب دول المنطقة. وقد أصبحت الجمهورية الإسلامية التي تأثر بها حزب الله من الناحية الثقافية والفكرية المرجع الأساسي لكافة تطلّعاته المستقبلية^(٣).

والحقيقة ان ايران ارست وجودها في لبنان في خضم حالة الفوضى التي عمت هذه الدولة طوال سنوات وفي ظل واقع يسوده التوتر الدائم والعنف داخل لبنان وفي المنطقة المحيطة بها - اسرئيل، سوريا والفلسطينيون. ومن جهة

(١) حسن فضل الله، حرب الإرادات: المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) سيّد حسين موسوي، أسباب تفوّق إيران في لبنان، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) افتتاحية هآرتس، فلنبق خارج لبنان، مختارات إسرائيلية، يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، العدد ١٩٤، فبراير ٢٠١١، ص ٨٤.

ثانية، برز الدور الإيراني في قضية خطف الرهائن الغربيين والأمريكيين في لبنان، فقد اتّهمت الدول الغربية إيران بكونها وراء تنظيمات الجهاد الإسلامي، والتي بدأت عمليات اختطاف الرهائن الغربيين ١٩٨٢م، وتدمير السفارة الأمريكية في بيروت في نيسان ١٩٨٣م، ومقرّات مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) والقوّات الفرنسية، وهو ما نفت إيران مسؤوليتها عنه.

وهكذا بدأت مسيرة النفوذ الإيراني في لبنان، وكانت من مهام الحرس الثوري تشكيل حزب الله، وتنظيم عملية المقاومة الإسلامية ودعمها وتدريبها، وكان التوجّه الإيراني بعدم انزلاق الحزب في الحياة السياسية اللبنانية، والانصراف إلى المقاومة وإلى توسيعها وزيادة فاعليتها^(١). وبذلك، تمكّنت إيران من بناء قاعدة سياسية وعسكرية في لبنان على حدود فلسطين، وعلى ساحل البحر المتوسط. كما أصبحت عنصراً مهماً في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي وعاملاً مؤثراً في المعادلة الداخلية في لبنان^(٢). فهذا الانتصار كان بالنسبة للداخل الإيراني حدثاً مهماً، لأن جيل الثورة، وفي مقدّمته الامام الخميني، لعب دوراً أساسياً في تبني ودعم المقاومة الإسلامية في لبنان. كما لعب قادة الثورة مع الإعلام الإيراني على مدى سنوات المقاومة دوراً هاماً في إبقاء مسألة المقاومة في لبنان حيّة في ضمير الشعب الإيراني^(٣).

(١) عبد الحليم خدام، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) عبد الحليم خدام، المصدر السابق، ص ١٧.

(٣) محمّد رضا وصفي، (تحرير): حزب الله وتحرير جنوب لبنان، مركز الدراسات الاستراتيجية

والبحوث والتوثيق، ط ١، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٤٥.

ثالثاً: التأثير السوري في لبنان و حزب الله

بعد دخول الجيش السوري إلى لبنان بشكل رسمي في الأول من حزيران عام ١٩٧٦م، لوقف الحرب الأهلية فيه، تحوّلت سوريا إلى أحد اللاعبين الأساسيين في الساحة اللبنانية. فهي استطاعت أن تحقّق الهدوء في لبنان وأن تحافظ على التوازن الطائفي فيه، لكنّ نفوذها ضعف بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢م، وانسحاب الجيش السوري إلى سهل البقاع، إذ دخلت الحكومة اللبنانية عملياً تحت النفوذ الإسرائيلي، فلبنان لا يرى نفسه خارج مقتضيات الصراع العربي - الإسرائيلي، خصوصاً المواجهة التي يشكّل لبنان وسوريا وفلسطين مثلث قواها الرئيسي. ولهذا، تدّعي إسرائيل أن المشكلة في لبنان تكمن في وجود المقاومة الإسلامية والعلاقة مع سوريا^(١).

وفي النتيجة أخرج المسلحون الفلسطينيون والجنود السوريون من بيروت، وتوصلت الى توقيع اتفاق ١٧ آيار ١٩٨٣م، في عهد الرئيس امين الجميل، ودخلت القوات الأمريكية مرة جديدة الى لبنان (كانت المرة الأولى سنة ١٩٨٥م)^(٢)، اذ استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية لبنان كورقة ضغط على سوريا مما ادخل الساحة السياسية اللبنانية طرفاً في تصفية الحسابات بين القوى الدولية المتمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا من جهة وسوريا من جهة اخرى.

(١) ناصر فتديل، حروب كبيرة في شرق أوسط صغير، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٥٦.

(٢) حازم صاغية، سوريا ولبنان: اصول العلاقات وأفاقها، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٠٦ سلسلة محاضرات الامارات، ابو ظبي، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٢

لذا وقرّ الاحتلال الإسرائيلي مناخاً ملائماً لتشكّل حالة من الالتفاف والإجماع الوطني حول المقاومة اللبنانية وحول دور سوريا كداعم لها. ولم يقتصر الدعم السوري للمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان على القول والتصريح، بل تعدّى ذلك بكثير، موفراً لهذه المقاومة بُعداً استراتيجياً. كما يقدر اللبنانيون الدعم السوري المستمرّ لعملية بناء مؤسسات الدولة اللبنانية، ولا سيّما مؤسسة الجيش اللبناني، التي تشكّل العمود الفقري لاستعادة الدولة عافيتها وقدراتها^(١). وبصرف النظر عن تعقيدات ملفّ العلاقات اللبنانية - السورية وتفصيله، فالرّة التي كانت تتنفس منها المقاومة ولبنان في الظروف الصعبة هي سوريا، هذا فضلاً عن الدعم الخارجي الذي وصل من إيران ومن جهات عربية وأجنبية، وكلّها عوامل صنعت الانتصار^(٢).

وبرعاية سوريا إلى جانب دول أخرى، حدّد اتفاق الطائف لحزب الله مكانته كمليشيا محصّنة من تجريد سلاحها فسوريا، ولأسبابها الخاصّة بها، من بينها علاقتها الخاصّة مع إيران، ساعدت في بناء لبنان وتجريد الميليشيات من سلاحها، لكنّها أبقّت حزب الله على حاله، بسبب الحاجة لوجوده في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي. وأسفر هذا الاتفاق عن إيجاد معادلة جديدة للقوى السياسية اللبنانية، أعطت لأنصار سوريا حضوراً ملموساً ومؤثراً في العملية السياسية، كما كان سبباً في إخراج لبنان من الفراغ الدستوري بانتخاب ميشال سليمان رئيساً توافقت عليه القوى السياسية من موالاته ومعارضة^(٣).

(١) ناصر قنديل، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٢) عدنان السيد حسين، المصدر السابق، ص ٩١.

(٣) ناصر قنديل، المصدر السابق، ص ١١٢.

وفي الواقع، لقد أدرك حزب الله جيداً أن دعم إيران له هو مصدر مشروعيته الدينية، وأن انسجامه مع السياسات السورية في لبنان، هو عامل تسهيل لنشاطاته. لذلك، أظهر الحزب مرونة أكبر في علاقته بسوريا بعد اتفاق الطائف. لكن هذه المرونة لم تكن بالتأكيد موضع تأييد الجناح الراديكالي في حزب الله، إلا أن تدخل إيران دفع أعضاء الحزب لتغيير نظرهم إلى سوريا. وعلى هذا الأساس، فإن حزب الله الذي اتبع منذ نشأته الأولى أسلوب المقاومة في سبيل تحرير الأراضي المحتلة، وأخذ على عاتقه العمل على تشكيل مجتمع المقاومة، فوجد في سوريا الحاضن الأول لهذا النهج والداعم الأساسي لمسيرة المقاومة.

المبحث الرابع: حزب الله النشأة والتطور

أولاً: تأسيس حزب الله

إن حزب الله^(١) هو مؤسسة سياسية لبنانية إسلامية الطابع، شيعية التقاليد،

(١) انطلقت تسمية حزب الله من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وأيضاً لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وقد أفاد المجاهدون من تسمية «حزب الله» التي تداولوها قبل تبني القيادة لها؛ ذلك أن الاقتراح من «لجنة التسعة» كان «الحركة الإسلامية في لبنان». لكن، تبين تبني مجموعة إسلامية أخرى في لبنان لهذه التسمية، فتمّ العدول عنها، من دون الاهتمام في بداية الأمر بتسمية الحزب والاكتفاء بتسمية المقاومة الإسلامية، التي باشرت عملها الجهادي، إلى أن تقرّر في الشورى إطلاق اسم «حزب الله»، وذلك قبل إعلان الرسالة المفتوحة بمدّة وجيزة.

عربية التوجّه والانتفاء. وللحزب نشاطات اجتماعية واسعة جداً، ولديه مؤسسات قوية في حقول التربية والمساعدات الاجتماعية، فضلاً عن مؤسساته الإعلامية الهائلة النشاط.

كانت البدايات في تشكيل حزب الله الذي تهيّأت ظروفه في لبنان، من خلال تغلغل خلايا لحزب الدعوة في جسد حركة «أمل»، التي وجدت فرصتها للخروج إثر دخول رئيس الحركة نبيه بريّ زعيم حركة أمل، بانضمام حركته إلى جبهة او (هيئة الانقاذ الوطني) ممثلاً للطائفة الشيعية في هيئة الإنقاذ الوطني، التي دعا فيليب حبيب إلى تشكيلها خلال الأيام الأولى للاجتياح الإسرائيلي للبنان والتي حضرها، تحت رعاية الرئيس اللبناني الراحل إلياس سركيس، ممثلو الطوائف والمذاهب: بشير الجميل عن الموارنة، وليد جنبلاط عن الدرّوز، فضلاً عن شفيق الوزان كرئيس للوزراء ممثلاً للسنة، وفؤاد بطرس ممثلاً للأرثوذكس، ونصري المعلوف ممثلاً للكاثوليك. لكنّ بزر تيار داخل حركة أمل كانوا معارضين لهذا. ومن تلك النقطة بدأت تتصاعد الخلافات، وانفصل هذا التيار عن الحركة. وكانت هذه مسألة واضحة ومتوقّعة، بسبب بعض الخلافات في الرأي، وبخاصّة في ما يتعلّق بوجهات نظر هؤلاء وتفسيراتهم لنصائح الإمام موسى الصدر.^(١)

كان السيّدان عبّاس الموسوي وحسن نصر الله يمثلان هذا التيار داخل «أمل»، وكان لهما أتباع ومريدون تشبّعوا بأفكارهما. لذلك عندما حاولت «حركة أمل» ورئيسها نبيه بريّ فتح خطوط مع جبهة الإنقاذ الوطني بزعامة بشير

(١) حسن نصر الله، السيرة الذاتية، حول العدوان على لبنان (ملف)، المصدر السابق، ص ١١٥.

الجميل، اتخذ كل من الموسوي ونصر الله ومؤيديهما موقفاً رافضاً لهذا التحرك، حيث يُعدّ بشير الجميل، خطأً أحمر لدى هذا التيار، بسبب موالاته لإسرائيل، وهنا كانت البداية الأولى لظهور حزب الله، إذ بدأ هؤلاء الشباب بالاتصال برفقائهم الحركيين في مختلف المناطق اللبنانية بهدف تحريضهم على ترك تيار بري والانضمام إلى حزب الله.^(١)

ويذكر عبد الإله بلقزيز ليس معنى ذلك أن «حزب الله» خرج إلى الوجود بعملية انشقاق سياسي - تنظيمي عن «أمل»، فسياق ولادته الفكري والسياسي مختلف. ولكن المؤكّد أن عدداً كبيراً من مسؤولي الحزب قد خرج متمرداً - من رحم حركة «أمل». ومن جملة هؤلاء السيد إبراهيم الأمين، وكان رئيس مكتب «أمل»، في طهران حتى العام ١٩٨٢، ومصطفى الديراني مسؤول الأمن المركزي في «أمل»، والسيد حسن نصرالله، الأمين العام الحالي لحزب الله. ومع ذلك، فمنابت «حزب الله» مختلفة اختلاف مراجعه وولاءاته.^(٢) فقد جاءت التسمية للحزب حسب ما ذكر بالوصف القرآني «الحزب الله»، كمفهوم الجماعة المؤمنة بالتحاليم الإلهية، والمتجاوزة لكلّ الشكليات الرحمية أو القبلية أو المناطقية في سبيل أهدافها، أراد حزب الله في لبنان السير في خطاه ضمن إطار فكري متحرك، ركّز على بنائه في بدايات انطلاقه، مستخدماً الخلايا الصغيرة التي كانت تتلقّى المبادئ التي يقوم عليها حزب الله في المراكز أو المساجد، بعيداً عن أي تدخلات خارجية،

(١) ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، للمزيد انظر شبكة الانترنت www.ar.wikipedia.org

(٢) عبد الإله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان: حزب الله من الحوزة العلمية إلى الجبهة،

بحيث بقي النطاق ضيقاً ومغلقاً حتى اكتملت عوامل البناء.^(١)

ومهما كانت دوافع التسمية، فالسلوك العملي سيكشف طبيعة أهداف الجهة المقاومة، ولن تغير التسمية - وطنية كانت أم شعبية أم إسلامية - من المضمون. فالأفضل أن تعبّر التسمية عن الأهداف بوضوح وصدق منذ البداية فهو أسلم للمسيرة، وقد ارتأى حزب الله هذه التسمية لقدرتها على تبيان أهدافه وتوجهاته، بما ينسجم مع ما يؤمن به، وقد أثبتت التجربة العملية أن التسمية ليست مشكلة، وقد ألّفها الجميع وتعاطوا معها بإيجابية، ولم يؤثر تعدّد التسميات على واقع المقاومة. فالعبرة بالعمليات الواقعية ونتائجها وليست بالتسميات.

أمّا بالنسبة إلى التحوّلات التي أحدثها حزب الله في بُنيته التنظيمية، فهي اتّسمت بالجرأة، واستندت إلى ركائز موضوعية، إلا أنها رسّخت في النتيجة نجاح التجربة الرائدة لحزب الله (الشيعي، اللبناني، العربي). والحقيقة أن ظروف نشأته قد فرضت بدورها نمطاً من العلاقات الترابطية مع كل من إيران وسوريا، ولعبت فيها المتغيّرات السياسية والاجتماعية والأيدولوجية التي شهدتها الساحة اللبنانية والمنطقة العربية، محدداً رئيسياً في تحديد الخطّ السياسي لحزب الله وعلاقته بباقي القوى السياسية اللبنانية. وبذلك تختلف نشأة حزب الله عن كثير من الحركات والمنظّمات الإسلامية التي عرفت البلدان العربية منذ مطلع الثمانينات - أي حقبة ازدهار وصعود ما بات يُطلق عليه الإسلام السياسي، وتفسّر الظروف التي أدّت إلى ولادته الكثير من سياساته اللاحقة والتحوّلات التي مرّ بها. وقد

(١) حسن فضل الله، الخيار الآخر: حزب الله: السيرة الذاتية والموقف، المصدر السابق، ص ٣٦.

استطاع حزب الله خلال حقبة قصيرة أن يُثبت موقعه السياسي والشعبي ضمن الطائفة الشيعية، وهو اليوم الحزب الوحيد الذي يجمع بين العمل السياسي والعسكري والأمني، بدعم من الدولة اللبنانية وسوريا وإيران.^(١)

وقد أثبت حزب الله قدرته على التصدي للاحتلال الإسرائيلي، وأن باستطاعته خوض المواجهة النديّة مع هذا الاحتلال. وشعر الجنوبيون أن الحماية التي افتقدوها طيلة العقود الماضية استرجعها لهم حزب الله. وبما أنه كان يقدم الشهداء ويحقق الانتصارات، استمرّت مشاعر التأيد له والالتفاف حوله، حتّى بات وجود الحزب - والمقاومة التي يقودها - جزءاً لا يتجزأ من الواقع الشيعي الجديد، الذي بات يشعر بأنه يمتلك وسيلة الدفاع عن نفسه، والتي انتظرها بعد الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢. وزاد هذا الشعور بأن المقاومة أصبحت جزءاً من الواقع الشيعي الجديد في كلّ مرّة يُطرح فيها نزع سلاح المقاومة، من دون أيّ بديل جدّي وعملي يؤمّن الحماية المفترضة للجنوبيين من التهديد الإسرائيلي.^(٢) والحزب يُعد اليوم من أشدّ الأحزاب فاعلية في الحياة السياسية في لبنان، ومثالاً للمنظمات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي.

كما يهتمّ حزب الله بمصير ومستقبل لبنان، ويسعى مع القوى السياسية اللبنانية لإقامة مجتمع أكثر عدالة وحرية، وهو يرفع شعار دعم وتبني القضية الفلسطينية، إذ ينادي حزب الله بضرورة القضاء على إسرائيل بوصفها كياناً غير مشروع، عادداً الأراضي الفلسطينية كلّها أرضاً محتلة من البحر إلى النهر. وهذا ما

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٨ - ٨٩.

ستتناوله لاحقاً في دراستنا هذه.

وكان للسيد حسن نصر الله بعد السيد فضل الله دور بارز في حزب الله حيث أتقن رفع مستوى الخطاب السياسي للحزب، فذهب بالمقاومة المسلّحة للعدوّ إلى الحدود التي أقنعت الجميع - إلاّ من ذهب مذهب الجحود من الأخصام- بأن الحزب هو حزب وطني وليس حزباً طائفياً.^(١) ومن هنا، سنحاول أن نطلّ على حياة السيد نصر الله السياسية، بموازة الحديث عن نشأة الحزب وتطوّره.

المطلب الثاني سيرة السيد حسن نصر الله ومواقفه

حين تأسّس حزب الله، كان السيد حسن في الثانية والعشرون من عمره، إذ أصبح مسؤولاً للحزب في منطقة بعلبكوبعدها، أصبح مسؤول الحزب في البقاعوبعد مدة، عيّن معاوناً ثنائياً للسيد إبراهيم أمين السيد، الذي كان مسؤولاً للحزب في بيروتوبعدها بوقت قصير، قرر حزب الله أن يفصل الشؤون السياسية عن نشاطاته العملية والتنظيمية، واختار السيد إبراهيم الفرع السياسي، فيما أصبح السيد نصر الله مسؤول منطقة بيروت ثمّ تسلّم منصب المسؤول عن المجلس التنفيذي، وكانت مهمّاته تشمل تنفيذ أوامر مجلس الشورى وقد عيّن لاحقاً في هذا المنصب.^(٢)

(١) عبد الإله بلقزيز، حزب الله من التحرير إلى الردع (١٩٨٢ - ٢٠٠٦)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ص٢٨.

(٢) السيد حسن نصرالله، السيرة الذاتية، حول العدوان على لبنان (ملف)، المستقبل العربي، المصدر السابق، ص١١٦.

لكنّ طموح السيّد نصر الله ظلّ ينصبّ على إكمال دراسته العلمية، فغادر لبنان متوجّهاً إلى إيران، وإلى مدينة قم بالتحديد. لكنّ النزاعات والتخاصم الذي حصل بين «أمل» وحزب الله اضطرّته للعودة إلى لبنان وعند عودته، لم تكن له مسؤولية محدّدة، لأن الشيخ نعيم قاسم، كان قد تسلّم الموقع السابق له. لكن وبعد تعيين السيّد عبّاس الموسوي أميناً عاماً للحزب، جرى تعيين الشيخ قاسم نائباً للسيّد الموسوي، وأسندت لنصر الله مسؤوليته السابقة ويتمتع السيّد حسن نصر الله بالمصداقية التي اعترف بها العدو قبل الصديق، فهو إذا وعد وفي، وإذا قال فعل، وإذا هدّد أخذ الأعداء تهديداته محمل الجدّ، فيلقي الرعب في قلوبهم ويزيد من عزيمة قوّة المؤمنين المجاهدين.^(١)

لقد نظر «حزب الله» إلى نفسه في بدايته تكوينه، على أنه الأمة لا الإطار التنظيمي الضيق، بحيث أورد في رسالته المفتوحة نحن في لبنان، لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً، بل نحن أمة ترتبط بالمسلمين في كافة أنحاء العالم، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام. ومعظم أفراد حزب الله هم من اللبنانيين الشيعة المرتبطين مذهبياً بإيران، حيث يعتبرون آية الله على خامنئيمرشد الثورة الإسلامية الإيرانية، واحداً من أكبر المراجع الدينية العليا لهم، ويُعتبر السيّد حسن نصر الله (الأمين العام الحالي لحزب الله) الوكيل الشرعي لآية الله على خامنئي في لبنان^(٢). هذا الارتباط الأيديولوجي والفقهية بإيران

(١) المقاومة الإسلامية في لبنان، للمزيد انظر: شبكة الانترنت <http://somod.shioweb.org>

(٢) علي حسين باكير، حزب الله والمشروع الاقليمي الايراني "العلاقة والدور"، عمان، للمزيد انظر

شبكة الانترنت <http://www.albayan.co.uk>

سرعان ما وجد ترجمته المباشرة في الدعم السريع والمباشر من الجمهورية الإسلامية، وعبر حرسها الثوري، للحزب الناشئ.^(١)

تشكل حزب الله في ظروفٍ غلب عليها طابع المقاومة العسكرية للاحتلال الإسرائيلي لذلك، بنى الحزب أيديولوجيته السياسية على أساس مقاومة الاحتلال (وداعميه)، وكانت أولى العمليات الناجحة التي نفذها وأكسبته شهرة مبكرة في العالم العربي، قيامه بنسف مقرّي القوّات الأمريكية والفرنسية في تشرين الأول عام ١٩٨٣، حيث أسفرت العمليتان المذكورتان عن مقتل (٣٠٠) جندي أمريكي وفرنسي. وشارك حزب الله في الحياة السياسية اللبنانية بإيجابية، وخاض معترك الانتخابات، ودخل إلى البرلمان بعدما تحالف مع حركة «أمل» ومع بعض اليساريين في الجنوب في الانتخابات التشريعية، بل هو قدّم مرشّحين مسيحيين في قائمته. وبالجملة، فقد نجح حزب الله في أن يتخطّى جمهور طائفته ليخاطب سائر اللبنانيين بخطابٍ لقي منهم الرضى والقبول.^(٢)

بعد أن كانت بعض الحركات الإسلامية لا تؤمن بالمشاركة في النظام السياسي، أصبحت اليوم تؤمن بذلك، وهي تشارك فيه ولديها برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وتربوي واضح المعالم ومحدّد الخطوط والمراحل. وهناك فئة أخرى من الحركات بلورت لها مشروعاً سياسياً، يأخذ في الاعتبار خصوصيات المرحلة وأولويّات الضرورة، والقدر الممكن من التحقق والإنجاز،

(١) موسوعة حزب الله، سلسلة كبار لبنان، ج١، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) عبد الإله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان: حزب الله من الحوزة إلى الجبهة، المصدر

والتدرّج بالجزء عوضاً من فورية الكلّ، والتفكير القريب قبل التفكير البعيد، والتخطيط الممكن عوضاً من التخطيط الأمثل.

من هنا، فقد سجّل النشاط السياسي لحزب الله قفزات نوعية في بناء شبكة علاقات سياسية واسعة في إطار خطة مقررّة في المؤتمر الأوّل الذي عقده الحزب، وناقش فيه باستفاضة خطة عمله في مرحلة ما بعد اتفاق «الطائف» وما أعقبه من متغيّرات محلية إقليمية، ونصّت الخطة^(١) على مشروع مرحلي، استكملت مناقشاته في المؤتمر الثاني الذي عُقد مع بداية العام ١٩٩٢^(٢).

وقد أقرّت بنود هذه الخطة، مشروعية الدخول في وظائف الدولة، والانخراط الفعّال في الحياة السياسية، والمشاركة في البرلمان، وأبقت مسألة المشاركة في الحكومة معلّقة، مع ترك الباب مفتوحاً لمناقشة كلّ عهد على حدة، ودراسة الإيجابيات والسلبيات. وهكذا خطا حزب الله خطوات مهمّة في طريق تفعيل مشاركته السياسية، بعدما اقتصرت المرحلة الأولى من حياته على البناء الداخلي ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ومواجهة تحديات داخلية وخارجية^(٣).

(١) تضمّنت هذه الخطة عدّة بنود، أبرزها:

١ - تحرير الجنوب من الاحتلال الإسرائيلي، وتكريس مبدأ العداء لإسرائيل.

٢ - إلغاء الطائفية السياسية، وإقامة نظام على أساس الاختيار الشعبي.

٣ - الانفتاح السياسي على الأطراف اللبنانية، باستثناء المتعاملين مع إسرائيل.

٤ - تأكيد الوحدة الإسلامية.

٥ - تأكيد التماسك الداخلي الشيعي..

(٢) حسن فضل الله، الخيار الآخر: حزب الله - السيرة الذاتية والموقف، المصدر السابق، ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) حسن فضل الله، الخيار الآخر: حزب الله - السيرة الذاتية والموقف، المصدر السابق، ص ٩٦.

الخاتمة

لاشك ان طبيعة البيئة الاجتماعية ودورها في احداث لبنان كان واضح، فالانقسام الاجتماعي والطائفي هي واحدة من ابرز سمات المجتمع وهذا الانقسام سرعاً ما تتصاعد وتيرته في بعض الاحيان، مما يؤدي الى تصادم المكونات الاجتماعية بنزعة ذات صبغة طائفية تزامنا مع ضعف الدولة ووجود العوامل الاخرى، فالعامل الاقتصادي كان له دور واضح في تأجيج اوضاع لبنان وتأسيس حزب الله، فبني الخطط الاقتصادية وخصخصة الاقتصاد في عقد الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي مع عدم توافر المقومات الاساسية لهذه المشاريع، ذهب باتجاه توسيع حدة التناقضات والفوارق الطبقية والاجتماعية بين المجتمع، مما ادى ظهور قطاع واسع من المجتمع يعيش حالة الحرمان والفقر مع وجود فئة صغيرة تمتلك ثروات البلد، والتي اصبحت فيما الطبقات والشرائح الاجتماعية المحرومة الركيزة الاساسية التي استندت عليها الحركات الاسلامية، بعد ان شكل الامام موسى الصدر حركة المحرومين ودعاها لدخول في تنظيمات وهيئات اجتماعية التي اصبحت فيما بعد قاعدة جماهيرية للحزب الاسلامي وبالاخص مع دعوة حزب الله الذي اعتبر العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروات وتقليل الفوارق والتمايز الطبقي واحدة من اساسيات واهداف الحزب الله لتحقيقها داخل المجتمع اللبناني، لانها شكلت حافز اساسي في اشعال الحرب الاهلية.

تراجع مواقف التيارات والحزاب السياسية(الليبرالية - الاستراكية - القومية) في لبنان ومواقفها من العدوان الاسرائيلي وانتهاجه لاسلوب الحكم،

تزامنا مع تصاعد التيارات والاحزاب الاسلامية في عقد الثمانينات بات مايعرف بالاسلام السياسي ومواقفها الثابتة حيال الكيان الاسرائيلي، لعبة دور مهم ببروز حزب الله الى الساحة اللبنانية مع تاكيد الحزب على دعم القضية الفلسطينية وعدم الدخول باي، مفاوضات سواء بصورة غير مباشرة او غيرها من قبل بعض القوى والاحزاب مع الكيان الاسرائيلي

وعلى الرغم من نشأة الحزب في ظل الظروف الصعبة التي مرت بها لبنان بصورة عامة والحركات الاسلامية وبالاخص حزب الله وقصر عمره السياسي، لكن الحزب اكد وجوده و حضوره على صعيد الساحة السياسية اللبنانية متجاوزا في حضوره واستباق وجوده وتأكيد احقيته كثير من الاحزاب والقوى السياسية اللبنانية العريقة، وقد استطاع الحزب وبحقبة قصيرة من كسب تقدير واحترام قطاعات واسعة من الشعب اللبناني وبالذات الشيعية منهم والذين يمتلكون الطائفة الاكبر دينيا من بين الطوائف الدينية الاخرى وتعاضم دوره وتضاعف رصيده وانصاره ومؤيده، عندما استطاع اجبار الجيش الاسرائيلي على الانسحاب من جنوب لبنان في آيار عام ٢٠٠٠م، معززا انتصاره العسكري هذا بملحمة التصدي للعدوان الاسرائيلي على لبنان في تموز عام ٢٠٠٦م.

يضاف الى هذا ان حزب الله كانفي بداياته الاولى انتهج نهج المقاومة ضد الاحتلال وكانت مواقفه واضحة اتجاة العدو، لكن ما ان طرأت المتغيرات على المشهد الداخلي والاقليمي والدولي وقراءته للواقع انخرط بالعمل السياسي ليكون شريك وحزب منافس بهذا الوسط، من دون التنازل عن المقاومة، فقد دخل المنافسة في الانتخابات البرلمانية بعد تحالفه مع مجموعة من القوى السياسية

الاسلامية وغير الاسلامية، وان دلت على شي تدل على امكانية الحزب وقرائه للظروف الواقعية، مما جعلته اكثر ديناميكية في الاوسط السياسية، مع تاكيده واصراره على مبادئه الاسلامية ومواقفه الثابتة اتجاة العدو واعتبار المقاومة منهج لايمكن التنازل عنه ما لم يحقق اهدافه، وهذا يعطي انطباع جيد عن الحزب من قراءته للأحداث مع ثباته على أسسه، على عكس باقي الحركات الاسلامية التي ظهرت انذاك وتعثرت بالاندماج مع الواقع بمتغيراته السريعة وقصر تشخيصها لمتطلبات الواقع المعاصر والتغيرات التي حدثت على المستوى الداخلي في بلدانها او على المستوى الدولية بمختلفة انواعه.

يرجع سبب تفوق حزب الله وتحقيقه هذه المنجزات في مختلفه الميادين والصعد وتجاوزه المصاعب والمشاكل الداخلي والدولية، وذلك بأستناده على قاعدة فكرية اسلامية اصيلة وقيادة اسلامية حكيمة، سوى على مستوى داخل لبنان بوجود الكثير من العلماء الذين تأثر بافكارهم واتباع مناهجهم العلمية وقراءتهم المعاصرة التي اضفت مرونة على حركة الحزب، مما جعلته يتكيف مع الاحداث، وتأثروه على المستوى الاقليمي بوجود القيادة الدينية الايرانية المتمثلة بالامام الخميني والخامني الذين كان لهم الدور الواضح والمؤثر في تأسيس الحزب ووضع أسسه واستراتيجيات عمله الفكرية والسياسية ودعمه بكل الاشكال.

ومن النشاط السياسي والبنوي لحزب الله هو المطالبة بالغاء الطائفية التي عدها الحل الامثل، فقد كانت سبباً في الازمات واندلاع الحروب التي مر بها النظام السياسي اللبناني مروراً بأزمة عام ١٩٥٨م و ١٩٧٥م، وانتهاء عام ١٩٩٠م، اذ لا تزال الطائفية تعد مشكلة اساسه عرقلت التجانس الاجتماعي، وعلى مستوى اعلى اثرت في النظام السياسي اللبناني.

وقد جاءت مطالبة الحزب بالغاء الطائفية السياسية عبر رسالة مفتوحة لكافة اللبنانيين، من ان الطائفية السياسية تشكل مكمل الخلل الجوهري في صيغة النظام السياسي اللبناني وبنيتة المجتمعية والتي تفرز اغلب مظاهر عدم الاستقرار الداخلي وتشكل على ارضيتها الاضطراب الذي يطبع مؤسسات الدولة وعلاقات الطوائف فيما بينها.

يضاف الى ذلك رغم تاثير الظروف والعوامل المؤثرة في نشأة حزب الله ومنها البيئة الاجتماعية وما لعبته من دور في نشأة الحزب، الا ان الحزب مستمر بعمله ونهج الفكري والسياسي الذي خطه لنفسه مع استمرار وجود الغاية والهدف الاول، الذي لم يحقق لحد الان وهو اسرائيل وسياستها التوسعية في المنطقة على حساب جيرانها والذي اعتبرها هي الشر المطلق وبالنتيجة حتى لو تحققت الغاية والهدف لحزب الله فانه مستمر بالعمل الجهادي والسياسي، باعتباره طرف مهم في المعادلة السياسية اللبنانية وهو فاعل رئيسي بها على مستوى تواجده داخل مؤسسات الدولة والقاعدة الجماهيرية، بالاضافة الى تمدد سياسة ورؤية الحزب من الساحة اللبنانية الى الاطار الاقليمية والدولي، فقد اصبح طرف مهم لا يمكن تجاوزه بمنطقة الشرق الاوسط.

المصادر

- ١ - أمل سعد غريب، حزب الله الدين والسياسة، ترجمة: حسن الحسن، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩.
- ٢ - إلياس سابا، الاقتصاد اللبناني: أين والى أين، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢.
- ٣ - برناديت شينك: كمال جنبلاط: التراث العربي الإسلامي ودور الدروز في مفهومه لتاريخ لبنان، ترجمة كامل إسماعيل، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٩
- ٤ - جهاد الزين، مستقبل الوحدة الوطنية والنظام السياسي اللبناني، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- ٥ - جورج حنّا، العقدة اللبنانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٧.
- ٦ - حازم صاغية، سوريا ولبنان: اصول العلاقات وآفاقها، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٠٦ سلسلة محاضرات الامارات، ابو ظبي، ط١، ٢٠٠٧
- ٧ - حسن فضل الله حرب الارادات (صراع المقاومة والاحتلال الاسرائيلي في لبنان، دار الهادي، بيروت، ط٢، ١٩٩٨.
- ٨ - _____ الخيار الآخر: حزب الله السيرة الذاتية والموقف، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
- ٩ - خالد قباني، موقع رئيس الجمهورية ودوره في النظام السياسي اللبنانية قبل وبعد اتفاق الطائف (دراسة مقارنة)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٠ - سعد الدين ابراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.
- ١١ - سليم الحصّ وآخرون، المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨٤
- ١٢ - صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي، مطبعة رشاد، بغداد، ١٩٧٣.
- ١٣ - عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الاسرائيلية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- ١٤ - عبد الحليم خدام، التحالف السوري - الإيراني والمنطقة، دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠١٠.
- ١٥ - عبد الاله بلقزيز، المقاومة والتحرير جنوب لبنان، حزب الله من الحوزة العلمية الى الجبهة،

- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- ١٦ - عبد الإله بلقزيز، حزب الله من التحرير إلى الردع (١٩٨٢ - ٢٠٠٦)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت.
- ١٧ - فريد الخازن، الأحزاب السياسية في لبنان: حدود الديمقراطية في التجربة الحزبية، الناشر: المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- ١٨ - كمال المنوفي، نظريات النظم السياسية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٥.
- ١٩ - مجموعة باحثين، لبنان وآفاق المستقبل، مصدر دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١
- ٢٠ - _____ الإصلاحات الاقتصادية وسياسات الخوصصة في البلدان العربية: بحوث الندوة الفكرية التي نظمها المركز الوطني للدراسات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- ٢١ - محمد المجذوب، القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٢.
- ٢٢ - محمد رضا وصفي، (تحرير): حزب الله وتحرير جنوب لبنان، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١، بيروت، ٢٠٠١
- ٢٣ - مسعود ظاهر، الطائفية في الحرب اللبنانية: أزمة نظام أم أزمة مجتمع، في مجموعة باحثين، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠،
- ٢٤ - مسعود اسد الله، الإسلاميون في مجتمع تعددي، ترجمة: دلال عباس، مركز الاستشارات والبحوث، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- ٢٥ - ناصر قنديل، حروب كبيرة في شرق أوسط صغير، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

المجلات

- ١ - التقرير الإستراتيجي العربي، ملف العدوان على لبنان، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٢ - افتتاحية هآرتس، فلنبق خارج لبنان، مختارات إسرائيلية، يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، العدد ١٩٤، فبراير ٢٠١١.
- ٣ - سعد المولى، شيعة لبنان من حركة المحرومين إلى حزب الله، مجلة مسارات، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بغداد، العدد (١٥)، السنة السادسة، ٢٠١١.

- ٤ - سيد حسين موسوي، أسباب تفوق إيران في لبنان، مختارات إيرانية، العدد(١٢٥)، القاهرة، كانون الاول ٢٠١٠.
- ٥ - عدنان السيد حسين (حلقة نقاشية)، حول الانسحاب الإسرائيلي من لبنان(ندوة)، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد، ٢٥٧، بيروت، ٢٠٠٠
- ٦ - نادية فاضل عباس، الملف السياسي: تداعيات الأزمة اللبنانية، يصدرها مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد العدد ١٢، بغداد، ٢٠٠٥

الانترنت

- ١ - بول سالم، قراءة في مستقبل حزب الله اللبناني: سيناريوهات الحرب والسلام، مركز كارنيغي في الشرق الاوسط، بيروت، ٣/آب/٢٠١٠، للمزيد انظر شبكة الانترنت: <http://ar.qantara.de/>
- ٢ - علي حسين باكير، حزب الله والمشروع الاقليمي الايراني «العلاقة والدور»، عمان. للمزيد انظر شبكة الانترنت <http://www.albayan.co.uk/>
- ٣ - المقاومة الإسلامية في لبنان، للمزيد انظر: شبكة الانترنت <http://somod.shioweb.org>
- ٤ - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، للمزيد انظر شبكة الانترنت www.ar.wikipedia.org
- ٥ - علي فياض، حزب الله ودوره في تجديد مفهوم السياسة، مقالات سياسية، ١٨ - ٩ - ٢٠٠٨، للمزيد انظر شبكة الانترنت. www.alesbuyia.com/inp/view.aspx?io=٢٨٠٦٧

الدور السياسي للنخب السياسية التبعية في اطار النظام اللبناني

حزب الله إنموذجاً

عدي حسين

المقدمة

يعيش النظام السياسي اللبناني تجربة سياسية قائمة على نظرية تقاسم السلطة السياسية بين الطوائف السياسية تعود جذورها من (١٩٤٣ - ١٩٧٥ - حرب اهلية دامت لأكثر من اربعة عشر سنة - ومن ١٩٨٩ الى الان) من خلال تمثيل النخب السياسية في مؤسسات الدولة كافة من اجل ضمان حقوق جميع الطوائف من جهة وتحقيق الاستقرار السياسي من جهة اخرى.

وهذا التقاسم للسلطة السياسية بين الطوائف والتي يطلق عليها بالديمقراطية التوافقية/ الطائفية، قائم على مجموعة من الاسس التي تلعب دور كبير في توازن القوى بين الطوائف المختلفة وعلى ادوارها المختلفة في اطار النظام السياسي، يمكن اجمالها بطبيعة النخب السياسية الممثلة لهذه الطوائف وإمكاناتها الديموغرافية / السياسية / الاقتصادية وحتى العسكرية.

ويحاول البحث تناول النخب السياسية الشيعية بشكل العامة وحزب الله بشكل خاص لما لها من دور على اهمية ومواقع الطائفة الشيعية لاسيما بعد تغير الموقع السياسي للطائفة الشيعية في معادلة النظام السياسي اللبناني بعد الدخول السياسي والعسكري لحزب الله بعد ١٩٨٤ وأثره على تأثير ونفوذ الطائفة التي اصبحت شريكا فعليا وموازيا للطوائف الاخرى على الصعيد الداخلي بعد اتفاق الطوائف سواء من الناحية السياسية او الدستورية.

وانطلاقا من اهمية الدور السياسي للنخب السياسية في اطار نظرية تقاسم السلطة، سنحاول ان نتناول وبشكل سريع نظرية تقاسم السلطة السياسية بشكل عام واهم اركانها ومنهج النخب السياسية الذي يتم على اساسية تحليل النخب السياسية الشيعة وأنواعها ودورها السياسي لاسيما حزب الله ودوره في اطار النظام السياسي اللبناني.

الاطار النظري للبحث:

اولا: نظرية تقاسم السلطة السياسية (*sharing theory - power*) وأركانها: ان نظرية تقاسم السلطة في المجتمعات المنقسمة، اتخذت اشكال متعددة بحسب طبيعة الدول التي تأخذ بها والمراحل التي تمر بها هذه الدول، اذ يعرفها ارنت ليهارت بأنها «الاستجابة الدستورية والمؤسسية للصراعات والمشاكل في البلدان المقسمة عرقيا، من خلال كارتل نخبوي مصمم لتحويل الصراعات مع الثقافة المجزئة الى ديمقراطية مستقرة»^(١)، وتعرف ايضا بأنها «نهج منطقي لإدارة

(١) (*Arend Lijphart, the politics of accommodation, plurilism and democracy in Netherland, University of California press, ١٩٦٨. p ١٠٤. ١٠٢.*)

الصراعات بين الطوائف في المجتمعات المتعددة من خلال ممارسة مشتركة للسلطة السياسية من قبل النخب السياسية الممثلة للطوائف والحصول على حصص دائمة فيها»^(١). وتشير التعريفات الى الدور السياسي الذي تمارسه النخب الممثلة للطوائف من اجل ادامة التوازنات الطائفية فيما بينها وفقا لما تمتلكه من امكانات ديموغرافية / سياسية / اقتصادية وحتى عسكرية. وتقوم نظرية تقاسم السلطة السياسية على اربعة اركان اساسية يمكن اجمالها بـ:

١. الائتلاف الواسع (Grand coalition):

يمثل الائتلاف بمثابة مؤسسة للشراكة والتعاون بين الزعماء السياسيين الممثلين للتعدد الاجتماعي وإدارة مؤسساته، من خلال اتاحة الفرصة للمشاركة لكل فئات المجتمع الاساسية، دون ان تكون هنالك هيمنة لأي اقلية اثنية على الاقلية الاثنية الاخرى^(٢).

ويتخذ النظام السياسي اللبناني من مؤسسة الائتلاف الواسع في اقصى مدياتها من اجل تمثيل كل الطوائف الاساسية، فيكون رئيس الجمهورية مسيحيا مارونيا، ورئيس الوزراء مسلما سنيا، ورئيس مجلس النواب مسلما شيعيا، ونائب رئيس مجلس الوزراء للروم الأرثوذكس، ونائب رئيس مجلس النواب للمسيحيين الكاثوليك، وبقية الدروز وباقي الاقليات خارج هذا التوزيع

(١) James hughes , *Is Northern Ireland a "model for conflict Resolution ,workshop on state Reconstruction after civil war, Harvard University , ٢٠١١ ,p٢.*

(٢) Arend Lijphart ,*Thinking about democracy: power sharing and majority rule in theory and practice, published by Routledge, New york , ٢٠٠٨ , p١٢.*

للمناصب العليا في الدولة^(١) بحيث اصبح هذا التقسيم عرفا دستوريا، اقوى من القواعد الدستورية التي تتعرض للتعديل خلال فترات معينة، وكذلك الامر على مستوى تاليف الوزارة، اذ نصت المادة (٩٥) من الدستور اللبناني الصادر ١٩٢٦ (تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف وبتشكيل الوزارة دون ان يؤول ذلك الى الاضرار بمصلحة الدولة)^(٢)، اذ تتكون الوزارة من (٣٠) وزير، وجرى العرف على تشكيلها مناصفة بين المسلمين والمسيحيين، والمساواة بين الطوائف الكبرى الثلاثة الموارنة / السنة / الشيعة / والمساواة بين طائفتي الدرور والروم الكاثوليك، الى جانب تمثيل جميع الطوائف الاخرى كما هو الحال في جدول رقم (١) الذي يبين توزيع الحقائق الوزارية على الطوائف^(٣):

عدد الوزارات	المسلمون	عدد الوزارات	المسيحيون
٦	السنة	٦	الموارنة
٦	الشيعة	٤	الارثوذكس
٣	الدرور	٣	الكاثوليك
		٢	الارمن
١٥	المجموع	١٥	المجموع

(١) *Mathijs Bogaards, the favorable factors for convocational democracy a review European Journal of political Research*, ٣٢, khawer academic publishers, ١٩٩٨, p٤٧٤.

(٢) الدستور اللبناني الصادر ١٩٢٦.

(٣) الجدول نقلا عن: كاظم شبيب، المسألة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة، دار التنوير للنشر، بيروت، ٢٠١١، ص٢٤٠.

اما على مستوى السلطة التشريعية فقد نص التعديل الدستوري (المادة ٢٤) على توزيع المقاعد بالتساوي بين بين المسيحيين والمسلمين ونسبيا بين طوائف ومناطق كل من الفئتين كما هو الحال في جدول رقم (٢) الذي يبين توزيع المقاعد البرلمانية في لبنان^(١).

عدد المقاعد	المسلمون	عدد المقاعد	المسيحيون
٢٧	السنة	٣٤	الموارنة الكاثوليك
٢٧	الشيعة	١٤	الروم الارثوذكس
٨	الدروز	٨	الروم الكاثوليك
٢	العلويين	٥	الارمن الارثوذكس
		١	الارمن الكاثوليك
		١	البروتستانت
		١	الاقليات
٦٤		٦٤	المجموع

٢. الفيتو المتبادل (Mutual Veto)

ان الائتلاف الواسع يمنح جميع فئات المجتمع قدرا كبيرا من الحماية السياسية، الا ان هذا لا يعني انها حماية مطلقة او غير منقوصة، فحينما تتخذ القرارات داخل الائتلاف باستخدام مبدا الاغلبية المطلقة (١+٥٠) فان هذا يعني ان رأي الاقلية لن يؤخذ به، وهو ما يعرض المصالح الحيوية لأحدى

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

الاقليات الى التهديد والضرر، وهو الامر الذي يؤثر على التعاون بين النخب الممثلة لفئات المجتمع^(١). ومن اجل التغلب على ذلك يذهب ليهارت الى ضرورة اعطاء الاقليات حق الاعتراض او النقض (*veto power*) باعتباره من الاجراء الذي يوفر الحماية السياسية لحقوق الاقليات.

٣. التناسب / النسبية او المحاصصة (*Proportionality*)

التناسب مبدا من مبادئ الديمقراطية التوافقية يرتبط ارتباطا وثيقا بمبدأ الائتلاف الواسع وهو اداة من ادواته ويعرف بانه «تمثيل مكونات المجتمع الاساسية في مؤسسات الدولة وأنشطتها ومستوياتها»^(٢)، ويتضح من خلال التعريف ان مبدا النسبية يعبر عن تصميم مؤسسي لتقاسم السلطة من خلال امرين يعتمد احدهما على الاخر هما نظام التمثيل النسبي المعتمد في الانتخابات، ونسبية التمثيل في مؤسسات الدولة.

فمن حيث نظام التمثيل النسبي، فانه يعمل على اعطاء كل تجمع او حزب في حالة اشتراكه في الانتخابات عدد من المقاعد النيابية يتناسب مع قوته العددية، من خلال العمل على انعكاس الواقع السياسي بشكل صحيح، وتحقيق اوسع قدر من العدالة في التمثيل^(٣).

(١) رغيد الصلح وآخرون، الديمقراطية التوافقية، بطاقة تعريف مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢١.

(٢) *Paul Barry clarke and Joe foweraker , Encyclopedia of Democratic thought (Eds) London: Routledge, ٢٠٠١, P١١٠.*

(٣) صديق صديق حامد، دور القوانين الانتخابية في الادارة السلمية للتعددية الاثنية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠١٢، ص ٢٠٨.

٤. الادارة الذاتية او الفدرالية:

وتمثل الركن الرابع لنظرية تقاسم السلطة وتعرف بانها «حكم الاقلية او تمتعها بحق التقرير والتصرف في الشؤون التي تعنيها بصورة خاصة، ومشاركتها مع الفئات الاخرى في اتخاذ القرارات وادارة البلاد»^(١). والادارة الذاتية للفئات الاجتماعية يقصد بها هنا مبدا الشخصية في تمثيل فئات المجتمع داخل المجتمعات التي تتداخل فيها الفئات الاجتماعية ولا يوجد بينها فواصل اقليمية، وقد تتخذ شكل اللامركزية الادارية او اللامركزية السياسية (الفدرالية)، حسب درجة التطور الذي وصلت اليه الدولة في اقتسام لسلطة.

والإدارة الذاتية في اطار اللامركزية الادارية^(*) متحققة في النموذج اللبناني، اذ تنقسم لبنان الى (٦) محافظات و(٢٥) قضاء تتداخل في اطارها جميع الطوائف وبدون اغلبية لطائفة معينة سوى بعض الاقضية، ونتيجة لهذا التداخل اخذت لبنان بالاستقلال القطاعي المبني على اساس شخصي (اجتماعي - ثقافي)، اذ تتمتع الطوائف اللبنانية بقدر واسع من الاستقلالية وحرية التصرف في ادارة شؤونها الخاصة في مجالات (الاحوال الشخصية / التربية / التعليم والتنظيم

(١) *Paul Barry clarrke and Joe foweraker , op ,cit ,pp ١١٥ . ١١٧.*

(*) اللامركزية الادارية تعني " اقامة هيئات منتخبة من الشعب في المحافظات، تمارس اختصاصات متفاوتة تختلف باختلاف السلطات الممنوحة لها، ويعود لهذه الهيئات ادرارة المصالح الادارية فقط دون المصالح السياسية التي تبقى من اختصاص السلطة المركزية التي تقوم بدور الوصاية على هذه الهيئات " للمزيد ينظر: (اسماعيل الغزال، الدساتير والمؤسسات السياسية، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، ١٩٩٦، ص٩٥).

السياسي والمجتمعي، والتي كفلتها الدستور والقوانين^(١). فمن ناحية الاحوال الشخصية تثبت طائفة كل شخص في بطاقته الشخصية، ولرؤساء الطوائف الحرية في تنظيم امورهم الشخصية، والاعتراض على كل ما يمس بالحقوق المتعلقة بها، اما من ناحية التربية والتعليم فان للطوائف اللبنانية حرية واسعة في ادارة مؤسساتها التربوية والتعليمية ذات الصفة الدينية التي تدعمها الدولة بصورة مباشر وغير مباشرة. وللطوائف ايضا حرية واسعة في انشاء الاحزاب والجمعيات والهيئات العامة السياسية وغير السياسية، وذلك على اساس طائفي^(٢).

وقد اكد الكثير من العلماء والباحثين المهتمين بنظرية تقاسم السلطة السياسية ومنهم (ادوارد شيلز و جيرهارد ليمبروخ و ارنست ليهارت) على الدور التعاوني والمحوري الذي تمارسه النخب السياسية والذي هو بمثابة روح مؤسسات الشراكة والتوافق السياسيين، فليس عجبا ان يطلق على نظرية تقاسم السلطة اسم «ديمقراطية النخب» وان يطلق على النخب ذاتها اسم «المهندسين التوافقيين». وهذا الدور السياسي للنخب يتطلب تناول منهج النخب السياسية والذي على اساسه يجري تحليل النخب السياسية موضوع البحث.

(١) مرغريت الحلو، الديمقراطية التوافقية في المجتمعات غير المتجانسة تقويم للتجربة اللبنانية، في (اشكالية الديمقراطية التوافقية في المجتمعات المتعددة: لبنان، العراق)، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٠.

(٢) محمد زين العابدين السيد محمد، الديمقراطية التوافقية وأثرها في الحياة السياسية، دراسة لحالة لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٠٧.

ثانياً: منهج النخبة: من ابرز منظري هذا المنهج هم (فلفريدو باريتو، وكايتانو موسكا وبرنهام وروبرت مثلز ورايت ميلز)^(١). ووفقاً لمنظري منهج النخبة ينقسم كل مجتمع الى قسمين حكام ومحكومين، اما الحكام فهم اقلية تستأثر بالقوة السياسية وتتخذ القرارات الهامة التي تؤثر على حياة المجتمع لما يمتلكونه من مؤهلات تتعلق بالانتماء الحزبي او ارتفاع المستوى التعليمي او حيازة مهارات معينة او تجسيد للقيم الدينية والاجتماعية السائدة.. الخ. اما المحكومين فيمثلون الاغلبية التي لا تشارك ولا تؤثر في عملية صنع القرار وعليها السمع والطاعة^(٢).

ويطرح هارولد لاسويل ثلاثة تعاريف للنخبة هي «القلة التي تحصل على الجزء الاكبر من اي قيمة» وكذلك هي تضم «اولئك الاشخاص الذين يتمتعون بأكبر قسط من القوة في الجماعة» وهي ببساطة تظم «الاشخاص اصحاب النفوذ». ويتحدث رايت ميلز عن نخبة القوة ويقصد بها الدوائر الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تتداخل فيما بينها وتشارك في اتخاذ القرارات التي تترك على الاقل اثار على الصعيد القومي^(٣). ويعرف جيرانت باري النخبة بأنها اقلية صغيرة تلعب دوراً مؤثراً في الشؤون السياسية والاجتماعية للمجتمع. في

(١) صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي، اسسه وابعاده، جامعة بغداد، دار الحكمة للطباعة، بغداد، ١٩٩١، ص٤٣٨.

(٢) شوميليه - جاندر وكورفوازييه، مدخل الى علم الاجتماع السياسي، ترجمة اسماعيل الغزال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨، ص٥٧ - ٦٠.

(٣) حسين عبد الحميد احمد رشوان، الديمقراطية و الحرية و حقوق الإنسان، دراسة علم الاجتماع السياسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ١٧٥.

حين تعرف سوزان كيلو النخبة بأنها «اقلية من الافراد يخدمون جماعة ما بطريقة ارتضتها الجماعة ذاتها». وفي جانب اخر يعرف روبرت داهل النخبة «اقلية من الافراد تسود تفضيلا لهم في حالة اختلاف التفضيلات بصدد القضايا الاساسية في المجتمع»^(١).

ويلاحظ ان كل هذه التعريفات التي قدمها المنظرين تؤكد على ان اي مجتمع تحكمه نخبة معينة، ولكنهم يختلفون في الاساس الذي تقوم عليه قوة النخبة وبهذا الصدد يمكن التمييز بين الاتجاهات التالية:

أ) الاتجاه النفسي: مثل هذا الاتجاه باريتو في مؤلفه (العقل والمجتمع)، حيث يرى ان المفهوم الرئيسي في تعبير النخبة هو التفوق، وبمعنى اوسع يقول يقول باريتو «اني اعني بنخبة في مجتمع ما اناسا لهم درجة متميزة من صفاء الذكاء والطبع والبراعة والمقدرة من كل نوع»^(٢). وفي صدد تفسير سيطرة النخبة، استخدم باريتو مفهوم الرواسب التي هي بمثابة انعكاس للميول الفطرية الانسانية، وهذه الرواسب صنفين:

- رواسب تعكس الميل الى التأمل والتفكير.
 - رواسب تعكس الميل الى البقاء والنظام والاستقرار.
- ويسود النوع الاول من الرواسب لدى افراد المجتمع من هم اهل الذكاء والمكر، بينما يسود النوع الثاني الافراد من هم اهل القوة والنظام.

(١) كمال المنوفي، نظريات النظم السياسية، الطبعة الاولى، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٥، ص٧٠، وكذلك فيليب غرين، الديمقراطية، ترجمة محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠٠٧، ص ١٣٥ - ١٣٨.

(٢) صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٤٣٨.

ويحتاج النظام السياسي الى كلا النوعين من الرواسب اي الاقناع والقوة ويصنف بارتيتو الانظمة السياسية وفقا لهذين النوعين من الرواسب الى نمطين:^(١).

• نظم تحكمها نخب يحوز افرادها النوع الاول من الرواسب.

• نظم تحكمها نخب يحوز افرادها النوع الثاني من الرواسب.

(ب) الاتجاه المؤسسي: ويرتبط هذا الاتجاه بعالم الاجتماع الامريكي رايت ميلز، الذي يرى ان قوة النخب مرتبطة بمجموعة من المؤسسات تشمل السلطة التنفيذية او المؤسسة العسكرية او الشركات الكبرى، وعلى ذلك تتكون النخب من أولئك الذين يشغلون مراكز قيادية في مؤسسات الدولة الاستراتيجية^(٢).

ان منهج النخبة يقتضي تحليل النخب في اي مجتمع من حيث:

• الاصل الاجتماعي والصفات الشخصية والمهارات الخاصة والاتجاهات والخلفيات العرقية والدينية... الخ.

• معرفة المسالك او القنوات التي يستخدمها الطامحون للقيادة في الوصول الى قمة الهرم السياسي، اي هل هي الحزب السياسي ام النقابات، ام البيروقراطية، ام الحكم المحلي، ام التنظيمات الدينية... الخ.

• كذلك كيفية اختيار المتطلعين للقيادة هل هي التعيين ام الانتخاب،

(١) شوميليه - جاندر و كورفوازييه، مدخل الى علم الاجتماع السياسي، مصدر سبق ذكره ، ص٦٤، وكذلك: موريس دوفرجه، علم اجتماع السياسة، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٩٩٢، ص١٦٣ - ١٦٤.

(٢) شوميليه - جاندر و كورفوازييه، المصدر نفسه، ص ٦٤.

وما هي الشروط التي يجب توفرها لدى المتطلعين الى القيادة، هل هي المواهب والمنجزات ام الانتماءات العائلية والعرقية والدينية.

• بالإضافة الى ذلك معرفة العلاقة بين النخبة والجماهير: ويتضمن ذلك البحث في كيفية تأثير النخبة على الجماهير وبالعكس سواء كان ذلك عن طريق (الارغام - كسب الشرعية - احترام التقاليد السائدة - الكاريزما - الالتزام بالمبادئ القانونية - الاداء الفعال - التقليد المذهبي). اما تاثير الجماهير على النخبة فتمثل في الانتخاب والمساندة او العنف^(١).

(ج) الاتجاه التنظيمي: جوهر هذا الاتجاه ان سيطرة النخبة ترجع الى مال ديها من مهارات تنظيمية ومن ابرز دعائه موسكا ومشلز. حيث يرى موسكا ان هنالك اختلافات جوهرية بين النظم السياسية حول النخبة الحاكمة وأرجعها الى عاملين: كيفية تدفق السلطة وصور التجنيد في الطبقة الحاكمة.

فيما يتعلق بتدفق السلطة، فقد يتم وفق المبدأ الاوتقراطي (تدفق من اعلى الى الاسفل) حيث يتولى الحاكم تعيين المسؤولين، او وفق المبدأ الليبرالي (تدفق من اسفل الى اعلى) حيث يصل الحاكم للسلطة عن طريق الانتخابات، غير ان الواقع العملي لايعرف نظاما اوتقراطيا او ليبراليا محضاً، فقد يكون هنالك تداخل بين المبدأين^(٢).

اما فيما يتعلق بالتجنيد، فقد ميز موسكا بين الاتجاه الارستقراطي (حيث

(١) كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ - ٦٢، وكذلك محمد عاشور مهدي، التعددية الاشية، ادارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، المركز العلمي للدراسات السياسية، جامعة القاهرة، المكتبة الوطنية، ٢٠٠٢، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) شوميليه - جاندر و كورفوازييه، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

يكون اعضاء النخبة الجديدة من ابناء النخب القديمة)، والاتجاه الديمقراطي (حيث تجدد الطبقة الحاكمة بأفراد من الطبقة الدنيا المحكومة). ويرى موسكا ان التطرف في اي من الاتجاهين له مخاطره، فمع التطرف في الارستقراطية تكاد تفقد الطبقة الحاكمة احساسها بحاجات ومصالح المجتمع، ومع التطرف في الديمقراطية يلوح شبح الثورة ويتعذر وجود طبقة حاكمة متماسكة، طالما كان هنالك دائماً عملية احلال من اسفل^(١).

اما (روبرت مثلز) فقد افترض ان كل التنظيمات الاجتماعية يحكمها صفوة تستمد قوتها من مهارات اعضائها التنظيمية، وحيث يوجد تنظيم توجد اقلية، ويستخلص مثلز من ذلك (قانون الاوليغارشية الحديدي) الذي يحكم كل المنظمات الاجتماعية. فأى منظمة بحاجة الى قيادة تعمل وتحافظ على وجودها، ومن شان طبيعة المنظمة ان تمنح القادة قوة ومزايا يتعذر مراقبتهم او محاسبتهم من جانب الاتباع، فعلى سبيل المثال قيادة الحزب تنحصر في ايدي قادته السياسيين والإداريين بفضل معارفهم في مجال رسم السياسة والإدارة الفنية اي بفضل خبراتهم في توجيه أنشطة الحزب المختلفة مثل كسب الانصار والحصول على الاعانات وتحديد خط سياسي ثابت للحزب^(٢).

يتبين مما سبق ان اصحاب هذه النظرية يؤكدون على ان توزيع القوة

(١) شوميليه - جاندر و كورفوازييه، المصدر نفسه، ص ٦٦ وكذلك وكذلك فيليب غرين، الديمقراطية، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٨.

(٢) شوميليه - جاندر و كورفوازييه، مصدر سبق ذكره ص ٦٥، وكذلك كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره ص ٥١.

السياسية في المجتمع غير متساوية، اذ توجد دائماً نخب وجمهير، وان للنخب دور اساسي في) التمثيل والتأثير(للفئات والمكونات في المؤسسات والقرارات السياسية للنظام السياسي القائم.

الاطار التطبيقي للبحث: الدور السياسي للنخب الشيعية في اطار النظام السياسي اللبناني:

يتأثر الواقع السياسي للطائفة الشيعية بطبيعة النخب السياسية الممثلة لها وبالادوار التي اتخذتها في اطار النظام السياسي اللبناني، والتي مرت بثلاثة مراحل هي:

المرحلة الاولى (١٩٢٤ - ١٩٥٨): وهي المرحلة التي اتسمت بهيمنة النخب اليسارية والقومية والإقطاع وبعض العائلات الروحية وغيرها والتي كانت بعيد كل البعد عن معاناة الطائفة الشيعية وهمومها وانعكس ذلك على اهميتها على صعيد النظام السياسي اللبناني، واهم هذه القوى هي (الحزب الشيوعي اللبناني الذي تأسس عام ١٩٢٤، والحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تأسس عام ١٩٣٥، وحزب البعث العربي الاشتراكي الذي تأسس في لبنان في بداية الخمسينات، والحزب التقدمي الاشتراكي الذي تأسس في بداية الاربعينات والحزب الناصري الذي تأسس في لبنان عام ١٩٦٣، ومنظمة العمل الشيوعي التي تأسست سنة ١٩٧٠، وغيرها من القوى السياسية الاخرى القبلية / العشائرية الاقطاعية^(١).

(١) عاطف الموسوي، النخبة السياسية الشيعية في لبنان خلال القرن العشرين، دار الحجة البيضاء،

وما يؤخذ على النخب السياسية الممثلة لهذه الاحزاب السياسية هو انها كانت وافدة على لبنان من خلال الطلاب العائدين من الخارج، ولم تكن نتيجة تعبير داخلي منطلق من عشائرها وعائلاتها، كما ان اغلب هذه احزاب كانت تسعى وراء هدف برلماني من اجل الحصول على النفوذ والهيمنة على السلطات العامة بعيدا عن خدمة القواعد الجماهيرية التي انتخبتهم^(١).

وعلى الرغم من تقاسم السلطة السياسية وفق ميثاق عام ١٩٤٣ الذي منح الطائفة المارونية رئاسة الجمهورية والطائفة السنية رئاسة الحكومة والطائفة الشيعية رئاسة المجلس النيابي، إلا ان المنصب الاخير لم ينعكس على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية للطائفة الشيعية^(٢)، والتي ترجع اسبابها بالإضافة الى العامل التاريخي الدولي المتمثل بالإمبراطورية العثمانية التي كانت تراعي الطائفة السنية والأقليات المسيحية والانتداب الفرنسي الذي كان يراعي الطائفة المسيحية، الى الزعماء السياسيين التقليديين الذين كانوا يتربعون على السلطة السياسي بدون منازع^(٣).

المرحلة الثانية (١٩٥٩ - ١٩٧٨): وهي المرحلة الممتدة من دخول السيد موسى الصدر الى لبنان والى اختفائه في ليبيا ١٩٧٨، الذي استطاع ومن خلال الكارزما الدينية/السياسية التي يتمتع بها من تحقيق الكثير من الانجازات

(١) المصدر نفسه، ٥٦٩ - ٥٧٠.

(*) فهم الطائفة الاقل تعلما (٥٠٪) بدون تعلم، والطائفة التي تضم اقل عدد من العاملين في الحقل التالية: المهني/التقني/التجاري/الصناعي/ادارة الأعمال واكبر عدد من العمال والمزارعين والباعة والمتجولين، للمزيد ينظر: (عاطف الموسوي، المصدر نفسه، ص ٥٧٦).

(٢) محمد زين العابدين السيد محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ - ٥٨.

للطائفة الشيعية سواء على مستوى تشريع القوانين التي تصب في مصلحة الشيعة ومنها: السعي في صدور قانون تنظيم الطائفة الشيعية ١٩٦٧، بعد ان كانت دار الافتاء للطائفة السنية تشكل الغطاء الوحيد للمسلمين، والحصول على ترخيص قانوني للمجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ١٩٦٩ وانتخاب السيد الصدر رئيساً له لمدة (٦) سنوات، بالإضافة الى الكثير من الجمعيات الخيرية والإنسانية^(١).

وعلى المستوى التنظيمي فقد سعى السيد الصدر الى الضغط على النظام السياسي اللبناني لإزالة الظلم والحيف الذي لحق بالجنوب اللبناني جراء السياسات السابقة، وأسس من اجل ذلك حركة المحرومين التي ترأسها، كما اسس لها جناحاً عسكرياً وهو افواج المقاومة اللبنانية «امل» من اجل رفع الظلم الاجتماعي عن كل المحرومين في لبنان ومن اجل ان يقوم الشيعة بحماية انفسهم وأرادتهم ووعيهم الجديد لواقعهم السياسي والاجتماعي^(٢).

وهكذا استطاع السيد الصدر من مواجهة عدة تحديات اهمها هيمنة النخب القديمة والتقليدية المستأثرة بقرار الطائفة، والسلطة اللبنانية القائمة على تحالف الطائفتين المارونية والسنية وإهمالها للمناطق الجنوبية، في ظل تقصير النخب الشيعية عن المطالبة بحقوقهم في اطار نظام قائم على تأمين حقوق الطوائف من خلال نخبها السياسية.

(١) حسن فضل الله، الخيار الاخر، حزب الله السيرة الذاتية والمواقف، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٤،

ص ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

وبعد اندلاع الحرب الاهلية في لبنان والتي استمرت لأكثر من (١٦) عاما للفترة (١٣ أبريل ١٩٧٥ - ١٣ أكتوبر ١٩٩٠)، والاجتياح الاسرائيلي لبعض القرى الحدودية والسيطرة عليها في اذار / ١٩٧٨، حاول السيد الصدر التصدي لهذه التحديات الداخلية وقام بعدد من الزيارات المحلية والعربية والتي انتهت بغيابه اثناء زيارته الى ليبيا في اب / ١٩٧٨^(١).

وسجل حادث اختفاء السيد الصدر الى غياب القيادة الفردية المتمثلة بشخصه، وظهور نخبة سياسية جديدة متمثلة بالسيد حسين الحسيني وهو نائب في البرلمان اللبناني الذي تولى منصب الامين العام لحركة امل ويعاونه مجلس قيادة مؤلف من اشخاص كانوا مقربين من السيد الصدر، وبعد ذلك عمدت الحركة الى احداث بعض التغييرات في بنيتها التنظيمية، فأصبح لها «مؤتمر» يعقد كل ثلاثة سنوات ويتم خلاله انتخاب الاعضاء القياديين للمكتب السياسي وأعضاء الهيئة التنفيذية. وبعد السيد الحسيني تولى نبيه بري قيادة حركة امل الذي لم يستطيع تمثيل طموحات شريحتين مهمتين من الشيعة كان السيد الصدر يحتضنها ويشكل ضمانه بالنسبة اليهما، الاولى وهم (المحافظون) وتضم رجال الدين والمتدينين الاسلاميين والثانية تضم المحاربين داخل حركة امل، لتتخذ حركة امل هوية طائفية علمانية في الوسط الشيعي وانشقاق الاسلاميين الذين كانوا منضوين تحت راية الحركة بين (المجلس الشيعي الاعلى برئاسة الشيخ مهدي شمس الدين) و(حزب الدعوة) الذي شكل فيما بعد نواة حزب الله اللبناني^(٢).

(١) احمد نزار حمزة، على طريق حزب الله، دار الحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣٣.

(٢) عاطف الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦١.

وهكذا كان السيد الصدر هو القيادة الكارزمية الفردية الملهمه، والباقون كانوا مستشارون ومساعدين فاستظل الجميع بعباءته، ومع اختفائه بدأت التناقضات تظهر الى العلن، حركة امل، المجلس الشيعي الاعلى والمؤسسات الاجتماعية، لتضعف القيادة اما اختفاء القائد الملهم لكل هذه التنظيمات الاسلامية وغيرها.

المرحلة الثالثة (١٩٨١ - الى الان): وهي المرحلة المتمثلة بظهور حزب الله وتشكيله القوة السياسية والعسكرية المنافسة لحركة امل في تمثيل الطائفة الشيعية في لبنان.

١ - ظروف النشأة: شكل نجاح الثورة الاسلامية في ايران ١٩٧٩ تحول جديد ونوعي في العالم الاسلامي بشكل عام والشيعي منه على وجه الخصوص في ظل المبادئ والقيم التي جاءت بها الثورة الاسلامية وحول تصديرها الى كل دول العالم الاسلامي ومنها لبنان. غير ان التوجه المعلن من قبل قادة الثورة الاسلامية في ايران لم يتلقى قبولا بالإجماع من قبل شيعة لبنان وانقسمت النخب السياسية الشيعية الى قسمين، الاول مثل حركة امل والمجلس الاسلامي الشيعي الاعلى اللذان فضلا البقاء على مسافة واحدة مع ايران ؛ نتيجة للتأثير المباشر للسوريين المهيمنين على لبنان في ذلك الوقت في المجالات السياسية والخدماتية، في حين وجدت تيارات متواجدة داخل حركة امل وكذلك حزب الدعوة الاسلامية واتحاد الطلبة المسلمين، بالإضافة الى اللجان المساندة للثورة الاسلامية والتي شكل نواة حزب الله في لبنان^(١).

(١) عاطف الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩٣.

وفي ظل الهجوم البري والبحري والجوي الذي شنته اسرائيل في حزيران / ١٩٨٢، على لبنان بهدف القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، والتي وجدت حركة امل والأحزاب اليسارية في مواجهة مباشرة مع هذا الهجوم والذي انتهى بطرد منظمة التحرير الفلسطينية والخسائر الفادحة التي تكبد بها الجنوب اللبناني وعقد اتفاق لبناني بين (بشير الجميل رئيس الجمهورية اللبنانية) و اسرائيل في ١٧ / ايار / ١٩٨٣، برعاية الولايات المتحدة لترك جنوب لبنان تحت سيطرة اسرائيل^(١). وشكل الاحتلال الاسرائيلي الطويل الى الظروف الموضوعية والشرعية لبروز المقاومة الاسلامية الشيعية ممثلة بحزب الله اللبناني الذي قادة المقاومة الاسلامية ضد الاحتلال الاسرائيلي لحين تحرير الكثير من مناطق الجنوب اللبناني.

٢ - البنية التنظيمية: يقوم الهيكل التنظيمي للحزب على شكل هرم سلطوي متناسب مع التقسيم الاداري للمحافظات اللبنانية، خاصة تلك التي تظم اغلبية شيعية وهي بيروت - البقاع وجنوب لبنان، وتنقسم البنية التنظيمية الى^(٢):

أ) مجلس القيادة: يرأس الحزب قيادة جماعية وليست فردية مكونة من (٧) اشخاص يمثلون مجلس شورى الحزب، ينتخبون من المجلس المركزي الذي يضم (٢٠٠) عضو من مؤسسي الحزب وكوادره لمدة ثلاثة سنوات. ويتشكل مجلس القيادة بمعظمه من رجال الدين مع اعضاء عاديين او غير علماء لديهم خبرة في مجال الصحة والشؤون الاجتماعية والمالية وخدمات المعلومات، وتقدر نسبة رجال الدين الى (٦) وعضو واحد من غيرهم. ويستلزم انتخاب اعضاء

(١) احمد نزار حمزة، على طريق حزب الله، مصدر سبق ذكره، ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤.

مجلس القيادة (مجلس الشورى) ثلاثة مراحل:

المرحلة الاولى: عرض اسماء المرشحين من رجال الدين والعوام الذين يمتلكون مواصفات القيادة ويبلغ عددهم (٧٠ او ٨٠) عضو. وفي المرحلة الثانية، يتم انتخاب (١٠) مرشحين منهم. اما المرحلة الثالثة فتكون لاختيار اعضاء مجلس القيادة السبعة من المرشحين العشرة.

وبعد انتخاب اعضاء مجلس القيادة السبعة، يقوم هؤلاء بدورهم بانتخاب الامين العام ونائبه والجهاز الاداري والتنفيذي. كما ان مجلس القيادة مسؤول عن الادارة كلياً، من التخطيط ووضع القرارات التي تكون بالإجماع او بأغلبية الاصوات وتكون نهائية وملزمة لأعضاء الحزب.

ب) الجهاز الاداري والتنفيذي: وهو الجهاز المسؤول عن التنفيذ ويتكون من خمسة مجالس وهي: المجلس التنفيذي، المكتب السياسي، المجلس البرلماني، المجلس القضائي ومجلس الجهاد، وكل جهاز او مجلس يرأسه عضو من مجلس القيادة السبعة.

ج) المجلس التنفيذي: ويتولى متابعة النشاطات اليومية لوحدات الحزب المختلفة في المناطق والقطاعات والفروع، ويرأسه حالياً السيد هاشم صفي الدين، يعاونه رؤساء الوحدات الثانية.

وعلى الرغم من وجود منصب الامين العام للحزب الذي يمارس دور محوري في اطار قيادة الحزب، إلا انه يمكن القول ان قيادة الحزب اقرب الى ان تكون قيادة جماعية متمثلة بمجلس القيادة او مجلس الشورى الذي يدير كل هيئات ومؤسسات الحزب.

وحزب الله من الاحزاب الجماهيرية الذي ينطوي بالإضافة الى المؤسسات القيادية التي تم ذكرها مؤسسات ووحدات اخرى يمكن اجمالها بالوحدة الاجتماعية / الوحدة التربوية / الوحدة الصحية الاسلامية / الوحدة الاعلامية / الوحدة النقابية / وحدة العلاقات الخارجية / الوحدة المالية / وحدة الارتباط والتنسيق، يضاف لها الجهاز العسكري والأمني^(١).

اما بالنسبة لعضوية الحزب، فيقدر عدد اعضاء الحزب بماثني الف عنصر، ينشط في المناطق ذات الغالبية الشيعية مثل بيروت والبقاع والجنوب.

ان القيادة الجماعية للحزب تعطي صفة المأسسة والاستمرار في قيادة الحزب بعيدا عن الشخصية التي تؤدي الى اضعاف دور الحزب وانقسامه بغياب شخص القائد الملهم كما حصل بالنسبة لحركة امل وما منيت به من انقسامات بعد غياب مؤسسها السيد موسى الصدر، في حين نجد ان القيادة الجماعية في حزب الله لا تتأثر بهذه الشخصية وان كانت تعطي لها بعدا محوريا في قيادة الحزب متمثلا بالأمين العام، والدليل على ذلك هو تعاقب اكثر من شخصية على قيادة الحزب وهم:

- الشيخ صبحي الطفيلي، انتخب سنة (١٩٨٨) كأول امين عام للحزب لمدة ثلاثة سنوات غير قابلة للتجديد.

- السيد عباس الموسوي، وانتخب كأمين عام سنة (١٩٩١) وتم اغتياله من قبل قوات الجو الاسرائيلية سنة (١٩٩٢).

(١) احمد نزار حمزة، على طريق حزب الله، المصدر السابق، ص ١٠٠ - ١١٨.

- السيد حسن نصر الله، وانتخب كامين عام للحزب في خلافة سيد عباس الموسوي وتم التجديد له من قبل مجلس القيادة في الاعوام (١٩٩٤ - ١٩٩٧ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٤) لدوره في تنمية وتطوير الحزب، ليصبح الحزب الاكثر استقطابا من الناحية الشعبية^(١).

ووفقا لمنهج النخبة في تحليل الانظمة السياسية، فان النخب السياسية لحزب الله في اطار الاتجاه النفسي هي النخب التي تمتلك رواسب النظام والاستقرار وماسسة الحزب السياسي وتحقيق اهدافه.

اما وفقا للاتجاه المؤسسي لمنهج النخبة فان النخب السياسية لحزب الله تستمد قوتها من عدة اسس وهي:

- القيادة الدينية المتمثلة بمجلس القيادة للحزب.

- وكذلك المسالك التي تستخدمها النخب في الوصول الى قمة هرم القيادة، متمثلة بعضوية الحزب.

- وكذلك في كيفية اختيار المتطلعين لقيادة الحزب، والمتمثلة بالانتخاب على ثلاثة مراحل من اجل الوصول الى قيادة حقيقة تمتلك المؤهلات في ادارة الحزب وفاعليته.

- اما من حيث مؤهلات النخب السياسية، فأنها لا تقوم على الانتماءات العائلية والعرقية، بقدر ما تقوم على المؤهلات الدينية والمنجزات التي تحققها النخب السياسية متمثلة بالأمناء العامين للحزب.

- بالإضافة الى كل ذلك فان قوة وشرعية النخب السياسية للحزب تأتي من

(١) عاطف الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٢ - ٧٠٣.

العلاقة بينهم وبين جمهور الحزب التي لا تستمد من الارغام او العنف، وإنما من الاحترام المتبادل والتمسك بمبادئ الحزب والأداء الفعال وتحقيق الاهداف المشتركة.

ووفقاً للاتجاه التنظيمي فان النخب السياسية لحزب الله تعتمد على خبراتهم في توجيه أنشطة الحزب المختلفة مثل كسب الانصار وتحديد خط سياسي ثابت للحزب^(١).

٣ - النضال العسكري: كانت الظروف المحلية والإقليمية ملائمة جداً للنضال من قبل حزب الله خلال فترة الثمانينات، في ظل الحكومة المنقسمة التي تلت الحرب الأهلية ١٩٧٥، وسيطرة اسرائيل على مناطق كثيرة من لبنان وصاغت اتفاق ايار الاسرائيلي اللبناني - معاهدة السلام العربية الاسرائيلية الثانية بعد اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨، وفي ظل كل هذه الظروف تبني حزب الله الجهاد المسلح من عام ١٩٨٢ الى ١٩٩٠، وكان يهدف الى القضاء على الوجود الاجنبي في لبنان وإقامة حكم اسلامي في مناطق سيطرته، وتضمن الجهاد المسلح تقنيات متنوعة منها العمليات الاستشهادية، حرب العصابات، خطف الرهائن وغيرها من العمليات والتي انتهت بحرب تموز (حسب التسمية الشائعة في لبنان) وهي العمليات القتالية التي بدأت في ١٢ تموز (يوليو) ٢٠٠٦ بين قوات من حزب الله اللبناني وقوات جيش الدفاع الإسرائيلي والتي استمرت ٣٤ يوماً في مناطق مختلفة من لبنان، خاصة في المناطق الجنوبية والشرقية وفي

(١) شوميليه - جاندر و كورفوازييه، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥، وكذلك: كمال المنوفي، مصدر سبق

العاصمة بيروت، وفي شمالي إسرائيل، في مناطق الجليل، الكرمل ومرج ابن عامر. وكانت الحرب تؤثر على منطقة هضبة الجولان أيضا، وأثبتت خسارة اسرائيل وعدم قدرتها على تحقيق اهدافها من الحرب كما اكد ذلك الكثير من المصادر^(١).

٤- المجال السياسي: وفرض الوزن السياسي / العسكري والاجتماعي للنخب السياسية الشيعية خلال فترة الحرب الاهلية نفسه على الاوضاع السياسية بعد، اذ جاء اتفاق الطائف الذي عقد في المملكة العربية السعودية في ٣٠ / سبتمبر ١٩٨٩ في مدينة الطائف من اجل ضمان عدم تجدد الحرب الاهلية، من خلال الغاء هيمنة الطائفة المارونية او ما يسمى بـ «المارونية السياسية» بواسطة رئيس الجمهورية الماروني المسك بالسلطة الاجرائية خارج اطار المسؤولية والمؤسسات: من السلطة السياسية (في مجلس الوزراء) الى السلطة العسكرية (بواسطة قائد الجيش) او بواسطة (مديري الامن العام والاستخبارات) الى السلطات المالية والقضائية والإعلامية، وقد الغت وثيقة الطائف هذه الهيمنة، فعادت السلطات كلها الى المؤسسات الخاضعة لمجلس الوزراء، كما عزز اتفاق الطائف من خلال ضغط والموقع السياسي الجديد للنخب الشيعية من رئاسة السلطة التشريعية (مجلس النواب) الذي يترأسه الشيعة من خلال تغيير مدة رئاسة للمجلس من سنة قبل اتفاق الطائف وفق المادة (٤٤) من دستور ١٩٢٤، وكان غالبا ما يكون ضعيفا بسبب خضوعه للتمديد من قبل الكتل النيابية وتدخل رئيس الجمهورية في هذا التمديد، لتتحول

(١) جريدة الحياة، الموقع الالكتروني: (<http://alhayat.com/Articles/٣٥٥٤٢٩٤>)

هذه المدة بعد اتفاق الطائف لمدة ولاية المجلس اي (اربع سنوات)، وبالإضافة للتمديد، تم تعزيز دوره في مجال التصويت على القوانين، والانتخابات الرئاسية وخاصة تشكيل الوزارات. إن هدف التعديل هو إعادة قدر من التوازن بين الرئاسات لأنها موزعة طائفيًا، وعمل الاتفاق على زيادة وزن المجلس النواب، وذلك من خلال الحد من حق مجلس الوزراء في حل مجلس النواب كما ظهر في بند (٥) ضمن الإصلاحات السياسية لمجلس الوزراء، وإضعاف إمكانية لجوء مجلس الوزراء بإصدار مشاريع قوانين، بصفة المعجل عند الضرورة^(١).

ونص الاتفاق على أن توزع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين، ونسبياً بين الطوائف والمناطق، وعالج هذا البند قضية زيادة مطالبات المسلمين عامة بزيادة مشاركتهم في الحياة السياسية، من خلال تقسيم مقاعد مجلس النواب مناصفة بين المسلمين والمسيحيين، وكذلك بالنسبة لتقسيم الوظائف العليا. حيث كان في السابق - بناءً على القانون الانتخابي لعام ١٩٦٠ - توزيع المقاعد بنسبة (٦) للمسيحيين إلى (٥) للمسلمين، أي (٥٤) مقعداً للمسيحيين، و (٤٥) مقعداً للمسلمين وزيد عدد المقاعد من ٩٩ مقعداً إلى ١٠٨ مقعداً، بعد أن كان الاقتراح في نص الوثيقة، التي أعدت من قبل اللجنة الثلاثية العربية (١٢٨) مقعداً ولكن لقي هذا العدد، معارضة مسيحية حادة مدعومة من نواب المسلمين، بسبب الخوف من دخول نخب بالتعيين تعتبر قريبة جداً من السوريين، منها حركة أمل، والحزب التقدمي الاشتراكي، والذي تبنى مطلبهم النواب المؤيدون لوجهة نظر الجبهة الوطنية، وتم اعتماد فكرة ملء المقاعد النيابية

(١) محمد زين العابدين السيد محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢ - ٩٤.

الشاغرة، عن طريق حكومة الوفاق الوطني استثنائياً، تمكيناً للمجلس من الاستمرار، وحقنه بدماء جديدة واحتواء زعماء الميليشيات والزعامات السياسية المستجدة، وإدخالها رحاب المجلس وتحويل صراعها المسلح إلى صراع سياسي داخل المجلس، أما السبب في اعتماد التعيين من قبل الحكومة، فهو تضائل تمثيل مجلس النواب للرأي العام، حيث انتخب منذ عام ١٩٧٢^(١).

ويعتبر ما أقره اتفاق الطائف بالنسبة لمجلس النواب تعزيزاً للسلطة التشريعية، واستقراراً في رئاستها يؤمن التوازن ويعكس الاستجابة لمطالب طائفية، وخاصة الطائفة الشيعية.

وبناءً على اتفاق الطائف لم يعد رئيس الجمهورية رئيساً للسلطة التنفيذية، بل انحصرت القيادة السياسية في مفهومها الإجرائي في السلطة بمجلس الوزراء فقط، وقد أدى ذلك إلى وقف الازدواجية في الوضعية القانونية التي كانت قبل الطائف، فكانت تتجسد الإجرائية بعضوين مختلفين في الوضعية القانونية: عضو مستقر هو رئيس الدولة وعضو جماعي هو الحكومة تتبدل بتبدل السياسة وتتجدد بتجدد ثقة المجلس النيابي، فلم يعد رأس الهرم الإداري. وأصبح تعيين رئيس الوزراء رهناً باختيار النواب وبالتشاور مع رئيس مجلس النواب، ولم يعد حل المجلس النيابي من صلاحياته، وحتى استقالة مجلس الوزراء ارتبطت بالتصويت على الثقة في المجلس النيابي، أو باستقالة رئيس الوزراء أو بوفاته، أو بفقدان أكثر من ثلث الوزراء على الأقل، أو عند بدء ولاية رئيس الجمهورية أو بدء ولاية مجلس النواب، وتكون إقالة الوزير بمرسوم يوقعه رئيس الجمهورية

(١) كاظم شبيب، المسألة الطائفية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢.

ورئيس الحكومة، بعد موافقة مجلس الوزراء أو بنزع الثقة انفرادياً منه في مجلس النواب بعد أن كانت إقالة مجلس الوزراء تعود لرئيس الجمهورية وحده بمجرد توقيعه على مرسوم الإقالة^(١).

إن التحول بالصلاحيات وإناطة السلطة الإجرائية بمجلس الوزراء، جعله مؤسسة جماعية للحكم في لبنان، فالصلاحيات التي أعطيت لمجلس الوزراء ورئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، والوزراء، كرست مبدأ المشاركة الفاعلة في إصدار القرارات، فهو بذلك خروج عن النظام الجمهوري الديمقراطي البرلماني البحت، سببه التسوية المهمة التي تأخذ بعين الاعتبار واقع الأوضاع السياسية في لبنان، حيث يدل هذا على أن الاتفاق أخذ بالتوازن الطائفي، إذ عالج اتفاق الطائف مشكلة هيمنة رئيس الجمهورية على بقية السلطات، وبالتالي انسحب ذلك على خفض هيمنة الطائفة المارونية على بقية الطوائف وخاصة السنة والشيعية والدرزية.

فضلاً على ذلك أصبح للرؤساء الثلاث، رئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة، ورئيس مجلس النواب، تعيين (١٢٠) شخصاً من اصحاب الدرجات الخاصة في لبنان، وبما يعزز التوازن الطائفي بين المكونات الثلاثة الرئيسية، الموارنة والسنة والشيعية، فبعد ان كان الميثاق الوطني اللبناني عام ١٩٤٣، هو ميثاق للتوازن بين طائفتين هما الموارنة والمسلمون السنة، فان ميثاق الطائف استبدل ثنائية الحكم الماروني-السني، بحكم جماعي بين الطوائف الثلاثة^(٢).

(١) فريال عبد النبي محمد، الديمقراطية التوافقية، نمط من توزيع السلطة في الديمقراطيات الحديثة (لبنان انموذجاً) مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، ٢٠١٣، ص ١٢.

(٢) محمد زين العابدين السيد محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣ - ٩٥.

٥ - خارطة توزيع القوى السياسية اللبنانية: ان نظرة فاحصة للقوى السياسية الرئيسية الفاعلة في النظام السياسي اللبناني، يعطي صورة متكاملة للنخب السياسية الشيعية ودورها الفاعل في ظل النظام لاسيما حزب الله اللبناني، اذ تنقسم القوى السياسية اللبنانية الان الى القوى التالية وهي:

(أ) قوى ١٤ / اذار: وهو تعبير يرمز للقوى التي اجتمعت على شعارات الاستقلال والتحرر من الوجود السوري، وجاءت التسمية بعدما خرجت هذه القوى في مظاهرة حاشدة وسط بيروت، بمناسبة مرور شهر على مقتل الحريري التي وافقت ١٤ / اذار ٢٠٠٥ للتنديد بعملية الاغتيال، وتضم كل من^(١):

- تيار المستقبل الذي اسسه الراحل رفيق الحريري، ويتزعمه الان ابنه سعد الحريري ويمثل (المسلمون السنة).

- الحزب التقدمي الاشتراكي: وهو حزب سياسي علماني يتزعمه القيادي وليد جنبلاط، ويمثل (الدروز).

- حزب الكتائب: وهو حزب سياسي لبناني اسسه امين الجميل سنة ١٩٣٦، ويشغله الان ابنه بيار امين الجميل، ويمثل طائفة المسيحيين الموارنة.

- القوات اللبنانية: وهو حزب سياسي وميليشيا سابقة اسسها بشير الجميل عام ١٩٧٦، كذراع عسكري للجبهة اللبنانية، ويرأسها الان سمير جعجع ولها (٥) مقاعد في البرلمان وتشارك في الحكومة.

(ب) قوى المعارضة (قوى الثامن من اذار): وهي القوى التي احتشدت في بيروت في الثامن من اذار ٢٠٠٥، للتعبير عن الامتنان لسوريا اثناء فترة انتشار

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٤.

جيشها في لبنان، واهم الاحزاب المكونة لقوى ٨ / اذار هي^(١):

- حزب الله اللبناني: ويقوى قوى ٨ / اذار في مواجهة قوى ١٤ / اذار، لاختلافهم حول بعض القضايا الاساسية في اطار النظام السياسي اللبناني.
- حركة امل: وتشكل مع حزب الله تحالفا استراتيجيا ضمن قوى ٨ / اذار.
- التيار الوطني الحر: نشأ عام ١٩٩٠ بعد نفي العماد ميشيل عون الى باريس اثر مواجهات مع القوات السورية الموجودة في لبنان، وأصبح التيار حزبا رسميا في سبتمبر ٢٠٠٥، بعد عودة قائده من منفاه الى بيروت، وتحالف مع حزب الله ضمن قوى ٨ / اذار.

وهكذا اصبح حزب الله وحركة امل من القوى السياسية الرئيسية الممثلة للطائفة الشيعية في لبنان وشركاء في حصد المقاعد البرلمانية الخاصة بالطائفة الشيعية في مختلف الدوائر كما هو الحال في نتائج الانتخابات البرلمانية للاعوام ١٩٩٢-١٩٩٦-٢٠٠٠، التي يبينها الجدول التالي رقم^(٢):

السنة	حزب الله	حركة امل	العائلات	المجموع
١٩٩٢	٨	٩	١٠	٢٧
١٩٩٦	٧	٨	١٣	٢٧
٢٠٠٠	٩	٦	١٢	٢٧

وهكذا يمكن القول وفي ضوء المكاسب الجديدة المحققة من قبل النخب

(١) محمد زين العابدين السيد محمد، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) احمد نزار حمزة، على طريق حزب الله، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦.

السياسية الشيعية الجديدة على مستوى النظام السياسي في لبنان، من خلال دستور الطائف، قد خفف النزعة الراديكالية الداخلية عند الطائفة الشيعية وخصوصا حزب الله التي كانت تهدف لإعادة التوازن الطائفي لصالح المكونات التي تمثلها، مقابل استمرار النزعة الراديكالية للحزب تجاه الخارج المتمثلة بالاحتل المسيطر على بعض الاراضي اللبنانية والعربية.

كما استطاع حزب الله من خلال مؤسساته الاجتماعية والحزبية في تعزيز وجوده السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والثقافي في لبنان بعد الاصلاحات الدستورية التي اعقبت الحرب الاهلية وإعادة التوازن لصالح الطائفة الشيعية.

وهكذا فان الطائفة الشيعية التي لطالما كانت مشتتة بين النخب السياسية التقليدية الدائرة في هوامش النظام السياسي اللبناني، وجدت نفسها ممثلة سياسيا عبر حركة امل في اوائل ١٩٨٠ وعبر حزب الله في نهاية القرن العشرين.

موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية في لبنان

أسعد كاظم شبيب

المقدمة:

يعد حزب الله في لبنان واحد من الاحزاب الاسلامية الذي لايزال موضوعاً للنقاش حول أهدافه ومشروعه وكيفية تعامله مع المتغيرات الكثيرة في العالم الاسلامي، اذ من خصائصه رفعه شعار المقاومة، وبقي رافعاً للسلاح المقاوم للمخاطر المحتملة للاحتلال الاسرائيلي، وتأسس على ركني العقائد، والثوابت، هذا الترابط بين ماهو تعبوي وعقائدي، وان مثل تحدي بنيوي للحزب، لكنه لم يمنع حزب الله، بان يعيد مواقفه، ويعمل مراجعه للذات للعدد من المسائل المتغيرة الهامة، كمسالة الايمان بالعمل الجماعي السياسي (التوافقي)، والتكيف مع الاخرين بادارة الدولة اللبنانية، في ضوء ما يستجد من متغيرات تمس واقع الحزب، والمحور المانع او المقاوم الذي ينتمي اليه.

من هنا اضطر حزب الله، ان يعمل مراجعة دقيقة لبنود عديدة من مناهجه التنظيمي، لاسيما تلك الخاصة بالمقولات العقائدية والتعبوية الخاصة بالفكر السياسي عند طائفة الامامية، كموقفه من التأيي في تطبيق مقولة ولاية الفقيه، حيث انه لم يخفي في أدبياته التأسيسية من الايمان بولاية الفقيه، الى جانب علاقته

الروحية الوطيدة بملهمي جمهورية الاسلامية في ايران. ومن جهة ثانية فان حزب الله في ادبياته التأسيسية ايضاً، يحترم الدولة اللبنانية، ويسهر على حمايتها من أي اعتداء، ويؤمن بتعدديتها الدينية والمذهبية، هذا الثنائي جعل من الحزب ان يراعي الخصوصية اللبنانية بالسكوت عن المسالة الخاصة بالعقائدية الحزبية، ومراجعة قراره الناص بالممانعة في الدخول في الحياة السياسية التوافقية، وادراكه بعد التوقيع على اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ بأهمية المساهمة الجماعية في الحياة السياسية اللبنانية، وقرر الدخول بأول انتخابات نيابية بالنسبة له في العام ١٩٩٢. من نقطة التحول الهامة في التاريخ السياسي اعلاه لحزب الله، تأتي أهمية الدراسة، حول تغيير موقفه - حزب الله - من الرفض الى القبول، بالدخول في العمل السياسي بصيغته التوافقية، من دون ان يقلل ذلك من دوره المقاوم المسلح، من هنا سائد الاعتقاد عند عدد كبير من الباحثين، ان هناك اسباب داخلية خارجية، قد تمس كيان الدولة، والوجود التنظيمي والعسكري للحزب، الذين يمثلان موقعا جيوسراتيجيا وهدفاً هاماً بالنسبة الكيان الاسرائيلي.

هذا التحول في ادبيات الحزب، وان كانت الاسباب المشار اليها تمثل امر هاماً لتبريره، لكنه تضع الدراسة ايضاً امام بيان الاشكالية التالية: ان حزب الله بدا جماعة ثورية راديكالية مسلحة، ثم تحول الى حزباً سياسياً واقعياً، امن بالعمل السياسي التوافقي منذ العام ١٩٩٢ ومازال مستمراً على موقفه المذكور الى هذه اللحظة. في ضوء افتراض ننطلق منه لتفكيك ما تقدم من اشكالية ينص على ان قرار حزب الله في المساهمة بالحياة السياسية التوافقية منذ العام ١٩٩٢ والى اليوم، تعود الى إدراكه للمخاطر الخارجية والداخلية، حيث تتمثل الاولى باسرائيل والعنصر الاقليمي المسابير لها، اما داخليا فيحاول الحزب وحلفائه وباقي

المجموعات الوطنية، درء الخطر عن لبنان الدولة الموحدة، لذا فاننا نحاول اثبات الفرضية التالية: ان المخاطر الداخلية والخارجية جعلت حزب الله يتحول من حزب راديكالي يؤمن بالمقولات العقائدية الاسلامية، الى حزب واقعي، يؤمن بالحل السياسي التوافقي، وعلى المستوى التشريعي والتنفيذي.

لضمان صحة فرضيتنا نحاول عرض عدد من الاسئلة والاجابة عليها فيما بعد، منها: لماذا رفض حزب الله الديمقراطية التوافقية ابتداءً في ضوء الميثاق الوطني الذي بقي نافذا خلال الاعوام (١٩٤٣ - ١٩٨٩)؟، ثم لماذا غير حزب الله موقفه من الديمقراطية التوافقية باتجاه القبول بها، بعد اعلان اتفاق الطائف في العام ١٩٨٩؟ هل هذا التغيير متعلق بمستوى بنية الحزب من خلال وصول الجناح البراغماتي بزعامة السيد حسن نصر الله عام ١٩٩٠؟ واذا كان حزب الله بقيادته الجديدة له موقفاً ايجابياً من الديمقراطية التوافقية، هل هذا يعني ان الحزب لم يعد يطالب بالحكم الاسلامي وفق مقولة ولاية الفقيه؟ ثم ماذا يريد الحزب من مطالبته بتعديل الفقرة الخاصة بالغاء الطائفية السياسية، التي بعد قانوني في اطار النظام السياسي اللبناني الحالي. وماهي البدائل عنها؟ هل هي الحكومة الاسلامية؟ ام العلمانية؟ وكلاهما محل جدل كبير في لبنان. وهذا ما قد يجعله - حزب الله - ان يستمر بالقبول بالديمقراطية التوافقية.

نحاول الاجابة على ما تقدم تباعاً من خلال استخدامنا مناهج علمية ذات صلة في هكذا مسائل منها المنهج التاريخي، كما ان تغير موقف الحزب بالمشاركة والتكيف بالحياة السياسية اللبنانية منذ انتخابات عام ١٩٩٢ والى الآن، تجعل استخدام المنهج الوصفي والتحليلي، أفضل معيار للحكم على دواعي تحييد

حزب الله بالتكليف من المجموعات اللبنانية الاخرى، وهذا ما يتضح بالاجابة والتفكيك للنصوص التاريخية والسياسية الواردة في البحث بمحاوره الثلاث الآتية:

اولاً: مفهوم الديمقراطية التوافقية:

تعد الديمقراطية التوافقية شكل من اشكال الديمقراطية التي يمكن تمييزها في مجتمعات معينة تتميز بامتلاكها اقساماً او قطاعات من المجتمع ومنها الطوائف الدينية، والمجموعات اللغوية او العرقية الكبيرة، والمجموعات الاقليمية او الطبقية او الثقافية الواضحة^(١). أي ان هذا التعريف يذهب الى ان الديمقراطية التوافقية هي نوع من انواع الديمقراطية العامة لكنها تخذ شكلاً اخر عنها لتكون جامعة لائتلاف واسع جامع للجماعات المختلفة عرقياً وطائفيّاً بل يشمل المختلفة ثقافياً وايدولوجياً، ليودي ذلك الائتلاف الواسع الى اصدر النتائج بالاتفاق. بمعنى ان الديمقراطية التوافقية تكون متلائمة مع المجتمعات الغير المتجانسة شعبياً ومذهبياً^(٢). ويمكن تعريف الديمقراطية التوافقية استناداً الى تقسيم السلطة من خلال ايجاد ائتلاف واسع للحكم يشمل الزعماء السياسيين من القطاعات الهامة كافة في المجتمع^(٣). وهذا التعريف يشير الى ان

(١) احمد عطية الله السعيد، المعجم السياسي الحديث، ط١، بغداد - بيروت، شركة بهجة المعرفة، (د. ت)، ص٩٥.

(٢) نصيف نصار، في التربية والسياسة(متى يصير الفرد في الدول العربية مواطنان)، ط٢، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥، ص٢٧١.

(٣) شاكر الانباري، الديمقراطية التوافقية، بغداد - بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٨، ص٥.

ادارة الدولة في المجتمعات المتعددة قد لا يكون الا من خلال تقسيم السلطة بين زعماء المجموعات الهامة وممثليهم، عبر التوافق على الية ما لتقاسم المناصب.

أي ان الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية التوافقية، الاعتقاد بضرورة اعطاء حقوق سياسية للجماعات الاثنية التي يتألف منها شعب واحد متعين، اذ احترام الشعب لنفسه، سياسياً، يمر عبر احترام الجماعات الاثنية التي يتألف منها لانها - الجماعات الاثنية - تتمتع بهوية واضحة وراسخة، ضمن هوية الشعب الذي تنتمي اليه^(١). وبهذا المعنى، فان الديمقراطية التوافقية طرحت للمجتمعات التي تفتقد الى الوحدة الدينية، واللغوية، ويمكن في هذه المجتمعات أقرار الديمقراطية، والاستقرار السياسي فقط، عن طريق اجماع الاراء والتوافق العام بين الفرق والطوائف جميعاً، او بعبارة اخرى مساهمة جميع الفرقاء السياسيين مساهمة فعالة في السلطة^(٢).

ومن خصائص الديمقراطية التوافقية، بأنها تكون عبرة ادارة ائتلاف واسع، وجود الفيتو المتبادل والاكثرية المتنافسة، المحاصصة كمبدأ أساسي للتمثيل السياسي، درجة عالية من الحكم الذاتي في كل فرقة لادارة امورها الذاتية^(٣). يضاف الى ما تقدم، بان دور القيادات (الزعامة) فيها عنصر حاسم جداً من حيث قدرتهم على التسامح، لذا تطلب تعاوناً بين قادة المجموعات بالرغم من الانقسامات العميقة بينها وهذا يستلزم ان يشعر القادة بشي من الالتزام بصون

(١) نصيف نصار، مصدر سابق، ص ٢٧٢.

(٢) مسعود اسد الله، الاسلاميون في مجتمع متعدد (حزب الله انموذجاً)، ترجمة دلال عباس، بيروت، مركز الاستشارات والبحوث، ٢٠٠٤، ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٩٦.

وحدة البلد^(١). بالطبع فان هذه الخصائص ستكون مؤثرة حين تتوافر في المجتمع الظروف الآتية: وجود الخطوط التي تشخص الانقسامات الطائفية والفئوية، وتوازن القوى المتعددة الجوانب، الاراء المؤيدة للائتلاف الواسع، وجود التهديدات الخارجية، الوطنية في النظام التوافقي تكون معتدلة، قلة الضغط على النظام^(٢).

من هنا يعد الخيار التوافقي بالنسبة الى الكثير من المجتمعات التعددية في العالم غير الغربي ليس خياراً، اذا اخذنا بالاعتبار النموذج البريطاني للديمقراطية، بالرغم من ذلك فان النموذج التوافقي يعد النموذج الثاني، حيث انه أفضل من انعدام الديمقراطية تماماً^(٣). نشأت الديمقراطية التوافقية عملياً، بعد الحرب العالمية الثانية اعترافاً بقصور النظام الديمقراطي الاكثري المألوف، لهذا تعد الديمقراطية التوافقية أوربية المنشأ، ثم انها اغتنت لاحقاً من تجارب العالم الثالث، وهي في المحصلة خروج على الاجماع النمطي، الذي يمثل النظام الاكثري المتمثل في الولايات المتحدة الامريكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا^(٤). يقول مختصون انه ليس هناك نموذج نقي يمكن اعتماده لصيانة الديمقراطية التوافقية، حتي الدول الاوربية التي تعتمد هذا النمط من الديمقراطية كـ(النمسا، سويسرا، بلجيكا) التي اعتبرت نماذج ناجحة في الحكم المستقر لايمكن اعتبارها نماذج نقية للديمقراطية التوافقية، اما في العالم الثالث فالأمر

(١) شاكر الانباري، مصدر سابق، ٢٦ - ٢٧.

(٢) مسعود اسد الله، مصدر سابق، ص٩٦.

(٣) شاكر الانباري، مصدر سابق، ص٩٢.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٨.

يعد معقد أكثر من غيره من العوالم الأخرى، حيث يعاني من وجود واقع تعددي، يتخذ مساحة طائفية، واثنية، ودينية، وهذا الواقع لم يصل إلى إيجاد حلول مقنعة ومستقرة لتلك التعددية^(١). إلا أن هذا لا يدل على عدم نجاح الديمقراطية التوافقية في بلدان العالم الثالث الذي عرف ثلاث نماذج متميزة في ديمقراطيته التوافقية وهي ماليزيا، وقبرص، ولبنان^(٢). والنموذج الثالث - لبنان - سوف نتخذ من حزب الله كأحد الأحزاب الإسلامية فيه، تنظيمياً وعقيداً محلاً لبحثنا لبيان موقفه من الديمقراطية التوافقية.

ثانياً: موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية في ضوء الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣

برز الشيعة كطائفة أساسية في لبنان منذ الاستقلال من الاحتلال الفرنسي عام ١٩٤٣، إذ قبل هذا التاريخ يعيش أغلب أتباع المذهب المذكور وإلى حد كبير على الهامش، في مناطق بعلبك، وجبل عامل، وهم قبيلة عربية عاملة هاجرت من اليمن واستوطنت في الجنوب اللبناني قبل ظهور الإسلام بأمد بعيد^(٣). وعرفوا بعد ظهور الإسلام بـ(المتاوله) للدلالة على ولايتهم لأهل البيت^(٤). كما تعد مناطق سكنهم منسية من النواحي الاقتصادية، والسياسية، التي باتت تسمى أيضاً بالضاحية الجنوبية، يمتن أغلب سكان الضاحية الزراعية، حيث تمثل

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨ و ٥٥.

(٢) شاكر الأنباري، مصدر سابق، ص ٦٠ - ٦١.

(٣) محمد جواد مغنية، تجارب محمد جواد مغنية، ط ١، بيروت، منشورات الرضا، ٢٠١٢، ص ٤٦٢.

(٤) نبيه بري، موسوعة الرئيس نبيه بري، ج ١، ط ١، بيروت، منشورات دار الفجر، ٢٠٠٧، ص ٢٣.

ارض خصبة للزراعة، فيها موارد جيدة للمياة، ولكن الأراضي الزراعية كانت مقتصرة على بعض البيوتات اللبنانية، او ما يعرف بالقطاع، الذين كانوا في الوقت ذاته، يمتلكون القرار السياسي في توصلهم مع الحكومات اللبنانية آنذاك. وفي هذا الصدد يكتب الشيخ محمد جواد مغنية قائلاً: «عاش الجنوب طويلاً في التخلف والحرمان، وفي الإهمال والنسيان من الحكام والمسؤولين»^(١).

ان ادارة المناخ السياسي اللبناني في عهد ولاية الدولة العثمانية، وبصورة ادق في عهد الامير فخر الدين الثاني (١٥٩٠ - ١٦٣٤) كان يدار بصورة اقصائية سياسياً وعسكرياً، للعديد من التجمعات في لبنان لاسيما المختلفين من ناحية الدين والمذهب، هذه النقطة السلبيه في التعامل العثماني مع الاخر في لبنان، لم تقتصر على تلك المرحلة، وانما اوضحت لها تداعيات فيما بعد لاسيما ب بروز المشكل الطائفي، كون ولاية الدولة العثمانية لم يعاملوا سكان لبنان على اعتبار الجنسية والحقوق المتساوية، وانما راعت الانتماء المذهبي فقط، فقربت بذلك من هو منتمي عقائدياً ومذهبياً، واقصات الأقليات وإتباع الديانات والمذاهب الاخرى، لاعتبارات سياسية. ويمكن الاستشهاد على ما تقدم بما ذكره رياض نجيب الريس: «ان نظام الطائفية السيسولوجي يعود الى نظام المصرفية العثمانية التي كرسته منذ العام ١٨٦١»^(٢). هذه المشكل الخبيث - القصائي والطائفي - الذي تعاملت به الدولة العثمانية في لبنان، وباقي الامصار العربية، كان سبباً اساسياً في انها سيطرتهم على اغلب البلدان العربية وذلك لانها - الدولة العثمانية - ساهمت

(١) محمد جواد مغنية، مصدر سابق، ص ٤٨١.

(٢) رياض نجيب الريس، ازمة بناء الوطن(التفاعل العربي)، بيروت، مجموعة التخطيط والانماء،

بصورة كبيرة في إيجاد فجوة بين السكان المحليين، والولاة العثمانيين، مما سهل الامر في بدايات القرن التاسع عشر، ان يعمل العنصر الاجنبي المتمثل بالانكليز والفرنسيين الخارجيين للتوا من ثورات تحررية خاضتها شعوبهم ضد الاستبداد، والاستغلال الاقتصادي، فقد حرصوا ان يعملوا ظاهرياً على أنهم مشروع يحمل شعار التحرير لشعوب الأمصار العربية، ومن جهة اخرى ادعت تلك البلدان ان تدخلها جاء لاسباب تتعلق بحفظ حقوق الاقليات، خاصةً المسيحيين منهم. فكان لبنان وسوريا كجزء كبير من بلاد الشام، وفيه نسبة من المسيحيين وقع تحت نفوذ السيطرة الفرنسية، التي كانت ممتدة الى مصر، وولاية الموصل العراقية، بينما سيطر الانكليز على باقي الامصار العربية، ودخلوا في صراع مع الروس على ايران.

ما ينبغي على الفرنسيين آنذاك فعله، ان يعاملوا التجمعات اللبنانية بروح المساواة، لكن الذي حدث، أنهم تعاملوا مع الأقليات الدينية، والعرقية، على غرار ما فعلته الدولة العثمانية، لكن الشعار كان مختلفاً بينهما، فقد حمل العثمانيين شعار الجامعة الاسلامية، بينما رفع الفرنسيين شعار الثورة الفرنسية: حرية، اخاء، مساواة وكلا الشعارين لم ينفذ منها الا النذر اليسير.

عموماً فقد استمرت سياسية الاقصاء الفرنسية الى غاية انتهاء الانتداب الفرنسي على لبنان في ١٩٤٣ حينما فرض الكفاح اللبنانيين من اجل استقلالهم التام، وقد نالوا ذلك في العام المذكور، ولكن ما بقي هو الجيوبولتكس المذهبي على حالة، في دولة الاستقلال بل جرى تاطيرة رسمياً في العام ١٩٤٣ جراء لقاء العصبوية المذهبية والدينية بالتوقيع على ميثاق وطني، وصف من البعض بالميثاق التوازن الطائفي، عرف بـ(الميثاق الوطني *National Paet*) بين الطوائف اللبنانية

الكبرى، الموارنة، والسنة، وأضيف اليهما، الشيعة، فيما بعد، حيث جرى تقاسم السلطة بينهما بالتناسب مع حجم كل طائفة، بمعنى جاء توافقياً مع ميزان القوى الطائفي القائم^(١). حيث حدد قانون الانتخاب الصادر في العام ١٩٤٣ عدد المقاعد في المجلس النيابي بـ(٥٥) مقعد، (٣٠) مقعد للمسيحين، و(٢٥) للمسلمين، ثم توزع نسبياً بين الطوائف، بمعنى صيغة القاعدة التوافقية المذكورة تتمثل باعطاء خمسة مقاعد للمسلمين مقابل ستة للمسيحين أي نسبة (خمسة على ستة)^(٢). عموماً يصنف الميثاق الوطني على انه اتفاقية تفاهم غير مكتوبة بين الرئيس الماروني بشارة الخوري، ورئيس وزرائه رياض الصلح، والعقل المدبر الذي وقف وراء هذا الميثاق هو ميشيل شحه المصرفي المسيحي الكلداني^(٣). وبقي العمل بموجب الميثاق المذكور لمدة طويلة استمرت لغاية العام ١٩٨٩ بالتوقيع على اتفاق الطائف الذي سنأتي عليه لاحقاً.

تقبل الشيعة كطائفة الميثاق الوطني بصورته الاجمالية مع التحفظ على اليات

(١) عبد الاله بلقزيز، دور الدولة في مواجهة التراجعات الاهلية، في مجموعة باحثين، التراجعات الاهلية العربية(العوامل الداخلية والخارجية)، ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١، ص٥٩.

(*) للتويه ان قانون الانتخاب هذا منذ صدوره وحتى تعديل الدستور في العام ١٩٩٠ بعد اتفاق الطائف اعتمدت كل قوانين الانتخاب القاعدة المذكورة في المتن أي نسبة(خمسة على ستة)، وعدد المقاعد الذي اعتمد في كل هذه القوانين نتيجة ضرب عدد ما بالرقم(١١) من اجل المحافظة على هذه النسبة لان(١١=٦+٥)فتبدل عدد المقاعد النيابية من ٥٥ الى ٧٧ ومن ثم ٤٤ و٦٦ و٩٩ للمزيد ينظر الى: مجموعة خبراء، البرلمان في الدول العربية(رصد وتحليل)، ط١، بيروت، المركز العربي لتطوير حكم القانون والتراثة، ٢٠٠٧، ص٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) اسحاق نقاش، الوصول الى السلطة (الشيعة في العالم العربي المعاصر)، ترجمة مختار الاسدي، مراجعة عماد الهاللي، ط١، بغداد، دار قرطبة للكتب العربية، ٢٠١٢، ص٢٢١ - ٢٢٢.

في تقاسم السلطة، كونه أصبح امر واقع لاسيما وان الدستور اللبناني لعام ١٩٢٦، جرى تعديله لما ينسجم مع ما اقره الميثاق الوطني من الاعتراف رسمياً بالطوائف الدينية^(١). فالجناح الواقعي من الشيعة آنذاك، فهو بالوقت الذي يدين الطائفية السياسية، لكنه يؤمن بالدستور اللبناني، لذا فهم كانوا على الدوام يدعون الى المشاركة في العمل الجماعي السياسي، وكانوا يرون ان الحل يكون باجراء تعديل في الدستور اللبناني، وليس العزوف عن المشاركة السياسية، كون حالة العزوف تزيد من معاناة الناس^(٢). عموماً أصبح الوجود السياسي للشيعة، متمثلاً بدولة الاستقلال، بشخصية تدعى صبري حمادة، الذي تسلم رئاسة البرلمان، الذي كان عليه في ايلول عام ١٩٤٣ وبموجب الديمقراطية التوافقية، المنصوص ميثاقياً ودستورياً، ان يرشح الى سدة رئاسة الجمهورية اللبنانية، بشارة الخوري، الى جانب اشراكتهم - الشيعة - في ما سمي بالحكومة الوطنية، التي يترأسها شخصية سنية متمثلة برياض الصلح^(٣).

هذا التقسيم السلطوي، وفق البنية اللبنانية المكونانية، اثار جدلاً عن ماهية نمط النظام السياسي في لبنان الحديث، فهل هو نظام قائم على الطائفية السياسية المعتمدة على التسوية التوافقية؟ أهي شكل من اشكال الديمقراطية؟، التي تنسجم مع التعدد الديني، والطائفي، والتي تسمى اليوم بالديمقراطية التوافقية.

(١) مجموعة خبراء، مصدر سابق، ص ٢٣١.

(٢) محمد جواد مغنية، مصدر سابق، ص ٤٦٧.

(٣) لورانت شابري واني شابري، سياسة واقلليات في الشرق الاوسط، القاهرة، مكتبة مدبولي،

اختلفت وجهات النظر في ما بين صناع القرار والمسؤولين اللبنانيين، كما اختلف قبلهم الباحثين، حول تصنيف نمط نظام الحكم اللبناني الحديث، اذ قبل الشيخ محمد جواد مغنية، بالديمقراطية في لبنان، كونها - الديمقراطية التوافقية - أفضل من أشكال أنماط الحكم الذي افه لبنان، حيث يصف الشيخ مغنية الديمقراطية اللبنانية بأنها: «جعجة بلا طحين، فما ان تنتهي همروجة الانتخابات حتى يتكرس نظام الطائفية، ويثبت الفوضى، والفساد، واللصوصية، ويعود الى الحكم، ملوك الطوائف، وتتسلط عائلات الاقطاع السياسية، ومع هذا فان المواطن في لبنان اسعد من غيره في اكثر البلدان، لانه على الاقل يبدي رايه في امور حياته، ويرفع عند الضرورة عقيرته بالاعتراض، والاحتجاج، وهذا اضعف الايمان»^(١). فيما عبر اسحاق نقاش عن اعتقده في ان النظام السياسي اللبناني مغروس من نمطين من انماط اليات الحكم هما: التوافقية والطائفية^(٢). ويذكر نصيف نصار، انه من خلال الميثاق الوطني وكذلك الدستور اللبناني لعام ١٩٢٦ - في مادة (٩ و ١٠ و ٩٥) - لعبت الطائفية في العمليتين دوراً اساسياً^(٣). ويرى الكاتبان غسان سلامة، وعبد الاله بلقزيز، ان النظام السياسي اللبناني آنذاك، قام على العقد الخاص بين تراث برلماني غربي، وتراث محلي طائفي^(٤). بمعنى ان الذين وضعوا الدستور، ومن ثم الميثاق الوطني، حولوا ايجاد حالة من التوافقية بين ما يتطلبه الواقع اللبناني في بنيته المجتمعية، والمبادئ المعمول بها في الانظمة الديمقراطية

(١) محمد جواد مغنية، مصدر سابق، ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢) اسحاق نقاش، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

(٣) نصيف نصار، مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٤) عبد الاله بلقزيز، مصدر سابق، ص ٥٩.

البرلمانية^(١).

وذهب لورانت شابري، واني شابري، الى ان الميثاق الوطني المذكور ساهم ايجاد ديمقراطية توافقية، تمثلت معالمها، باندماج سكان الجنوب في الدولة لبنان الحديث، حيث اعترف بجميع طوائفه، واكتسب الشيعة حالة المواطنة، كالطوائف الاخرى، ورأوا انفسهم يرتقون الى حياة سياسية، توقفوا عن المشاركة فيها منذ زمن طويل^(٢). كما يذكر الكاتبان المذكوران، بان الميثاق الوطني، صادق وأسس على اطر الدولة اللبنانية، من خلال تأمين الحرية، والتوازن بين الاقليات ما قبل المواردنة والدروز، كما ان الميثاق ساهم في نمو مشاركة الشيعة في الحياة السياسية، بشكل مثل ربحاً واضحاً، الذين أسندت إليهم رئاسة البرلمان في واقع المركز الثالث في الدولة، وعدد من المقاعد البرلمانية لا يقل عن باقي المجموعات الا باقل عدد عن باقي المجموعات الدينية^(٣).

من جانبه فقد رفض حزب الله عند تاسيسه العمل بموجب الميثاق الوطني، وذلك لسببين: احدهما يرجع الى الايديولوجيا السياسية للحزب، والمعتقدة بالاسلام كمنهج للحياة وكل ما يخالف ذلك من انماط الحكم الوضعية غير وارد في الادبيات التأسيسية لحزب الله^(٤). ثانيهما اعتقاد حزب الله، بان الميثاق الوطني انطوى على الطائفية السياسية، لذا فهو دعى الى الغائها، وبموجب ذلك، تعامل

(١) مجموعة خبراء، مصدر سابق، ص٢٣١.

(٢) لورانت شابري واني شابري، مصدر سابق، ص١٨٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص١٨٢.

(٤) حسن فضل الله، الخيار الاخر(حزب الله السيرة الذاتية والمواقف)، ط١، بيروت، دار الهادي

للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص٣٦ - ٣٧.

حزب الله، بمنطق رفض الاشتراك في الحياة السياسية اللبنانية، بموجب الميثاق الوطني، لكن هذا الرفض تغير بعد الاتفاق على اتفاق الطائف لاسباب عدة ستوضح لاحقاً.

كما ذهبت حركة امل، متمثلة برئيسها نبيه بري رئيس مجلس النواب الحالي الى القول، بسلبية الديمقراطية آنذاك، كونها تؤدي إلى إيصال شخصيات لا تؤمن بالديمقراطية: «ان السياسة كانت في الماضي ملكية خاصة لعائلات سياسية، واقطاعية، تحتكر السلطة، وكانت الديمقراطية تستخدم لانتاج اللاديمقراطية في المحطات الانتخابية»^(١). بالفعل فان التمثيل السياسي للشيعه بموجب الميثاق الوطني لم يحل مشاكلهم الرئيسية، لاسيما على المستوى الاجتماعي، والاقتصادي، وان المستوى السياسي كما قال نبيه بري، كان مسيطر عليه من قبل الإقطاع، والوجهاء، حيث كانت عوائل: الأسعد، الزين، عبدالله، بزي، بيضون، وخلييل، تشكل العوائل المعروفة في جبل عامل^(٢). الا ان عوائل حيدر، حمادة، والحسين، هي التي تلعب الدور القيادي في البقاع، حيث العديد من افراد هذه العوائل كانوا انتخبوا للبرلمان، ويمنحون المنح، وكانوا يعملون كوسطاء بين الافراد والدولة، ويقدمون التسهيلات للافراد على مستوى العمل^(٣). هذا الصعود السياسي الجزئي للشيعه وان كان على مستوى افراد من اسر اقطاعية، كانت بالأساس محتكرة للتمثيل السياسي قبل صدور الميثاق الوطني، قابلة انكماش للمؤسسة الدينية في الوقت ذاته، وبالتحديد في النصف الاول من القرن

(١) نبيه بري، مصدر سابق، ص ١٨٥.

(٢) اسحاق نقاش، مصدر سابق، ص ٢١٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٨.

العشرين. فقد احصى اسحاق نقاش، انه بين اوائل الاربعينات ١٩٤٠م يكن هناك سوى اثنين وأربعين عالماً شيعياً في لبنان على حجم ١٥٥. ٠٠٠ نسمة من الشيعة، المنتشرين عشوائياً في اكثر من ٤٥٠ الى ٥٠٠ قرية، والعديد من العلماء المذكورين لم يكونوا مؤهلين كقضاة ربما فقط خمسة عشر منهم مؤهلين، ولعل منهم السيد عبد الحسين شرف الدين (١٩٥٨)، والشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٩٧٩)^(١). دعى ذلك التراجع العلمائي بالسيد عبد الحسين شرف الدين، ان يسد الفجوة العلمائية بالدعوة الى السيد موسى الصدر من ايران لقيادة الشيعة في لبنان في العام ١٩٥٩، ليرسم صفحة جديدة فيه، مغايرة كلياً مما كان عليه لبنان، الذي يكون جزء منه، انبثاق تنظيم حزب الله، من حركة قائم بتأسيسها السيد موسى الصدر كما سيتضح في التالي.

حيث سعى السيد موسى الصدر الى استنهاض تيار شعبي في الوسط الشيعي واعمي، ومتناسك للدفاع عن مصالح سكان المناطق الفقيرة في لبنان، لاسيما في البقاع وجبل عامل حيث أسس (المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى)^(٢). كما انشأ حركة سياسية اسمها بـ(حركة المحرومين) غلب عليها الطابع المطلبي، لرفع الحرمان عن المناطق المستضعفة، وعلى حد تعبير الشيخ نعيم قاسم باحزمة البؤس حول بيروت التي تكونت بفعل الهجرة من الريف الى ضواحي بيروت^(٣). انطلقت

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) عبد الاله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص ٤٣.

(٣) نعيم قاسم، حزب الله (المنهج.. التجربة.. المستقبل)، ط٣، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ١٩.

حركة المحرومين من خلفية ثقافية اسلامية عامة، تضع التشيع في سياق هذه الثقافة، وتراه موقفاً انسانياً ملتزماً، بمعيار العدل، ومتجاوز للحدود المذهبية، وهو اذ لا يرى في التشيع مذهباً، جعفرياً، فقهياً، فحسب، وانما رؤية، وسلوك، واجتهادات، ومواقف، ناتج هذا الفهم عنده - السيد موسى الصدر - من خلال قراءته المعاصرة لسيرة الأئمة الاثني عشر عليه السلام ومواقفهم التي تعبر عن نماذج الحالات الاجتماعية، والسياسية، ذات الإبعاد الفلسفية، من هنا كان الصدر يرى مشروع الامة والوطن يسمو على مشروع السلطة^(١). اذ نادى السيد موسى الصدر الى التحرك والعمل بموجب هاتين المنظومتين التي قد تساعد على حجز موقع رسمي للشيعنة اكبر من السابق في الخارطة المؤسساتية لنظام السياسي اللبناني^(٢).

كما ان الظهور الملفت للسيد موسى الصدر ربما جاء منسجماً ايضاً مع تداعيات مرحلة اواخر الخمسينيات، وأوائل الستينات من القرن المنصرم على الساحة العربية، وما كان تمر به من تطورات أهمها الاعتداء الإسرائيلية على البلدان العربية، لتكون بذلك اطروحات السيد موسى الصدر المبدئية متوافقة مع الخارج اللبناني ايضاً، وبالتحديد الموازية لجمال عبد الناصر، ومشاريعه القومية، والوحدوية، التي بدأت تظهر في العام ١٩٥٩^(٣).

عموماً فان الحرمان وموضوعة المقاومة اللاتين انطلق منها السيد موسى الصدر، بتحقيق هدف اخر، هو تأسيس مشروع احيائي تمثل بـ(حركة امل) التي تدور شأنها شان المجلس الاسلامي الاعلى، في نطاق الرؤية لمصلحة الدولة

(١) وجيه كوثراني، مصدر سابق، ص ٩٢.

(٢) عبد الاله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان، مصدر سابق، ص ٤٣.

(٣) لورانت شابري واني شابري، مصدر سابق، ص ١٨٣.

والوطن اللبنانيين^(١). وهي الرؤية التي حاول من خلالها السيد موسى الصدر، ان يبنى موقفاً وسطاً اثناء حدوث الحرب الاهلية لعام (١٩٧٥ - ١٩٩٠) حافظ اثناء وجوده في السنوات الاولى من المدة المذكورة من الحرب، على الاتصال بالمعسكر المسيحي الماروني، من اجل وضع حد للمعارك^(٢). كما دعى الصدر الى المشاركة الفاعلة في السلطة بين الطوائف اللبنانية الرئيسية، وهو الذي عمل اثناء السنوات الاولى للحرب، وسيطاً مهماً بين الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، والمؤسسة المسيحية المارونية، وكذلك أتباع المذهب السني في لبنان^(٣).

في شهر اب من العام ١٩٧٨ اختفى السيد موسى الصدر في ليبيا، اثناء تليته لدعوة وجهت اليه من الدكتاتور الليبي المباد معمر القذافي في ظروف وصفت بغير الواضحة، فقد ارجع البعض الأسباب التي دعت القذافي الى اختطاف السيد موسى الصدر، تتمثل بمايلي: اولهما يكمن بالدور الريادي الذي اتخذه الصدر على الساحتين اللبنانية والعربية، ثانيهما يتعلق ببلورة مشروع سياسي اسلامي للشيعية، عد بمثابة صحوة في عدد من البلدان لاسيما في ايران، والعراق، حيث مثل العالم العراقي السيد محمد باقر الصدر، الدور الريادي فيه، مما جعل هذين العالمين، انتشاراً للوعي الجماهيري، يصب باتجاه التخلص من الاستبداد، والاستغلال، المتمثل بالحكام العرب المستبدين، وفضلاً عما تقدم فان اختفاء السيد موسى الصدر، وحسب شاهد عين من تلك الحقبة، جاء بعد تهديده -

(١) وجيه كوثراني، مصدر سابق، ص ٩٥.

(٢) لورانت شابري واني شابري، مصدر سابق، ص ١٨٦.

(٣) وجيه كوثراني، مصدر سابق، ص ٢٣٦.

السيد موسى الصدر - للنظام صدام حسين، بعد اعتقاله الأول، للسيد محمد باقر الصدر، عندما خاطب السيد موسى الصدر رئيس النظام المباد - صدام - قائلاً: اذا لم تطلق سراح السيد محمد باقر الصدر فسوف اشعل الارض تحت قدميك. وبالنتيجة نرجح ان يكون خطف السيد موسى الصدر جاء بايعاز من الدكتاتور العراقي البائد صدام حسين الى القذافي. وما يزال مصير السيد موسى الصدر في ليبيا مجهولاً، ولم يكتشف أي جديد واضح بخصوص حياة السيد موسى الصدر حتى بعد زوال نظام القذافي في العام ٢٠١٢.

على أي حال فبعد التغييب القسري للسيد موسى الصدر، تولى ادارة حركة امل مجلس قيادة يرأسه على التوالي حسن الحسين، والرئيس الحالي نبيه بري، ومايين نجاح الثورة الاسلامية في ايران بقيادة السيد الخميني في العام ١٩٧٩، واجتياح اسرائيل للبنان في حزيران من العام ١٩٨٢، بدأت بلورة لتنظيم مشروع مقاوم اكبر اسمه (حزب الله)، كما طالب ممثل حركة امل في نيسان عام ١٩٨٤ باعادة تحديد اسس (الميثاق الوطني) المشار اليه سابقاً، من خلال مؤتمر المصالحة في لوزان من العام المذكور، الذي من الممكن أي يحقق ثقلاً اكبر على المستوى السياسي والعسكري للشيعنة بالنظر الى وزنهم العددي وبالقياس الى باقي الطوائف الرئيسية^(١).

وما بين حافز انتصار الثورة الاسلامية هذه المرة، واتساع ظاهرة المد الاسلامي في العالم العربي، وتداعيات اجتياح اسرائيل للبنان، منها اغتيالها للشيخ راغب حرب في العام ١٩٨٤، أعلن عن التأسيس الرسمي لـ(حزب الله)

(١) لورانت شابري واني شابري، مصدر سابق، ص ١٨٦.

في ١٦/ اشباط عام ١٩٨٥ امام حشد شعبي، حيث ارجع السيد حسن نصر الله الزعيم الحالي لحزب الله* ان هذا الحزب أسس من الحاجة الى وجود تنظيم مقاوم قائلاً: «ان حزب الله ولد في ساحة المقاومة على خلاف نشأة كل الاحزاب»^(١).
 والى جانب الدور المقاوم الذي ذكره السيد نصر الله فان هناك ادوار أساسية اخرى سيؤديها الحزب ورفاقه من الحركات الوطنية اللبنانية استكمالاً لما ابداه السيد موسى الصدر أبرزها الدور الاجتماعي والسياسي لاسيما بعد (اتفاق الطائف) الذي سنأتي عليه.

ثالثاً: موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية في ضوء اتفاق الطائف لعام ١٩٨٩

يعد اتفاق الطائف نسبة الى مدينة الطائف السعودية الوثيقة المرجعية للنظام السياسي اللبناني في مرحلته الحالية. حيث تركزت المساعي في مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية على اجراء تعديلات دستورية في تركيبة النظام السياسي، وصلاحيات الرؤساء الثلاث التي تراعي خصوصيات الطوائف اللبنانية الرئيسية^(٢). خاصة وان قائد الجيش آنذاك العماد ميشال عون استولى في ٢٢/ أيلول/ ١٩٨٨ على رئاسة الحكومة وهو ما عد اغتصاب للسلطة التنفيذية

(*) اعلن عن تنصيب السيد حسن نصر الله كأمين عام لحزب الله في المؤتمر الثاني للحزب من العام ١٩٩٢ بعد اقل من عام على تولي السيد عباس الموسوي اثر اغتياله في العام ١٩٩١، يذكر ان السيد الموسوي تولى الامانة العامة للحزب، بعد تحية الشيخ صبحي الطفيلي من حزب الله نهائياً.

(١) حسن نصر الله، حزب الله المقاومة والتحرير، ج١، بيروت، المركز العربي للمعلومات، (د).

(ت)، ص١٢٣.

(٢) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص١٥٣.

من الطائفة السنية^(١).

لذا حاول الموقعون على اتفاق الطائف، كمبادرة تاسيسة لانتهاء الحرب الاهلية اللبنانية واخراجها في اطار سياسي، يراعي الحد الأدنى المقبول عند الفرقاء، مع تقديم التنازلات بعضهم لبعض^(٢). يذكر الشيخ نعيم قاسم ان الدعوة للاتفاق جاءت من قبل دولتي: سورية، وسعودية، لحث الافرقاء اللبنانيين على التوقيع على وثيقة الطائف في ٢٢/١٠/١٩٨٩ التي سرعان ما نالت موافقة الرموز الدينية، والسياسية، للطوائف اللبنانية^(٣). كما نالت رضا العديد من الدول، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية^(٤). ثم اقر التفاف كميثاق، ودستور للبنان في جلست المجلس النيابي اللبناني في ٥/١١/١٩٨٩ حيث تم بموجبة انتخاب كل من رينيه معوض رئيساً للجمهورية، الذي اغتيل في ٢٢/١١/١٩٨٩ ثم انتخاب بدلاً عنه، الياس الهروي في ٢٤/١١/١٩٨٩، وانتخاب سليم الحص رئيساً للوزراء الذي حسم المعركة مع العماد ميشال عون عسكرياً في ١٣/١٠/١٩٩٠ اثر استعانته بقائد الجيش اميل لحود المعين حديثاً^(٥). على الرغم من ان اتفاق الطائف نال موافقة اغلب زعماء الطوائف، الا ان حزب الله، بدي متحفظاً عليه، وهو التحفظ الذي سرعان ما ينتهي لاسباب تتلق اولاً بتغيير الايديولوجيا السياسية للحزب لاسيما بصعود الجناح البرغماتي

(١) مسعود اسد الله، مصدر سابق، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص ١٥٣.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣.

(٥) مسعود اسد الله، مصدر سابق، ص ١٨٧.

المتمثل بالسيد حسن نصر الله ورفاقه، الموجودون حالياً في ادارة الحزب وتشكيلته، بعد تنحية الجناح الراديكالي بزعامة الشيخ صبحي الطفيلي الغير مؤمن بالعمل السياسي للحزب في ما يخص التداول السلمي للسلطة وفقاً للآليات الديمقراطية سواء كان وفق الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣ او حسب اتفاق الطائف لعام ١٩٨٩ المين في اعلاه. حيث يرى - الجناح الراديكالي - ان الحزب أسس من اجل العمل المقاوم ضد الاحتلال الاسرائيلي وليس للمشاركة في الجانب السياسي، وانه يعتقد بان الاسلام ليست دين عبادي، وانما منهج حياة.

اما السبب الثاني فيتمثل ان الجناح البراغماتي الصاعد في امانة الحزب بزعامة السيد حسن نصر الله، بعد اتفاق الطائف مباشرة، أدرك مخاطر التغييرات السياسية والامنية في الداخل اللبناني وخارجه، جعلت من حزب الله ان يراجع موقفه باتجاه يصب نحو المشاركة في الحياة السياسية اللبنانية، في ضوء اتفاق الطائف، وعن هذه التغيير والقبول من قبل حزب الله بالعمل وفق اتفاق الطائف، يذكر الشيخ نعيم قاسم نائب الامين العام للحزب قائلاً: «لم يكن حزب الله مقتنعاً باتفاق الطائف، وقد اعتبره ادنى من المطلوب لكنه اكتفى بالتعبير السياسي عن عدم رضاه، وعن ضرورة تطوير هذه الصيغة بطريقة أفضل تؤدي الى الغاء الطائفية السياسية بالحد الادنى»^(١).

من هنا دخل حزب الله الى جانب احزاب وحركات سياسية من طوائف مختلفة في العام ١٩٩٢^(٢) في الحياة السياسية اللبنانية من بوابة المشاركة في الانتخابات

(١) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص ١٥٤.

(*) خاض حزب الله الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٩٢ باقائمة واحدة ضمت: حركة امل، الحزب

النيابية، وهي اول انتخابات يخوضها الحزب منذ تأسيسه في العام ١٩٨٥، كما ان انتخابات عام ١٩٩٢ اجريت بعد عشرين عاماً على انتخاب اخر مجلس نيابي في نيسان عام ١٩٧٢ بفعل مانع الحرب الاهلية^(١). يذكر ان حزب الله، سبق وان عرض عليه عدد من المقاعد النيابية قبل قرر المشاركة في انتخابات عام ١٩٩٢، اذ في نهاية عام ١٩٩٠ وفي ذروة الجدل اللبناني حول التعيينات النيابية، رفض حزب الله عرضاً قدم اليه، بتعيين عدد من النواب المنطويين تحت لوائه^(٢). ويرجع حسن فضل الله، اسباب رفض حزب الله العرض المتقدم الى ما اسماه بالتوجه الاساسي الذي يحكم نظرتة للوضع اللبناني، كما ان حزب الله يرفض التسويات التي لا تنبع من الاختيار الشعبي الحقيقي، وبالتالي فان حزب الله لم يريد من ممثلي الشعب في البرلمان لا يخضعون لإرادة الناس^(٣). بمعنى انه حذ ان يكون ممثلي الشعب في المجلس نيابي متخيين. هذا التغيير المفاجئ في توجه الحزب نحو المشاركة في الانتخابات البرلمانية، بعد ان كان لديه تحفظ كبير على النظام السياسي اللبناني، تجعلنا امام عدة تساؤلات منها لماذا قرر حزب الله المشاركة في انتخابات البرلمانية في ضوء اتفاق الطائف، ولم يكن يرغب بالمشاركة قبل هذا الاتفاق؟ وهل هناك اسباب تتعلق بتجديد الاهداف السياسية للحزب منها بتنظيم العمل المسلح ضد

الشيوعي، الحزب الاجتماعي السوري وغيرهما، حيث فاز حزب الله ب(٨) مقاعد من اصل(١٢٨)، بالإضافة الى(٤) مقاعد اخرى فاز بها مناصرون لقائمتة من غير الشيعة وبهذا يكون الحزب احرز الكتلة الاكبر في البرلمان. للمزيد ينظر الى: اسحاق نقاش، مصدر سابق، ص٢٤٧، وايضاً مسعود اسد الله، مصدر سابق، ص٣٥٨.

(١) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص٢٧٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٤٠٤ - ٤٠٥. وايضاً حسن فضل الله، مصدر سابق، ص٣٦ - ٣٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص١٢٢.

الكيان الاسرائيلي، الى جانب الاهتمام بالعمل السياسي الداخلي؟.

يبرر السيد حسن نصر الله المشاركة الاولى للحزب في عام ١٩٩٢ الى واقع أهمية العمل الجماعي لبناء الدولة اللبنانية، والاستمرار بالتنظيم المسلح ضد الكيان الاسرائيلي قائلاً: «ان المجلس النيابي هو المنتدى السياسي الذي يجمع ممثلين عن فئات متعددة في المجتمع اللبناني، ويعد الموقع المؤثر في القرارات السياسية الخطيرة على مستوى البلد ومستقبله»^(١). اما الشيخ نعيم قاسم فيرجع مشاركة حزب الله في انتخابات عام ١٩٩٢ الى المضمون نفسه، الدال على أهمية العمل الجماعي، ومساهمة النواب فيه، بما يطرحه من مشاريع قوانين، وروى، تصب في مصلحة البلد: «الموقع النيابي يحمل طابع التمثيل الشعبي لفئة من الناس، وبامكان النائب تبيان وجهة نظرة والدفاع عنها»^(٢). في حين عد السيد نواف الموسوي مسؤول العلاقات الدولية في حزب الله ان حماية الحزب وسلاحه يمكن في المشاركة والعمل حتى يشعر شيعة بانهم بحاجة اليه «يجب ان يعمل حزب الله بحيث يشعر شيعة لبنان انهم بحاجة اليه، ونحن يجب ان نستخدم كامل قدراتنا وامكانياتنا لنصبح اقوى واكثر تجذراً في طائفتنا»^(٣). وذهبت الكاتبة امل سعد الغريب بان قرار حزب الله المشاركة في ما اسمته بالنظام الديموقراطي

(١) منشور صادر عن العلاقات الخارجية لحزب الله حول نشأة حزب الله ورويته للواقع الداخلي

اللبناني واثاره على المستوى الدولي، ص ٢٥ - ٢٧.

(٢) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص ٢٧٩.

(٣) نقلاً عن سعود المولى، شيعة لبنان (من حركة المحرومين الى حزب الله)، مجلة مسارات،

العدد (١٥)، السنة (٦)، بغداد، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، ٢٠١١، ص ٥٩.

مدفوعاً جزئياً باعتبارات عقلانية ذات صلة ببقاء الحزب^(١). ولهذا السبب تضيف غريب ان الحزب يستخدم الديمقراطية لحفظ وضعة السياسي فقط، وهو بالتالي ليس ملتزماً بها التزاماً حقيقياً كمبدأ إيديولوجي، لذا فانه يدعو الى الديمقراطية كجرد إجراءات الانتقال الى السلطة^(٢). فيما رأى الكاتب انطوان سلمان قرار الحزب المشاركة في الانتخابات يمثل اوج التبصر السياسي للحزب في تقويمه لأوضاع لبنان، وسوريا، والمنطقة، وانه دليل على توصيل الحزب الى نوع من العملائية السياسية، والواقعية^(٣). من جانبه اشار اسحاق نقاش بان حزب الله نظر الى البرلمان كمؤسسة دولة، يجري التوجه اليها، ومخاطبتها في تحقيق المطالب الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية^(٤). يذكر ان الحزب قرر ايضاً في السنة المذكورة نفسها، المشاركة في أول انتخابات بلدية تجري في لبنان منذ ٣٥ عاماً، واحرز الحزب قرابة نصف مجموع المقاعد المجلس البلدية في الجنوب، وأغلبية في البقاع، وجميع المقاعد في مناطق الضاحية الجنوبية من بيروت^(٥).

اذن نظر حزب الله بواقعية للبنان التعددي، وقرر خوض لعبة الديمقراطية التوافقية، للانتخابات البرلمانية الدورية، ووفق اتفاق الطائف ببرنامج شبه متكامل لمجالات الحياة السياسية، والاجتماعية اللبنانية، اذا اعلن حزب الله في برنامجه

(١) امل سعد غريب، حزب الله الدين والسياسة، ترجمة حسين موسى، ط٢، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠٠٩، ص١٥٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص١٥٣.

(٣) نقلاً عن مسعود اسد الله، مصدر سابق، ص٣٥٥.

(٤) اسحاق نقاش، مصدر سابق، ص٢٤٦.

(٥) امل سعد غريب، مصدر سابق، ص١٤٠.

الانتخابي على نيته العمل على الغاء الطائفية السياسية^(١)، فماذا يعني الغاء الطائفية السياسية هل يعني ان الحزب لديه بديل عنها؟ وبماذا يتمثل البديل؟ هل هو العلمانية ام الحكومة الاسلامية؟، واذا لم ينجح الحزب بتحقيق الغاء الطائفية السياسية، ولم تنجح البدائل للاعتبارات عقائدية وفقهية تخص حزب الله، كحزب اسلامي عنده مبادئ ترتبط بمذهب الامامية الجامع بين الدين والسياسة، كما ان الحكومة الاسلامية ربما لا تشكل بديلاً كواقع حال للمجتمع متنوع، على المستوى التعددي والاثني، الاجابة عن هذه اللاشكاليات سنبينها تباعاً.

كما عرض حزب الله، في برنامجه الانتخابي مسائل هامة كإعادة النظر بقانون الانتخابات^(٢). وذلك بجعل لبنان دائرة واحدة، بدل الدوائر المتعدد المعمول بها منذ الميثاق الوطني، التي لازالت مستمرة الى يومنا هذا، ويبدو ان التعديل الذي جرى في العام ١٩٩٢ الذي طرى على قانون الانتخاب الصادر ١٩٦٢ شمل قضايا اساسية منها المناصفة في عدد المقاعد بدل قاعدة نسبة خمسة على ستة الذي اشارنا اليه في مامضى، حيث اصبح عدد النواب حسب قانون الانتخاب لعام ١٩٩٢ (١٢٨) بدلاً (١٠٨)، فصار بموجب القانون الانتخابي المعدل، للمسيحيين (٦٤) مقعد، وللمسلمين (٦٤) وابقى على العدد نفسه في انتخابات ١٩٩٦ و ٢٠٠٠، و ٢٠٠٥^(٣). وبموجبه قسمت المقاعد بين الطوائف الرئيسية حسب النسبة العددية، ليكون المجموع الكلي (١٢٨) مقعد، كما موضح في

(١) حسن فضل الله، مصدر سابق، ص ٢١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٨.

(٣) مجموعة خبراء، مصدر سابق، ص ٢٣٤.

الجدول التالي^(١):

مسيحيون	مسلمون
موارنة ٣٤	سنة ٢٧
روم ارثوذكس ١٤	شيعة ٢٧
روم كاثوليك ٨	دروز ٨
ارمن ارثوذكس ٥	علويون ٢
ارمن كاثوليك ١	
انجيلي ١	
اقلية ١	
المجموع = ٦٤	المجموع = ٦٤

واستكمالاً لما تقدم، فإن حزب الله يبدو انه راضياً شيئاً ما عن هذا التقسيم، وعده افضل من القوانين السابقة، لكنه يأمل بايجاد قانون انتخاب عصري، يؤسس لقيام دولة، بعيدة عن التقاسم الطائفي، تكون مدخلاً لبناء مؤسسات حكومية ايضاً، في هذا المجال يشير السيد حسن نصر الله بمناسبة الذكرى الثامنة لتحرير لبنان قائلاً: «نأمل ان يأتي الزمان الذي يتمكن فيه اللبنانيون من الجلوس بهدوء ويناقشوا قانون انتخاب حضاري يؤسس لقيام دولة»^(٢). في السياق ذاته عرض حزب الله في برنامجه الانتخابي ايضاً، تحديد سن الناخب

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٤.

(٢) حسن نصر الله، نص من خطابه في ملعب الراية بمناسبة الذكرى الثامنة لتحرير مساء الاثنين ٢٦/ايار/٢٠٠٨ نقلاً عن ملازن يوسف صباغ، اتفاق الدوحة، ط١، بيروت، مختارات،

بـ(١٨)، الى جانب الاهتمام بموضوعات: المهجرون، اكتساب الجنسية، حق التعليم، والضمان الاجتماعي وغيرهما من القضايا^(١).

ان مسألة اعلان حزب الله في برنامجه الانتخابي لعام ١٩٩٢ عن رغبته الكبيرة بالغاء الطائفية السياسية، كما ذكرنا مثيرة للجدل مع العلم ان العديد من الاحزاب والتيارات والشخصيات السياسية اللبنانية، قد أبدت رغبتها بالغاء الطائفية السياسية، كما هو الحال مع رئيس حركة امل، نبيه بري، رئيس المجلس النواب الحالي^(٢). كما رفض رئيس الوزراء اللبناني الاسبق سليم الحص الطائفية، ودعى الى ايجاد بديلاً عنها^(٣). لكن ما يختلف فيه قيادات حزب الله عن هؤلاء هو ان الحزب له سمات تنطلق من اعتبارات اسلامية، كما ان الحزب يقدر خصوصيات المجتمع اللبناني المتنوعة من جهةً أخرى، لذا ماهي البدائل؟ وما هو المرجح عند حزب الله؟ لاسيما وان شعار الغاء الطائفية لازال يطرحه الحزب باستمرار.

وفقاً لما تقدم نحاول حلحلة ما تقدم من خلال اراء لمختصين بالشأن اللبناني حيث يتفق الكاتبان سمير صباغ ووجيه كوثراني على الراي التالي: انه في ظل قبول حزب الله الدخول في اللعبة الديمقراطية التوافقية، وفق اتفاق الطائف، وصعوبة إقامة الدولة الاسلامية، وفق مقولة ولاية الفقيه، فان الترحيح يذهب الى ان سياسة الحزب، سوف تتراوح بين القول بالديمقراطية التوافقية الطائفية كتسوية ما

(١) حسن فضل الله، مصدر سابق، ص ٢١٨.

(٢) نبيه بري، مصدر سابق، ص ١١٢.

(٣) سليم الحص، نحن والطائفية، ط١، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٣، ص ٥.

بين الطوائف، وبين الديمقراطية العددية التي يستنبطها مطلب بالغاء الطائفية السياسية على المدى البعيد^(١). ويرجح وجيه كوثراني الخيار الاول - استمرار بقبول الديمقراطية التوافقية - لان الحزب مايزال يخوض العمل الجماعي في لبنان الى الآن^(٢). وقد ذهب الكاتب نصيف نصار الى ان خيار الديمقراطية التوافقية، يمثل أفضل الخيارات التي تطرح من هنا وهناك، لان الخيار التوافقي يشكل المخلص الأساس للمجتمعات المتعددة للطوائف من مخاطر الاستبداد المتمثلة في الاستيلاء، والتهمجير، والتذويب، والابادة^(٣). ذاكراً ما اسماه بحراجة موقف القوى التي تدعوا الى الغاء التوافقية الطائفية من دون علمنة الدولة، وعد نصار ذلك بمثابة ستار لسيطرة مشروع اسلامي، على بناء الدولة اللبنانية^(٤). هذا الرأي يتسم بنوع من الغرابة والتحامل، لماذا؟ لان اذا كان المقصود بالقوى المطالبة بالمشروع الاسلامي هو حزب الله، فان الحزب وان لم ينكر علاقته الوطيدة بالدول التي تحمل تياراتها السياسية راية الاسلام، كدين جامع ما بين العقيدة والحكم فانه - حزب الله - بالوقت الحالي تعامل ببراغمية دقيقة مع خصوصية المجتمع اللبناني التعددية، والثقافية، لذا قبل الدخول في لعبة الديمقراطية التوافقية الحالية. فيما يمثل رأي فالح عبد الجبار حيادية كبيرة لانه يعتقد بان الشيعة في لبنان، ومنهم حزب الله يطالبون بالنظام التوافقي تحت راية حكومة وحدة وطنية ويرون هذا

(١) سمير دباغ، الدستور اللبناني من التعديل الى التبدل، ط١، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، ص١٦١، وايضاً وجيه كوثراني، مصدر سابق، ص٥٤.

(٢) وجيه كوثراني، مصدر سابق، ص٥٤.

(٣) نصيف نصار، مصدر سابق، ص٢٨١.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٢٨٢.

النمط من الحكم هو الحل الامثل لنيل حقوقهم^(١).

كما ان دلائل استمرار حزب الله بالمشاركة السياسية منذ العام ١٩٩٢ تؤكد على ان الحزب ماضي بالقبول بالديمقراطية التوافقية مع سعيه الى ايجاد اليات سياسية تنسجم وخصوصيات المجتمع اللبناني المتنوع، من ضمن تلك الدلائل، مشاركته في انتخابات ١٩٩٦ حيث حصل الحزب على (٩) مقاعد نيابية (٥) مقاعد في البقاع، بينهم نواب من طوائف مختلفة، اذ بينهم نائب من الطائفة المارونية، ونائب سني، وحصل الحزب ايضا (٤) مقاعد في الجنوب^(٢). وفي موضوع ذات صلة بالعمل الجماعي اللبناني خاض حزب الله الانتخابات البلدية في العام ١٩٩٨ وبعد ثلاثة عقود على اخر انتخابات بلدية فقد ابدى حزب الله اهتماماً خاصاً بهذه الانتخابات وفوزه في المجلس البلدي، سيوفر له الفرصة الأولى للمشاركة في السلطة التنفيذية في البلد كما سيوفر للحزب القدر الاكبر من النفوذ السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، في اوساط سكان الجنوب والبقاع^(٣).

والى جانب ما تقدم من تحقيق حزب الله من انتصارات على المستوى الانتخابي وفق ديمقراطية التوافق، وتقسيم السلطة، بموجب اتفاق الطائف، حقق حزب الله انجاز عسكري كبير هو اجباره لاسرائيل بالانسحاب من لبنان في ٢٤/ ايار/ ٢٠٠٠ مهزوماً. وفي العام ذاته حقق حزب الله ايضاً على مستوى

(١) فالح عبد الجبار، الدولة في الوطن العربي(ازمتا الاندماج والشرعية)، في مجموعة باحثين،

ازمة الدولة في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، (د. ت)، ص٢٩٢.

(٢) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص٢٨٥.

(٣) مسعود اسد الله، مصدر سابق، ص٢١٥.

الانتخابات النيابية، فوزاً كاسحاً، إذ حصلت قائمته (١٢) من مقاعد البرلمان: (٥) مقاعد في البقاع بينهم اثنان للطائفة السنية، و(٥) مقاعد في الجنوب، بينهم ماروني، وواحد في بيروت، وواحد في بعبدا^(١). وفي تقييمة للانتخابات البرلمانية الثلاث السابقة، يقيم الشيخ نعيم قاسم النتائج العملية قائلاً: «ان نواب حزب الله حققوا اندماج في النسيج الاجتماعي اللبناني، مكنهم من التواصل مع الشرائح المختلفة، بفترة قياسية، واطلوا على الواقع السياسي، من البوابة الداخلية، التي ابرزت الوجه الاخر للحزب، وساهموا بفعالية من القوانين المطروحة على المجلس النيابي»^(٢).

وبعد انسحاب القوات السورية من لبنان اثر تداعيات اغتيال رئيس الوزراء الاسبق رفيق الحريري، خاض حزب الله انتخابات ٢٩/ حزيران/ ٢٠٠٥ وقد زاد الحزب حصته الى (١٤) مقعد نيابي، التي برزت موقعه كقوة متينة، ومؤثرة في السياسة اللبنانية، حيث يرجح العديد من الباحثين ان الفوز الكاسح الذي حققه الحزب، نتيجة لكفاحه ومقاومته للوجود الاسرائيلي، وكذلك لخدماته الوافرة كعنصر منافسة حيوية في حملته الانتخابية، وكذلك استطاع الحزب الوصول الى جماعات مسيحية، ومن طوائف اخرى من خلال الاعتماد على آليات، ومناهج ديمقراطية، لمواجهة التحديات المنطلقة من خصومة مستخدماً الانتخابات بوسائل لايمكن ان تبارى من قبل أي حزب اخر أي تحالف من منافسية^(٣). حيث وصف ذلك الفوز بالاكثري على مستوى الطائفة الشيعية^(٤).

(١) نعيم قاسم، مصدر سابق، ص ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٥.

(٣) اسحاق نقاش، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

(٤) وجية كوثراني، مصدر سابق، ص ٥١.

ويذهب جعفر عتريسي الى ان حجم التصويت الكبير لصالح حزب الله في الانتخابات المذكورة، جاء لسبب ان لبنان يعيش فترة حرجة من تاريخه، فموقعة قرب الكيان الاسرائيلي، الذي يمارس الارهاب السياسي، في ظل حصانة قابلة عن مساءلة المجتمع الدولي، وبدعم مطلق من واشنطن مما أرسل ذلك رسالة الى المواطن اللبناني، مفادها: ضرورة الحذر الهائل من المسائل الشائكة المشار إليها^(١).

عموماً قرر الحزب بان يساهم في السلطة التنفيذية، والقبول بالعمل الجماعي مع المكونات الاخرى في لبنان، بحكومة وصفت بالوحدة الوطنية، يترأسها فؤاد السنيورة، الذي صوت لصالحه ١٢٦ عضواً، بالمقابل نال نبيه بري الثقة كرئيس للبرلمان عبر نيته (٩٠) صوتاً، وقد حصل تحالف الممانعة الذي يضم حزب الله وحلفائه على (٩) وزراء، (٥) وزراء من حزب الله وحركة امل، (٣) وزراء اختارهم الرئيس آنذاك اميل لحود، ووزير مستقل طارق متري، بالمقابل حصل تحالف ١٤ اذار بقيادة النائب سعد الحريري^(*)، على (١٥) وزارة من أصل (٢٤) وزيراً^(٢). وبعد هذا الفوز لحزب الله من مقاعد البرلمان والتكيف السياسي مع

(١) جعفر عتريسي، حزب الله والخيار الاصعب وضمانة الوطن الكبرى، ط١، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٥، ص ٤٣٠.

(*) يضم تحالف اذار او فريق المولاة: تيار المستقبل بزعامة سعد الحريري، التيار التقدمي الاشتراكي برئاسة وليد جنبلاط، القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع، وتجمع الوطنيين الاحرار، بالمقابل هناك فريق يطلقه عليه فريق الممانعة يضم: حزب الله، حركة امل، التيار الوطني الحر، الحزب السوري القومي الاجتماعي، حركة النضال العربي، الحزب الديمقراطي اللبناني، حركة الشعب، وجماعة رئيس الوزراء اللبناني السابق عمر كرامي، وشخصيات مستقلة ايضاً.

(٢) جعفر عتريسي، مصدر سابق، ص ٤٤٢.

السلطة التنفيذية، بدأ حزب الله يرفع من براغماتيته، لاسيما مع انتصاره على الكيان الاسرائيلي في تموز عام ٢٠٠٦ حيث كانت هناك جملة من التدايعيات منها التي يطرحها خصومة - تحالف ١٤ اذار - من جعل مسألة سلاح حزب الله على طالة الحوار، بالمقابل بدأ حزب الله ولايزال في كل انتخابات برلمانية، وصولاً الى انتخابات عام ٢٠١٤، يرفع - حزب الله - شعار «الدولة العادلة والمقاومة» أو «الدولة المقاومة»^(١). في ظل تحديات الداخل والخارج التي تضرب لبنان والعديد من البلدان العربية ومن احتمالات تقسيمها الى دويلات قائمة على أسس طائفية، وعرقية، تكون خاضعة لاقطاب متعددة منها اسرائيل.

الخاتمة:

ان مضمار البحث في موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية جعلنا نقول استنتاجاً، ان في البحث قضيتين اساسيتين: اولهما التنظيم (حزب الله)، وثانيهما الفكرة (الديمقراطية التوافقية)، فكيف تعامل التنظيم مع الفكرة؟ توصلنا من خلال دراسة النظام السياسي اللبناني، ان تنظيم حزب الله تعامل مع فكرة الديمقراطية التوافقية كآلية لتقاسم السلطة، وادارة الدولة بين المجموعات الرئيسية بموقفين: الاول، يتمثل بان حزب الله رفض الديمقراطية التوافقية، وذلك في السنوات الاولى من تاسيسه، حينما نظر الى الميثاق الوطني الصادر بعد اعلان لبنان دولة مستقلة في العام ١٩٤٣، وبقي نافذاً لغاية اعلان اتفاق الطائف عام ١٩٨٩، وهذا الموقف الرفض للديمقراطية التوافقية، راجع

(١) وجيه كوثراني، مصدر سابق، ص ٤٣.

الى ادبيات ومنهج حزب الله ذاته، الذي عدّ الاسلام منهج للحياة، كذلك الغاية التي أسس من اجلها حزب الله مقاومة الاحتلال الاسرائيلي، وبالتالي لم ينظر حزب الله الى العمل السياسي الجماعي بعين الجد، كما ان الحزب كان عنده تحفظات كبيرة على الميثاق الوطني، اذ قيم بنوده على انها لم توفر العدالة التامة لحياة كريمة لجميع اللبنانيين، وانما ساهم - الميثاق الوطني - في ترسيخ الطائفية السياسية، والاجتماعية، عبر التمييز ما بين الطوائف اللبنانية، ومن ضمنها البند الذي ترفع منه قاعدة الخمسة مقابل ستة.

اما الموقف الثاني، فقد تعامل حزب الله - التنظيم - وناكد على هذه الكلمة في الموقف الثاني، بسبب ان حزب الله جمع ما بين العمل المسلح والعمل السياسي معاً، وهذا التحول يرتبط بمجموعة من التحولات والمخاطر الخارجية والداخلية، وكذلك يرتبط موقف الحزب بتأييد للديمقراطية التوافقية، بالتحولات الايديولوجية في البنية التنظيمية، فضلاً عن الخطر الخارجي - اسرايل - بالنسبة للدولة اللبنانية، هناك تحولات داخلية تخص النظام السياسي اللبناني، تمثلت بالتوقيع على اتفاق الطائف في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٩ الذي رسم صورة واضحة للخارطة السياسية التوافقية الحالية في لبنان، ووضع حداً للحرب الاهلية، عبر توزيع المناسب الرئيسية والبرلمانية، ما بين الطوائف اللبنانية بالتساوي والتوافق، اما فيما يخص حزب الله، فتعزز موقفه الايجابي من الديمقراطية التوافقية بصعود الجناح البراغماتي بزعامة السيد حسن نصر الله في العام ١٩٩٠ الذي اجل وبرفقه هيئة الشورى الحزبية، تطبيق مقولات اساسية كقيام الحكومة الاسلامية على غرار الجمهورية الاسلامية في ايران، وبالتالي قبل حزب الله بالتكليف مع

الطوائف الاخرى ورضى بالعمل بالتوافقية السياسية.

ونعتقد ايضاً ان قبول حزب الله بالديمقراطية التوافقية، لانها كانت اشبه باطار قانوني للنظام السياسي اللبناني، لكنه رفض وجهها السيكلوجي، ودعى في جميع برامج الانتخابية الى الغاء الطائفية السياسية، بدأ منذ تاريخ اول مشاركة برلمانية عام ١٩٩٢، هذه النقلة كانت محل اهتمام عندنا في المحورين الثاني والثالث من البحث، اذ ما البديل عند حزب الله عن الديمقراطية التوافقية كوجه قانوني للنظام السياسي اللبناني، أتمثل بالحكومة الاسلامية؟ او بتطبيق العلمانية أم هناك رايًا آخر.

واستتاجنا بالبحث الى ان حزب الله، تعامل بواقعية مع المسالتين، حيث عد انه من الصعب تطبيق الفكرة الاولى - الحكومة الاسلامية - لاسباب تتعلق بالخصوصية والتعددية اللبنانية، كما ان تطبيق المسالة الثانية - العلمانية - امر مستحيل بالنسبة لحزب الله، اذ ايراد اسمه فقط، يكفي عن التوضيح، حيث انه مرتبط بالقداسة القرآنية والدينية، في حين ان العلمانية امر اخر مختلف تماماً، اذن فان حزب الله بامانته العامة الحالية ماضي بالاستمرار والقبول بالديمقراطية التوافقية، وهذا ما يثبت صحة ما افترضناه في ما مضى من البحث.

المصادر:

١. احمد عطية الله السعيد، المعجم السياسي الحديث، ط١، بغداد - بيروت، شركة بهجة المعرفة، (د.ت).
٢. اسحاق نقاش، الوصول الى السلطة(الشيعة في العالم العربي المعاصر)، ترجمة مختار الاسدي، مراجعة عماد الهلالي، ط١، بغداد، دار قرطبة للكتب العربية، ٢٠١٢.
٣. امل سعد غريب، حزب الله الدين والسياسة، ترجمة حسين موسى، ط٢، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠٠٩.
٤. جعفر عتريسي، حزب الله والخيار الاصعب وضمانة الوطن الكبرى، ط١، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٥.
٥. حسن فضل الله، الخيار الاخر(حزب الله السيرة الذاتية والمواقف)، ط١، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤.
٦. حسن نصر الله، حزب الله المقاومة والتحرير، ج١، بيروت، المركز العربي للمعلومات، (د.ت).
٧. حسن نصر الله، نص من خطابه في ملعب الراية بمناسبة الذكرى الثامنة لتحرير مساء الاثنين ٢٦/ايار/٢٠٠٨.
٨. رياض نجيب الريس، ازمة بناء الوطن(التفاعل العربي)، بيروت، مجموعة التخطيط والانماء، ١٩٧٥.
٩. سعود المولى، شيعة لبنان (من حركة المحرومين الى حزب الله)، مجلة مسارات، العدد (١٥)، السنة (٦)، بغداد، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، ٢٠١١.
١٠. سليم الحص، نحن والطائفية، ط١، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٣.
١١. سمير دباغ، الدستور اللبناني من التعديل الى التبديل، ط١، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠.
١٢. شاكرا الانباري، الديمقراطية التوافقية، بغداد - بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٨.
١٣. عبد الاله بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة

- العربية، ٢٠٠٠.
١٤. عبد الاله بلقزيز، دور الدولة في مواجهة التراعات الاهلية، في مجموعة باحثين، الترععات الاهلية العربية(العوامل الداخلية والخارجية)، ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١.
١٥. فالح عبد الجبار، الدولة في الوطن العربي(ازمتا الاندماج والشرعية)، في مجموعة باحثين، ازمة الدولة في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، (د.ت).
١٦. لورانت شابري واني شابري، سياسة واقلبات في الشرق الاوسط، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١.
١٧. مجموعة خبراء، البرلمان في الدول العربية(رصد وتحليل)، ط١، بيروت، المركز العربي لتطوير حكم القانون والتراثة، ٢٠٠٧.
١٨. محمد جواد مغنية، تجارب محمد جواد مغنية، ط١، بيروت، منشورات الرضا، ٢٠١٢.
١٩. مسعود اسد الله، الاسلاميون في مجتمع متعدد(حزب الله انموذجاً)، ترجمة دلال عباس، بيروت، مركز الاستشارات والبحوث، ٢٠٠٤.
٢٠. منشور صادر عن العلاقات الخارجية لحزب الله حول نشأة حزب الله ورويته للواقع الداخلي اللبناني واثاره على المستوى الدولي.
٢١. نبيه بري، موسوعة الرئيس نبيه بري، ج١، ط١، بيروت، منشورات دار الفجر، ٢٠٠٧.
٢٢. نصيف نصار، في التربية والسياسة(متى يصير الفرد في الدول العربية مواطناً؟)، ط٢، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥.
٢٣. نعيم قاسم، حزب الله(المنهج.. التجربة.. المستقبل)، ط٣، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

تأثير شخصية حسن نصر الله في الانتصارات اللبنانية على اسرائيل

زينب عبد الكريم التميمي

المقدمة:

لم ينحدر السيد حسن نصر الله من عائلة متدينة ولم يكن لاهله اي ميول في السياسة لكنه برز كأكثر الشخصيات قوة وتأثيراً في الشرق الاوسط بعد ٢٥ ايار ٢٠٠٠م، اثر الانتصار الذي تحقق على يد رجال حزبه حين انسحبت اسرائيل من جنوب لبنان بإستثناء مزارع شبعا، باتت شخصيته تستقطب الاهتمام واصبحت خطبه تحظى بملاحقة وسائل الاعلام على نطاق عربي واقليمي وحتى عالمي، فمن هو حسن نصر الله؟ وهل كان لشخصيته تأثير في ما تحقق للحزب الذي يتولى قيادته من انتصارات؟ تأتي هذه الدراسة للاجابة عن هذه التساؤلات عبر ثلاثة محاور يتناول المحور الاول حياة السيد حسن نصر الله، في حين يعالج المحور الثاني افكاره اما المحور الثالث يسلط الضوء على تأثير شخصيته في ما تحقق من انتصارات.

المحور الاول: حياة السيد حسن نصر لله

ولد السيد حسن نصر الله في احد احياء بيروت الفقيرة في آب ١٩٦٠^(١) في حي شرسبوك وهو من افقر ضواحي بيروت الشرقية، كان الابن البكر لعائلة من تسعة اولاد وكان الاب معيلها الوحيد حيث ما كان يلعب بالكرة او يذهب الى السباحة او السينما، بل كان متديناً يرتاد المسجد الذي كان يشرف عليه محمد حسين فضل الله، وفي سن الرابعة عشر غادر السيد حسن نصر الله مع عائلته الى بلدة البازورية في الجنوب حيث اسس بمساعدة الشيخ علي شمس الدين مكتبة صغيرة كان يقرأ فيها ما يقع تحت يده من كتب دينية الامر الذي هبّه ان يُدرس لشبان الضيعة.^(٢)

التحق بحركة امل في وقت مبكر من عمره وتأثر بموسى الصدر، سافر الى النجف الاشرف في العراق عام ١٩٧٦ لتحصيل التعليم الديني، وهناك تعرف على عباس الموسوي ونشأت بينهما علاقة وثيقة وبعدها عاد الى لبنان عام ١٩٧٨ وأستأنف نشاطه في حركة امل عام ١٩٧٩ حيث اصبح مسؤولاً سياسياً عن اقليم البقاع وعضواً في المكتب السياسي للحركة.^(٣)

في ١١ شباط من نفس السنة حدث ما سيبدل وجهة المنطقة ودور الشيعة فيها، فقد نجح الامام الخميني في إقامة الجمهورية الاسلامية في ايران على انقاض نظام الشاه، وتغير موقع ايران من حليف لأمريكا واسرائيل الى نظام معارض لهما، وبعد اجتياح اسرائيل للبنان في حزيران عام ١٩٨٢ شكل الياس

(١) انور قاسم الخضري، حزب الله من النصر الى القصر، ٢٠٠٧، ص ١٢٣.

(٢) كريم بقرادوني، صدمة وصمود، عهد اميل لحدود (١٩٩٨ - ٢٠٠٧) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،

ط ٥، ٢٠١١، ص ١٤٣

(٣) انور قاسم الخضري، حزب الله من النصر الى القصر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣.

سر كيس رئيس الجمهورية «هيئة الانقاذ الوطني» والتي ضمت رئيس حركة امل نبيه بري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط وقائد القوات اللبنانية بشير الجميل، وفي اول اجتماع للهيئة خرج قياديي حركة امل وبضمنهم حسن نصر الله من الحركة والتقوا على تأسيس حزب الله من دون الاعلان عنه، حفاظاً على مقتضيات العمل السري الذي انتهجوه^(١).

في عام ١٩٨٧ تم استحداث منصب المسؤول التنفيذي العام لحزب الله حيث جرى تعيينه في هذا المنصب الى جانب عضويته في شورى القرار (أعلى هيئة قيادية في حزب الله).^(٢)

في ١٦ شباط ١٩٩٢ اغتيل امين عام حزب الله السيد عباس الموسوي والذي يعتبر شخصية متميزة في حزب الله، فقد شغل عضوية لجنة التسعة التي مهدت الطريق لإنشاء حزب الله وظل عضواً في الشورى حتى انتخابه اميناً عاماً عام ١٩٩١، وكان على الشورى ان تسارع الى ملء الفراغ الذي احده غياب الامين العام، فأنتخبت هيئة الشورى السيد حسن نصر الله اميناً عاماً للحزب خلفاً للسيد عباس الموسوي، وهو اصغر اعضاء الحزب سناً حيث كان في الثانية والثلاثين من العمر، وكانت الكلمة الاساس التي اعطت مدلولاً سياسياً «ان اسرائيل ارتكبت اكبر حماقة».^(٣)

(١) كريم بقرادوني، صدمه وصمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) رفعت سيد احمد، حسن نصر الله تأثر من الجنوب، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ج١، ص١٣.

(٣) حسن فضل الله، الخيار الاخر، السيرة الذاتية والموقف، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ٦٠.

انظر ايضاً كريم بقرادوني، صدمة وصمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

اعتذر السيد حسن نصر الله بداية على هذا الانتخاب غير ان اعضاء هيئة الشورى اصرروا لعدة اسباب منها انه كان الشخص الاقرب للموسوي فكان يُقال «عباس وحسن هما الشيء نفسه» كما ان نصر الله كان يملك علاقات واسعة مع القاعدة وكان في مقدوره الامساك بالحزب وضمّان وحدته بعد الضربة القاسية التي اصابته وفي عهد نصر الله اشتد عود الحزب «واصبح من اقوى الاحزاب اللبنانية والعربية والاسلامية». (٢٠١)

وتم تجديد انتخابه في الدورات التالية للحزب حتى الدورة الانتخابية السابعة آب ٢٠٠٤، وقد جرى تعديلان على نظام الشورى خلال هذه المدة الاول يقضي بتمديد ولاية الشورى الى ثلاث سنوات والثاني يقضي بعدم حصر انتخاب الامين العام لدورتين متتاليتين واعطائه الحق بالترشح لدورات متتالية. في آيار ١٩٩٥ عين السيد علي الخامنئي السيد حسن نصر الله والشيخ محمد يزبك عضو مجلس الشورى لحزب الله كممثلين في لبنان، هذه الخطوة منحت امتيازات خاصة وتفويض للمسؤوليات لحزب الله التي تعكس استقلالية كبيرة في الاداء العملي. (٣)

في فترة تولية الامانة العامة للحزب، خاضت المقاومة الاسلامية مواجهات وحروب بارزة مع الجيش الاسرائيلي ابرزها حرب «تصفية الحساب» في تموز

(١) كريم بقرادوني ، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

(٢) نعيم قاسم، حزب الله ، المنهج، التجربة، المستقبل، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط٩، ص٩٨، ٢٠١٣.

(٣) Joseph Elie Alagha, *The Shift in Hizbullah s Ideology, Religious Ideology, and Political Program*, Amsterdam University press, ٢٠٠٦, p

١٩٩٣ و حرب «عناقيد الغضب» في نيسان ١٩٩٦ التي افضت الى تفاهم نيسان الذي كان احد المفاتيح الكبرى لتطور نوعي لعمل المقاومة الاسلامية حيث اتاح هذا التفاهم للمقاومة تحقيق الانجاز الكبير المتمثل بتحرير القسم الاكبر من الاراضي اللبنانية في آيار ٢٠٠٠ م. كما خاض الحزب في فترة توليه لمنصب الامانة العامة الحياة السياسية الداخلية في لبنان وشارك في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢ فحقق فوزاً مهماً تمثل بإيصال ١٢ نائباً من اعضاءه الى البرلمان اللبناني مشكلاً بذلك كتلة الوفاء للمقاومة.^(١)

استشهد ولده البكر هادي نصر الله في ١٢/٩/١٩٩٧ عندما صدر الامر لمجموعات من المقاومين في الحزب بالتحرك ونصب الكمائن وكان هادي من ضمنهم، انجزت المجموعات المهمة بنجاح دون وقوع اصابات في صفوف المقاومين الذين باشرُوا انسحابهم الى النقاط الخلفية، لكن غزارة النيران التي صبها الاسرائيليون على طرق العودة التي يسلكها المجاهدون ادت الى استشهاد ثلاثة منهم، وهم نجل الامين العام الشهيد هادي والشهيد علي كوثراني والشهيد هيثم مغنية، فيما تمكن رابع معهم من العودة بسلام في حين سحب العدو بعد ذلك اجساد الشهداء الثلاثة لوقوع مكان العملية في المنطقة المحتلة.^(٢)

صادف استشهاد السيد هادي عشية الاحتفال بالذكرى الرابعة لـ «مجزرة ١٣ ايلول» التي شهدت صداماً بين الجيش اللبناني وحزب الله وكان المقرر ان يُلقى السيد حسن نصر الله كلمة في المناسبة، اتصل به نائبه الشيخ نعيم قاسم

(١) رفعت سيد احمد، حسن نصر الله، تأثر من الجنوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٢) نعيم قاسم، حزب الله المنهج، التجربة، المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

وعرض عليه ان ينوب عنه في الاحتفال، فالمصاب بهادي جليل، اجابه نصر الله بتصميم انه سيتكلم كما هو مقرر وانه من غير المناسب ان يعطي اشارة ضعف يستفيد منها العدو وفي الواقع القى الامين العام خطاباً هو من ابلغ خطبه واكثرها وجدانية، قال فيه: «شهادة الشهيد هادي هي الدليل اننا في قيادة حزب الله لا نوفر اولادنا للمستقبل ونفخر بهم عندما يذهبون الى الخطوط الامامية، ونرفع رؤوسنا بهم عندما يسقطون شهداء».^(١)

لقد اثار استشهاد هادي نصر الله لدى اللبنانيين شعوراً بالوحدة الوطنية حول المقاومة الذي استقطب رد فعل قوي من الشباب اللبناني من مختلف الانتماءات الطائفية فأسس الحزب السرايا اللبنانية من مختلف الانتماءات الطائفية تشهد لمصادقية حزب الله في معرض بذله الجهد للبننة الحزب حيث تسجل هذه النقلة (لبننة) المقاومة او انفتاحها.^(٢)

في ٢٥ ايار عام ٢٠٠٠م تم على ايدي رجاله من ابناء المقاومة الاسلامية في لبنان تحرير الجنوب اللبناني وإجبار القوات الاسرائيلية على الرحيل (باستثناء مزارع شبعا)^(٣). القى في هذه المناسبة «خطاب النصر» في بنت جبيل «وكان آية في فن الخطابة» وقد عرف فيما بعد بـ «خطبة بيت العنكبوت» واهدى النصر الى كل اللبنانيين واعترف بحق جميع الشركاء وطمان الجميع بقوله: «هنا يجب ان يكون عيش مشترك حقيقي ولا يجوز ان تكون ثمة مخاوف لدى احد، لا من المسيحيين

(١) كريم بقرادوني ، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨.

(٢) يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الايديولوجي والسياسي (١٩٧٨ - ٢٠٠٨) ، ترجمة نادين نصر الله، دراسات عراقية ، بغداد ، اربيل، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٩٩.

(٣) رفعت سيد احمد، حسن نصر الله، تائر من الجنوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.

ولا من المسلمين، لسنا في وارد ان نكون بديلاً من الدولة».^(١)
 كان بإمكان الحزب بعد انتصاره الدعوة الى تشكيل دولة اسلامية او تشكيل دولة ضمن دولة، لكن الحزب حاول تكثيف جهوده نحو الداخل في الساحة اللبنانية اذ حاول الحزب استغلال انتصاره عبر سعيه للفوز بحصة تساوي على الاقل قوته الشعبية من خلال الاستحواذ على الثلث المعطل في اي حكومة وحدة وطنية مستقبلية.^(٢)

في ٣٠ تموز ٢٠٠١م اعيد انتخاب السيد حسن نصر الله مدى الحياة في الاجتماع السري السادس للحزب، ووضع حزب الله مؤسساته الاعلامية في اطار القيادة المباشرة لحسن نصر الله وبمساعدة رئيس المجلس السياسي، وقد تم هذا من اجل ترقية دور وسائل الاعلام لحزب الله والسعي الى الهيمنة الايديولوجية.^(٣)

في فترة توليه امانة الحزب تم في ٢٠٠٤م للمرة الاولى في تاريخ الحزب تعيين رئيسة المنظمة النسائية السيدة ريماً فخري عضواً في المكتب السياسي المؤلف من ١٨ عضواً كما عين حزب الله وفاء حطيطة المسؤولة عن البرامج السياسية في اذاعة النور نائباً لمكتب حزب الله الاعلامي.^(٤)

(١) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الايديولوجي السياسي (١٩٧٨ - ٢٠٠٨) مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠.

(٣) Joseph Elie Alagha, *The Shifts in Hizbullah's Ideology*. Op. cit.

(٤) يوسف الاغا، حزب الله . التاريخ الايديولوجي والسياسي (١٩٧٨ - ٢٠٠٨) مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.

ادى نصر الله دوراً متميزاً في الوفاق الوطني اللبناني اثر استشهاد رفيق الحريري يوم ١٤ / ٢ / ٢٠٠٥م حيث استطاع بحكمته ووعيه السياسي ان يفرغ القرارات الدولية الامريكية ضد حزب الله وسلاحه (وعلى رأسها القرار ١٥٥٩) من مضامينها. ^(١) فقد وقف السيد حسن نصر الله متحدياً الادارة الامريكية في ضغطها لنزع سلاح حزب الله وهدد بأن الحزب سيرد على اي هجوم من الولايات المتحدة او اسرائيل: «ان المقاومة الاسلامية سترد على المعتدين اذا كانوا امريكيين، اسرائيليين، او صهاينة» وازداد «مع ذلك المقاومة في لبنان وفلسطين في حالة الدفاع وليس الهجوم». ^(٢)

يعيش حسن نصر الله في خطر واستنفار دائمين غير ان من حوله بإمكانهم ان يلاحظوا عدم شعوره بخوف او قلق، فهو يعرف ان اسرائيل تجهد بكل الوسائل للنيل منه مهما كان الثمن، فيتقبل الاجراءات الامنية «الصارمة والمزعجة له وللاخرين دون ادنى تملل حفاظاً على حياته وللحيلولة دون منح اسرائيل اية فرصة لتحقيق اختراق تسوقه انتصاراً لها على حزب الله». ^(٣)

«فهو يمتلك موهبة القيادة ويتمتع بقدرات عالية من الذكاء والمعرفة والصبر، صمد في وجه ثلاثة اجتياحات اقدمت عليها اسرائيل، في تموز ١٩٩٣ في ما عرف بعملية «تصفية الحسابات» التي استمرت سبعة ايام، والثانية في نيسان ١٩٩٦ في ما عرفت بـ «عناقيد الغضب» التي استمرت سبعة عشر يوماً، والثالثة في تموز ٢٠٠٦

(١) رفعت سيد احمد ، حسن نصر الله تآثر من الجنوب، ج١، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

(٢) احمد نزار حمزه، على طريق حزب الله، دار المحجج البيضاء ، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص٢٠٩.

(٣) كريم بقرادوني، صدمة وصدود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.

وهي العملية الاكبر والتي استمرت ثلاثة وثلاثين يوماً»^(١).

المحور الثاني : افكاره

لاشك بان الفكر هو نتاج الواقع يؤثر ويتأثر في هذا الواقع الإنساني. مهما كانت اهميته هو نتيجة عملية فكرية تتفاعل في ذهن الانسان لتترجم الى سلوك. تمثل افكار حسن نصر الله انعكاساً لافكار الحزب الذي ينتمي اليه، فالحزب يلتزم بنظرية ولاية الفقيه منذ مراحل تأسيسه الاولى ونظر الى الامام الخميني على انه فقيه المسلمين.^(٢)

يعتمد حزب الله على القرارات المستمدة من صلب تكوينه العقائدي «فالشورى هي القيادة السياسية الشرعية للمسلمين حسب فلسفة ولاية الفقيه، وسلطتها مستمدة من سلطة الفقيه الحاكم المفترض الطاعة، حتى لو جاءت القرارات والاحكام مخالفة للاهواء الملتزمين، هذا ما برزت تأثيراته في الانتخابات حيث شعر كل فرد من افراد الحزب وجمهورية انه يتحمل مسؤولية شرعية مباشرة، عن النجاح او الفشل في الانتخابات، وهذا ما اعتبره عاملاً حاسماً في الحصول على النسبة الاعلى من الاصوات»^(٣).

كان الامام الخميني قد وضع اول كتاب في هذا الموضوع باسم الحكومة الاسلامية وهي مجموعة بحوث فقهيه التي القاها في حوزة النجف العلمية فالسلطة حسب الفقه الشيعي هي للرسول ﷺ والائمة المعصومين عليهم السلام من

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٧.

(٢) يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الايديولوجي والسياسي، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٤.

(٣) حسن فضل الله، الخيار الاخر، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.

بعده، اما في عصر الغيبة الذي لا يمكن الوصول اليه الى الامام العصوم (محمد بن الحسن العسكري) تظهر الاشكالية في موضوع السلطة ولم يناقش الفقه الشيعي منذ القرن الرابع الهجري (تاريخ الغيبة الكبرى للامام المهدي) وخلال مراحل تطوره حتى القرن العاشر القضايا المتعلقة بنظام الحكم السياسي والتنظير للدولة في عصر الغيبة، فالقول بجواز اقامة حكومة اسلامية في عصر الغيبة يتعارض مع نظرية الامامة الالهية واشترط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الامام ويتعارض كذلك مع نظرية انتظار الامام الثاني عشر الغائب الذي لا يجوز حسب نظر الفقهاء التعدي على صلاحيته ومهامه وعلى راسها اقامة الدولة الاسلامية.^(١)

لقد رفض الامام الخميني في البداية نظرية الانتظار للامام المهدي عليه السلام التي كانت تهيمن على الفكر السياسي الشيعي حتى وقت قريب، وطرح تساؤلاً مفادته «قد مر على الغيبة الكبرى لامامنا المهدي اكثر من الف عام، وقد تمر عليه الوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الامام المنتظر، وفي طور هذه المدة المديدة هل تبقى احكام الاسلام معطلة يعمل الناس خلالها ما يشأون؟ الا يلزم ذلك الهرج والمرج؟ وهل حدد الله عمر الشريعة بما تاتي عام؟ هل ينبغي ان يخسر الاسلام من بعد الغيبة الصغرى كل شيء؟...»

ويرد على ذلك «.... فلا يستطيع احد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يقول انه لا يجب الدفاع عن ثغور الاسلام والوطن، او انه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة

(١) احمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، دار الجديد، بيروت،

والخمس وغيرهما، او يقول بتعطيل القانون الجزائري في الاسلام، وتجميد بالاخذ بالقصاص والديات، اذا فان كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ الاسلام، ويدعو الى تعطيل احكامه وتجميدها، وهو بالتالي ينكر شمول وخلود الدين الاسلامي الحنيف»^(١).

وبعد ان يؤكد الامام الخميني على ضرورة الامامة يحدد الصفات التي ينبغي توافرها لدى الحاكم في عصر الغيبة ووهي:

١- المعرفة الكاملة بالاسلام وقوانين الله

٢- التقوى والبعد عن الاهواء النفسية.

٣- التدبير والادارة والقدرة على التنسيق بين القوى المتعلقة بالحكومة.

وهذه الشروط يوجبها العقل ايضاً، لان واجب الحاكم هو تطبيق قوانين الاسلام في المجتمع وذلك لا يتم الا اذا كان الحاكم اعلم من غيره بالقانون ولم يعمل بما يخالف الاسلام بسبب هوى النفس، والشروط الاولى والثانية ينبغي توفرهما في الحاكم بالحد الاقصى، اما الصفة الثالثة فهي ضرورية لكل مسؤول متقلد للامر معين بمقدار ما يكفي من التجارب والمهارات التي يتمتع بها في مجال عمله.^(٢)

بعد انتصار الثورة الايرانية تغيرت معادلات القوى وموازينها، وكان الشعار الاول الذي رفعه المتظاهرون الايرانيون بعد اسقاط نظاما الشاه «اليوم

(١) المصدر السابق، ص ٤١٤ - ٤١٥.

(٢) محمد تقي مصباح اليزيدي، الحكومة الاسلامية وولاية الفقيه، ترجمة عبد الكريم محمود، مؤسسة

بضعة الرسول، بغداد، العراق، ط١، ٢٠١٢، ص ١٣٦.

ايران، وغداً فلسطين» ووجد هذا الشعار طريقة السريع الى دعاة المواجهة مع اسرائيل والغرب من فلسطين ولبنانيين والذين كانوا يعانون من وطأة الهجمات الاسرائيلية المتكررة ومن تجاهل العالم العربي لقضيتهم.^(١)

لقد استند حزب الله في بناءه العقائدي على نظرية ولاية الفقيه التي تعني ان يكون الحكم للفقيه العالم بشرع الاسلام «إننا ابناء امة حزب الله التي نصر الله طليعتها في ايران، واسست من جديد نواة دولة الاسلام المركزية في العالم، نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط».^(٢)

يعترف اتباع حزب الله بالائمة الاثني عشر، وبما ان تقليد مرجع ميت في الشيعة يعتبر شذوذاً عن القاعدة، يشدد الحزب على ضرورة الاعتراف بالامام الحي، ونظر الحزب بإحترام الى الامام الخميني، مرجع التقليد الرسمي في الجمهورية الاسلامية وبإعتبره نائب الامام المهدي بعد الغيبة الكبرى. إضافة الى ذلك يؤمن الحزب ونصر الله بالتقية بإعتبارها ضرورة فرضت بسبب البطش السياسي الذي مورس ضد الشيعة خلال فترات سياسية محددة، يقول نصر الله ان هذا هو السبب الذي حمل قادة حزب الله وكوادره على ممارسة التقية السياسية كإستراتيجية بقاء فعملوا في الظل حتى عام ١٩٨٤، والسبب الثاني للالتزام بالتقية هو تفادي الفتنة والانشقاق في صفوف المسلمين.^(٣)

كما يجب الاخذ بنظر الاعتبار ان لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته ولا

(١) حسن فضل الله ، الخيار الاخر، حزب الله السيرة الذاتية والموقف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤ -

٢٥.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩.

(٣) يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الايديولوجي والسياسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦ - ١٧٨.

علاقة لموطن المرجع بمرجعيته، فقد يكون عراقياً أو ايرانياً أو كويتياً أو غير ذلك، فالامام الخميني كان على راس السلطة في ايران كمرشد وقائد هناك، وكان يحدد ايضاً التكليف السياسي لجميع المكلفين، حتى عندما يعودون الى مرجع اخر في التقليد، وفي هذه الحالة لا يمكن الخوف من التعارض مع عيش المكلفين فالحدود التي يضعها الولي الفقيه تأخذ بعين الاعتبار مسألتين:

الاولى: تطبيق الاحكام الشرعية وعدم القيام بما يخالفها.

الثانية: الظروف الموضوعية والخصوصيات لكل جماعة او بلد والتي تؤثر على دائرة التكليف ومساحة الاهتمام.

وفي حالة حزب الله فإن عمل الحزب يحاول ان يوائم بين اسلامية المنهج ولبنانية المواطنة، «فهو حزب لبناني بكل خصوصياته».^(١)

في سؤال وجه الى السيد حسن نصر الله حول ان حزب الله استيراد خارجي من سوريا وايران اجاب: «لنكن واضحين ونحكي الحقائق: الفكر الذي ينتمي اليه «حزب الله» هو الفكر الاسلامي، وهذا الفكر لم يأت من «موسكو» ايام الاشتراكية ولا من «لندن وباريس» ولا حتى من «واشنطن» في زمن الليبرالية، هو فكر الامة التي ينتمي اليها لبنان، أذن نحن لم نستورد فكراً، وإذا كان من يقول: ان الفكر ايراني. اقول له: ان هذه مغالطة؛ لان الفكر في ايران هو الفكر الاسلامي الذي اخذه المسلمون الى ايران، وحتى هذا الفكر خاص بعلماء جبل عامل، اللبنانيون هم الذين كان لهم التأثير الكبير في ايران على المستوى الحضاري والديني في القرون السابقة؛ اين هو الاستيراد؟ هذا الحزب كوادره وقياداته

(١) نعيم قاسم، حزب الله المنهج، التجربة، المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦ - ٨٧.

وشهادته لبنانيون». (١)

يرى نصر الله ان الحزب ليس مقاومة فقط، انه حامل فكر سياسي عام مبني على الاسلام: «بالنسبة الينا باختصار الاسلام ليس ديناً بسيطاً من الطقوس والأذكار ولكنه فعلاً رسالة الهية خاصة بالبشرية ويجيب على اي سؤال يمكن ان يطرحه الانسان في حياته الخاصة او العامة، الاسلام هو دين لمجتمع قادر على الثورة وتشييد دولة». (٢)

نصر الله لا يستطيع ان ينفي ان حزب الله يطمح على المستوى الايديولوجي والنظري الى اقامة جمهورية اسلامية يوماً ما لان «اعضاء حزب الله» يعتقدون ان الدولة الاسلامية تشكل الحل للمجتمع، وان كان مجتمعاً متعدداً متضمناً لأقليات لكنه يوضح انه ليس من المطروح فرض جمهورية اسلامية بالقوة والاكره، وان اعطاء الحكم هو للشعب وليس على اساس الاغلبية المطلقة لـ ٥١ في المائة، وانما على اساس شبه الاجماع لـ ٩٠ في المائة من الاصوات وبناءً عليه، فإن إنشاء الجمهورية ليس مطروحاً في هذا الوقت. (٣)

فالحزب يعلن ارتباطه الوثيق بالجمهورية الاسلامية في ايران وبالمرجعية والقيادة الدينية فيها، فالحزب لا يخفي تشييعه ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في خطابات امين عام الحزب حسن نصر الله حينها يحاضر في ليالي عاشوراء ويعرض قضية اهل البيت عليه السلام ويعرض التشيع بشكل يستقطب المسلمين بجميع اطرافهم

(١) رفقة نبيل مطلق شقور، اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة واساليبها في المنطقة العربية، رسالة

ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩، ص ٣٤.

(٢) رفعت سيد احمد، حسن نصر الله، تائر من الجنوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦.

ومذاهبهم^(١). مع ذلك حسن نصر الله لا يحصر الحزب ضمن بيئته الشيعية: «علينا الاعتراف ان حزبنا اكبر من الطائفة التي ينتمي اليها مناصروه، واكبر من اي طائفة، بل هو اكبر من اي كيان سياسي قائم، انا مشروع قومي، لا تنتهي اهدافنا عند حدود لبنان مع فلسطين ولا ينسجم مع طموحنا وبنائنا الفكري ووجمنا ووهجنا والالتفاف الشعبي العظيم حولنا، ان نهجر السلاح غداً لنأخذ منصباً وزارياً، او لتزيد حصتنا من النواب في البرلمان اللبناني، وان ننحصر ونحاصر في اطار اللعبة السياسية المحلية»^(٢).

المحور الثالث: أثر شخصية حسن نصر الله في تحقيق الانتصارات

رغم ان الانتصار الذي تحقق في ٢٥ ايار ٢٠٠٠م لا يمكن ارجاعه الى عامل واحد فقط فمن المؤكد اجتمعت عوامل متعددة متداخلة مؤثرة وليس عاملاً واحداً في تحقيق الانتصار، وان الحديث عن شخصية السيد حسن نصر الله واثرها في الانتصارات قد تؤدي الى الاعتقاد بتفوق هذا العامل على بقية العوامل الاخرى، الا ان الحقيقة ان السيد حسن نصر الله لم يكن العامل الاول والحاسم، لكنه بالتأكيد كان عاملاً مهماً.

فمنذ العام ٢٠٠٠م تحولت كل خطبة من خطبه او مقابلة من مقابلاته حديثاً سياسياً «صراحتة في قول ما يعتبره حقاً وحقيقة هي مفتاح نجاحه وصدقته، طبق نظرية ارنولد توينبي القائلة ان الرد على التحدي يكون من طبيعة التحدي،

(١) علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر، *www. alrased. net*، ص ٢٨.

(٢) رفعت سيد احمد، حسن نصر الله تائر من الجنوب، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

فرد حزب الله على العنف بالمقاومة وعلى الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان بهجمات ناجحه على اسرائيل».^(١)

يتميز حسن نصر الله بخطاباته العاطفية التي تتميز بالحماسة والارتجال احياناً ويصفه الكثير بأن لديه شخصية كارزمية وقدرة على «السباحة بين الالغام» فهو «يترك انبطاعاً لمن لا يعرف خلفية الرجل بأنه رجل المرحلة الذي يمكن ان يقود الامة في مقاومتها ضد اسرائيل!».^(٢)

فهو في خطاباته وظهوره المتعدد مع الصحافة على مر السنين دائماً تقريباً يتولى الكلام باللغة العربية الفصحى الانيقة حتى عندما يتكلم بشكل ارتجالي، اسلوبه الخطابي فعال ولكن ليس بشكل مفرط الزخرفة من خلال اناقة صياغة اللغة يؤكد الركائز العربية العامة في روايته في الوقت نفسه، وبوصول هذه اللغة مباشرة يعطي الانطباع بخطورة الفكر والهدف وهو مزيج من الاسلوب المصقول والقوة الانفعالية.^(٣)

يبدو من خلال خطاباته بأنه يتميز بشخصية متحدية فهو يتوجه في كلامه مباشرة الى اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية وتحمل بعض خطبه رسائل تحذير للحكومة وفريق ١٤ اذار، لقد هاجم الحكام العرب في مهرجان النصر ٢٢ ايلول وانتقدهم بشدة لانهم «بين عروشهم وشعوبهم يختارون عروشهم»

(١) كريم بقرادوني ، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨.

(٢) انور قاسم الخضري، حزب الله من النصر الى القصر، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٤.

(٣) *David Wilmsen, Nasrallah and the compromise and rehabilitation of Hizbullah s reputation, Arab media and society, the middle East center, st . Antony university of oxford, January ٢٠٠٩, P. ٤ .*

واخذ عليهم انهم لم يقاطعوا اسرائيل ولم يستخدموا سلاح النفط والمال ومنعوا من التظاهر واقروا ضمناً بعجزهم عن الحرب وعن التسوية «التي تحتاج الى وقفة رجال»^(١).

يمكن توصيف السيد حسن نصر الله بأنه رجل قول وفعل فعندما اعلن «نحن قوم لا نترك اسرانا في السجون» استطاع في ١٦ تموز ٢٠٠٨ م ان يعيد جميع الاسرى بمن فيهم عميدهم سمير القنطار المعتقل منذ ثلاثين عاماً واربعة من مقاتلي حزب الله اضافة الى كل جثامين الشهداء اللبنانيين والفلسطينيين والعرب، بما فيها جثمان دلال المغربي عميدة الشهداء الفلسطينيين فالكلمة عنده «اقوى من الكاتوشا» وقد ذهبت اقوال له مذهب المثل وفعلت فعلها في المناصرين والاعداء كإعلانه في نهاية خطبه: كما وعدتكم بالنصر دائماً اعدكم بالنصر مجدداً» وعندما هددت اسرائيل بقصف بيروت اطلق رداً ما برح يحفر في الذاكرة الجماعية الاسرائيلية ولفترة قد تطول، حين قال انه سيقصف بدوره حيفا وما بعد حيفا وما بعد حيفا فهم الاسرائيليون ان كلامه عن «ما بعد حيفا» يعني تل ابيب وعن «ما بعد حيفا» منطقة المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا، وشاعت بين انصاره مقولة: «نصر الله يعد ويفي» فجاءت حرب تموز باسم «الوعد الصادق». ^(٢) لهذا السبب يشكل خطابه دائماً حدثاً مهماً في القطاعات الاعلامية اللبنانية، صحف ومحطات تلفزيون. ^(٣)

(١) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٨.

(٢) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) *David Wilmsion, Nasrallah and the compromise and rehabilitation of Hizbullah s reputation, op. cit. P٨ .*

اما عن طريقة اعداده لاحاديثه وخطبه فهو يتبع الاستعداد الذهني ويحسب حساباً دقيقاً، كي لا يستخدم كلامه لتأجيج الفتنة الطائفية: «عندما اتكلم، اراني مضطراً أن اعمل مئة حساب وحساب، عندما اهاجم اسرائيل لا ابالي واكسب تأييد الشعوب العربية والاسلامية، احرص على عدم إحراج الحلفاء والاصدقاء وفي مقدمتهم نبيه بري وميشال عون على وجه التخصيص، كما احرص على عدم التفوه بما يمكن ان يستخدم لتأجيج الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة ولا اخفي في كل الاحوال علاقتي بسوريا وايران».^(١)

لقد صنّف حسن نصر الله بين اكثر خمسين شخصية مؤثرة في العالم العربي من خلال واقع خطبه اذ يُلاحظ في نبرة صوته الارتفاع حيناً والخفض حيناً آخر وهذا ما يدل على حسن تسلسل افكاره، وطريقته المميزة في اىصال ما يريد الى الجمهور اللبناني اجمع وليس الى مناصريه فقط فضلاً عن ما يمتلكه من كاريزما قوية وقد اكتسبها مع الوقت بفعل انتصارات حزبه ومصداقيته كذلك جماهيريته العريضة ويعتمد الى تمرير كلمات تلطيف خلال خطابه حتى لو كان حاداً لتلطيف الاجواء وجعل المستمع او المشاهد لا يمل من الخطاب.^(٢)

يلاحق نصر الله كل ما يجري داخل اسرائيل باهتمام كبير، ويتابع المقالات التي تنشرها الصحف الاسرائيلية ويقرأ مذكرات الشخصيات السياسية، وبالالاخص مذكرات القادة الاسرائيليين وكتبهم، فالمعرفة بالنسبة اليه اساس التفوق في الحرب والسياسة على السواء، لقد استعان نصر الله بوسائل متعددة

(١) كريم بقرادوني، صدمة وصمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧.

(٢) نضال نصر الله ، سماحة السيد حسن نصر الله تحت مجهر تحليل لغة الجسد، موقع قاوم

لبسط نفوذ حزب الله ومنها توسيع شبكة المؤسسات الدينية، فرعى المساجد والحسينيات والمدارس ومؤسسات علماء الدين مثل «هيئة علماء جبل عامل» و «تجمع علماء المسلمين في البقاع» واهتم بالمؤسسات الاجتماعية كالمستشفيات والصيدليات التي تقدم الخدمات مجاناً او ببدل رمزي، وشجع المؤسسات الرياضية، امثال «نادي الهادي» و «جمعية كشافة المهدي» اللذين يجذبان الآف الشباب، واقام مؤسسة الشهيد لرعاية عوائل الشهداء وضمان مستقبل اولادهم وذويهم، عزز اذاعة النور وتلفزيون المنار وتميز في فن مخطابة اللبنانيين والعالم قاطبة «اظهر التلفزيون مواهبه الفذة، كمحلل مؤثر في مقابلاته السياسية، وخطيب مفوه في لقاءاته الجماهيرية: يقنع بمنطقه ويشير الحمية بخطبه، وكثيراً ما يجمع بين الاثنين، باتت اطلالاته المباشرة امام الجموع المحتشدة او عبر الشاشات العملاقة تجمع الالاف المؤلفة من اللبنانيين ومئات الالوف في الخارج ينتظرها الجميع ايام السلم والحرب لانها البوصلة التي تحدد مسار الاحداث».^(١)

في بحث أجراه مركز ابحاث اسرائيلي لاحظ الباحث اودي ليفل، خلال هذا البحث وجود حالة غريبة ومزدوجة من المشاعر اتجه نصر الله يقول ليفل: صحيح ان هناك كراهية لنصر الله كونه يمثل كل ما يلحق بنا الازى، ولكن ذلك يعكس نظره من نوع معين لم تكن موجودة في السابق تجاه اي زعيم معاد، فالجمهور لم ينظر الى نصر الله كشخص شرير مثير للاشمئزاز وانما نظر اليه بنوع من الغيرة والحسد، كان لسان حال الاسرائيليين يقول (عن نصر الله) «لقد اجاد اللعبة،.... ولكن يا ليته كان لدينا زعيم كهذا». لقد جسد في نظر الاسرائيليين

(١) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦ - ١٥٧.

القدماء الدهاء الذي اعتقدوا ان اسرائيل كانت تجسده فيما مضى، ويورد ليفل توصيفات اخرى في الخطاب الشعبي الاسرائيلي ترتبط بمصداقية نصر الله، من قبيل «صاحب كلمة» و «يمكن ابرام صفقة معه».. الخ ويؤكد ليفل ان نصر الله ما زال يعتبر في نظر الجمهور الاسرائيلي شخصية تولد «الالهام والحسد».^(١)

لقد نجح نصر الله في بث الذعر في قلوب الاسرائيليين الذين صدقوا قوله انه قادر على قصف اية مدينة من مدنها، وقد حمى بيروت لمجرد تهديده الاسرائيليين: «اذا قصفتم عاصمتنا بيروت فالمقاومة الاسلامية ستقصف مدينة تل ابيب». وتباهى في احد اللقاءات بأنه اذا ما توجه عبر التلفزيون الى سكان شمال اسرائيل وطلب اليهم النزول الى الملاجئ، فهو على يقين انهم سيفعلون، لا بل سيخلون شمال البلاد في ساعتين.^(٢) دليلاً على حجم مصداقيته وتأثير كلماته في العدو قبل الصديق.

حيث اظهرت استطلاعات الرأي ان الاسرائيليين يصدقونه اكثر مما يصدقون اقوال رئيس حكومتهم ايهود اولمرت، اما هو فلا يتردد في القول ان جانباً من خطبه هو بمنزلة «الحرب النفسية» التي يمارسها بلا مواربه ضد اسرائيل ويقول عنها: «انا امارس الحرب النفسية وهي جزء من المعركة، لكنني لا اهدد الا بما اقدر على تنفيذه، والاسرائيليون يدركون هذا الامر فيتصرفون على قاعدة عدم توفير الذريعة لكي انفذ تهديداتي وعندما يتخطون هذه القاعدة، ارد على الفور». يمكن القول في هذا المجال ان اسرائيل منذ تأسيسها لم تلق مقاومة

(١) رفته نبيل مطلق شقور ، اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة واساليبها في المنطقة العربية، مصدر

سبق ذكره، ص ٨٦.

(٢) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

على الجبهة اللبنانية وعلا على اية جبهة عربية اخرى، شبيهه بما فعله حسن نصر الله، قام بتغيير مجرى التاريخ فنقل العرب من الهزيمة الى الانتصار.^(١) في هذا المجال اصدرت مدرسة روتشيلد - قيسارية للاعلام في جامعة تل ابيب دراسة تحت عنوان «النقد الجماهيري للاعلام الاسرائيلي في حرب لبنان» من اعداد البروفيسور غابي فايان تعد سلسلة متلاحقة من الاخطاء اكد فيها من ضمن ما اكد على دور السيد حسن نصر الله بقوله «تعامل الاعلام الاسرائيلي مع خصم من اشد الخصوم ذكاء وحنكة على كافة المستويات وبالذات الاعلامية في الوقت الذي جاء الاعلام الاسرائيلي على درجة من القصور مما جعل الشعب الاسرائيلي اشد اعتماداً على ما يقوله نصر الله اكثر مما يصدر عن قنواته، فنصر الله تتمتع باسلوب يجمع بين المصادقية واليقين والترقب»^(٢).

لقد اثبت حسن نصر الله بالبرهان ان الجيش الاسرائيلي ليس الجيش الافضل في العالم، كما روجت له الدعاية الاسرائيلية والغربية وحتى العربية، وانه يمكن ان يخسر «وهو ليس قادراً لا يُرد، بل هو من طبيعة البشر التي اذا احسنت مواجهتها تكسر وتُقهَر». حين صمد مقاتلوا حزب الله في حرب تموز ٢٠٠٦م ومنعوا الجيش الاسرائيلي من اجتياح المناطق الحدودية والتقدم حيث يشاء.^(٣) هذا ما دفع مسؤول عسكري اسرائيلي الى اعلان ان اسرائيل تحاول اغتيال

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٠.

(٢) رفته نبيل مطلق شقور، اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة واساليبها في المنطقة العربية، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٣) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

الامين العام لحزب الله حسن نصر الله قائلاً: «ان النجاح في اغتيال كهذا هو ضرورة حيوية لاحداث الانعطاف في مسار الحرب وتغيير اتجاهها!». و اضاف ان مسالة الوصول الى نصر الله هي مسالة وقت لا اكثر.^(١)

فحسن نصر الله وحسب الدراسات الاسرائيلية هو «الزعيم الذي حظي بتتويج الجماهير له كأول عربي يجعل اسرائيل تنسحب من جانب واحد وبشكل غير مسبوق، ودون تحقيق اي انجازات سياسية من اقليم عربي، وهو الرجل الذي احضر الى العالم العربي اكثر العبر اهمية: انه يمكن إخضاع اسرائيل». ^(٢) ويرى الكاتب رفعت سيد احمد ان نصر الله امتلك ما يسميه بـ(فقه الانتصار) والذي تتوزع اركانه في:

اولاً: الثقة في الله وفي حتمية نصره للذين ينصرونه.

ثانياً: القدوة وضرب المثل بالتضحية، فقد كان السيد حسن نصر الله قدوة لشباب حزبه حيث كان مقاتلاً قبل ان يتولى الامانة العامة وتمثلت قمة تضحيته باستشهاد ولده البكر هادي، فقد كان بالامكان ان يعهد الى ولده احد المناصب الادارية كما يفعل ارباب السياسة في العالم العربي، الا انه ترك له الاختيار واختار الصفوف الاولى مع النخبة المجاهدة وان يستشهد داخل الحدود مع فلسطين.

ثالثاً: الترتيب الصحيح للاولويات فكان الاتجاه الصحيح للرصاص هو قلب العدو وليس الى قلب اي لبناني، لقد امتلك نصر الله هذه الثلاثة من القيم

(١) انور قاسم الخضري، حزب الله من النصر الى القصر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤

(٢) رفقه نبيل مطلق شقور، اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة واساليبها في المنطقة العربية، مصدر

سبق ذكره، ص ١٢٥.

التي التي شكلت ركائز فقه الانتصار.^(١)

لقد اتقن نصر الله فن ادارة المعارك غير المتكافئة وتحقيق الانتصارات والنجاحات غير المتوقعة بدون التورط في وحل اللعبة السياسية والصراع على السلطة، لكنه مع ذلك اتبع خطأً استراتيجياً مكباً فيه مكان للسياسة ومكان للبندية، فهو من القلة التي تتمتع بملكتي العقل التحليلي والعقل الاستتاجي، فتأتي مقاربات شاملة ومتكاملة وبأسلوب متماسك ومنهجي واستطاع ان يتخطى مشكلة التناقض بين مشروع «الدولة الاسلامية» وواقع «الدولة اللبنانية» ونظامها الطائفي^(٢) فهو ليس الا رجل ذو كلمة.^(٣)

لكن الانتصار تحقق حسب نصر الله لان الحزب احسن استخدام ميزات المقاومة كحركة وميزات الجنوب كجغرافيا، اضافة الى استغلال نقاط ضعف اكتشفت بالممارسة لدى العدو، ورغم ذلك فهو لا ينسب فضل تحقيق الانتصار للحزب فقط بل يشمل التنسيق مع الجيش الوطني اللبناني وعلى الاحتضان الشعبي خصوصاً في منطقة الجنوب اضافة الى الجد والانضباط في مقاومة الاحتلال.^(٤)

يرى نصر الله وفق لاية الكريمة «وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» ان ضعف الدولة في لبنان اتاح الفرصة لقيام المقاومة، فلو كانت دولة لبنان شبيهة بالانظمة العربية الاخرى لاستحال على المقاومة ان تنطلق، فاعترفت الدولة

(١) رفعت سيد احمد، حسن نصر الله تائر من الجنوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ - ١٣.

(٢) كريم بقرادوني، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨.

(٣) *David Wilmsom, Nasrallah and the compromise and rehabilitation of Hizbullah s reputation, op. cit. P٤ .*

(٤) كريم بقرادوني ، صدمة وضمود، مصدر سبق ذكره، ص٤٣٦.

بحق «حزب الله» بالمقاومة لعجزها عن مواجهة اسرائيل، ولإدراكها ان اية مواجهة مع المقاومة تجر الى حرب اهلية، فرغم كل عيوب النظام الديمقراطي في لبنان، مكن هذا النظام المقاومة من ان تعمل داخل المجتمع وخارج الدولة بفضل هامش الحريات الواسع فضعف الدولة اتاح المجال للمقاومة ان تكون قوية وبالتالي تحولت المقاومة الى قوة للدولة. (١)

خلاصة القول ان لشخصية حسن نصر الله كانت ذات اثر كبير في تحقيق الانتصارات من حيث الصفات الشخصية وهذه الصفات تأتت من الطموح الذي امتلكه والفطنة والذكاء اضافة الى تهيم الفرص امامه في التعرف على شخصيات دينية نافذة ومؤثرة في الوسط الذي عاش فيه في جنوب لبنان، تلك الشخصيات التي اخذت بيده ووقفت الى جانبه حتى بات من مؤسسي حزب الله. ولكي يتم له التأثير الذي يمارسه الان اعتمد السيد حسن نصر الله كثيراً على وسائل الاعلام المرئية والمسموعة، لقد امتد تأثير شخصيته ليعبر حدود مناصريه ومؤيديه لتصل الى اعدائه وخصومه، بل امتد ذلك التأثير الى داخل اسرائيل، فأخذ الاسرائيليون يتابعون خطبه ويتعاملوا مع كلامه بثقة تتجاوز ثقتهم بمسؤوليهم ورؤساءهم.

وهو اذ يتمتع بذلك التأثير والقدرة على الاقناع اعتمد اولاً على ايمانه بما يقول وثقته بما يعتقد انه حق، فعقيدته المستمدة من ملحمة الحسين عليه السلام في كربلاء وتوظيفه لها في خطبه واحاديثه استطاع التأثير في الاوساط الجنوبية الشيعية المتدينة ولاحقاً وبفعل الانتصار اكتسب جمهور اوسع من الطائفة التي ينتمي اليها.

(١) المصدر السابق، ص ١٥٩.

قائمة المصادر

المصادر باللغة العربية

١. احمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨.
٢. احمد نزار حمزه، على طريق حزب الله، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠.
٣. انور قاسم الخضري، حزب الله من النصر الى القصر، ٢٠٠٧.
٤. حسن فضل الله، الخيار الاخر، السيرة الذاتية والموقف، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
٥. رفعت سيد احمد، حسن نصر الله تأثر من الجنوب، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ج١.
٦. رفقة نبيل مطلق شقور، اثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة واساليبها في المنطقة العربية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩.
٧. كريم بقرادوني، صدمة وضمود، عهد اميل لحود (١٩٩٨ - ٢٠٠٧) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٥، ٢٠١١.
٨. محمد تقي مصباح اليزيدي، الحكومة الاسلامية وولاية الفقيه، ترجمة عبد الكريم محمود، مؤسسة بضعة الرسول، بغداد، العراق، ط١، ٢٠١٢.
٩. نعيم قاسم، حزب الله، المنهج، التجربة، المستقبل، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط٩، ٢٠١٣.

المصادر باللغة الانكليزية

- ١- *David Wilmsen, Nasrallah and the compromise and rehabilitation of Hizbullah's reputation, Arab media and society, the middle East center, st. Antony university of oxford, January ٢٠٠٩.*
- ٢- *Joseph Elie Alagha, The Shift in Hizbullah's Ideology, Religious Ideology, and Political Program, Amsterdam University press, ٢٠٠٦.*

مصادر الانترنت

- ١- علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر، [www. alrased. net](http://www.alrased.net)
- ٢- نضال نصر الله، سماحة السيد حسن نصر الله تحت مجهر تحليل لغة الجسد، موقع قاوم، forum. qawem. Org

الدور الإقليمي لحزب الله - المحددات والقيود

الحرب السورية إنموذجاً

حسام مطر

المقدمة

تشهد السنوات الأخيرة صعوداً ملحوظاً في دور الفاعلين غير - الدوليين (*state actors - non*) ضمن حقل العلاقات الدولية. يعود هذا النمو الى جملة تغييرات في البيئة الدولية أدت الى «تضخم» قوة هؤلاء الفاعلين وجعلها أكثر «سيولة» وقدرةً على تجاوز الحدود الوطنية. يحتل الشرق الأوسط مرتبة متقدمة في ظهور هذه الحركات وتأثيرها المتزايد في سياساته الإقليمية، وهي تنقسم بشكل أساسي، ما بين حركات تحرر وطني (حزب الله - حماس) وحركات تسعى لتحدي الأنظمة السياسية الرسمية، إما بسبب أجندتها الدينية المتطرفة (القاعدة ومتفرعاتها) وإما كجزء من الصراع على السلطة (أنصار الله الحوثيين - فصائل في المعارضة السورية).

شكّل حزب الله علامة فارقة في تجارب الحركات التحررية وترك بصماته الواضحة في أساليب حرب العصابات الى حد أنه قدم نموذجاً مستحدثاً من

الحرب «الهجينة» أي الدمج بين الحروب النظامية وحروب العصابات.^(١) وللدلالة على حضوره الوازن، فقد صنفته وزارة الخارجية الأميركية في العام ٢٠٠٧ بأنه «المجموعة الأكثر قدرةً من الناحية التقنية في العالم». من ناحيته ذهب ريتشارد أرميتاج الى القول أنه «ربما يكون حزب الله الفريق (أ) من الأرهابين وربها القاعدة واقعاً الفريق (ب)». وقد بلغ الأمر أن ربط أحد مسؤولي حلف الناتو عام ٢٠٠٦ بين تكتيكات حركة طالبان وتكتيكات حزب الله، في إشارة لإمكانية حدوث نقل خبرات بين الطرفين.^(٢)

مؤخراً وفي ظل الأزمة السورية، برز الدور الإقليمي لحزب الله من خلال قدرته الحاسمة على تغيير موازين القوى في تلك الحرب، وهي حرب تقع في صلب صراع المحاور الإقليمية. لطالما كان حزب الله - كحركة تحرير وطنية - جزء من المعادلة الإقليمية في ظل التنافس بين محور واشنطن ومحور المقاومة الذي تقوده إيران. سعى حزب الله من خلال المقاومة وحمايتها وتطويرها الى إقامة توازن جيوسياسي وإستراتيجي بين العرب وإسرائيل. إلا أن حزب الله إنتقل مؤخراً لإستخدام قوته بشكل مباشر في صراعات خارج النطاق الوطني الضيق، حيث أثبت «أنه يمكن لحركة تمرد أن تلعب دوراً يتجاوز الحدود الوطنية وأن تأثر في توازنات القوى الإقليمية، وهذا الدور في تزايد منذ الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان ٢٠٠٠. والملفت بخصوص حزب الله هو نجاحه

(١) أنظر مثلاً: كيلي روركي، مذهب مواجهة حركات التمرد الأميركي بوجه حزب الله، كلية الأركان

في الجيش الأميركي، ٢٠٠٩

(٢) *Fisnik Abrashi, "NATO Official Likens Tactics, of Taliban to Hizballah s," The*

Boston Globe, ١٦ August ٢٠٠٦

المتكرر خارج لبنان، في صراعات فشلت فيها القوى التقليدية»، كما يحاجج مصعب الألوسي^(١).

حزب الله الذي رغم كونه قوة لبنانية إلا أنه تمكن من أن يصبح لاعباً إقليمياً بفعل قدرته على تحويل المقاومة من مشروع محلي الى مشروع إقليمي ضمن إستراتيجية موحدة لمنظومة المقاومة التي لم تتحول بعد لجهة موحدة بسبب إفتقادها للإدارة الإستراتيجية على المستوى السياسي، بحسب ما يقول الدكتور عبد الحليم فضل الله^(٢). إلا أنه عندما يقوم حزب الله بدور إقليمي، فهناك مكون محلي له أهمية قصوى بطريقة أدائه لهذا الدور، أي أن المكون المحلي ظاهر يقوة في آلية إتخاذ القرار الإقليمي عند حزب الله. يخلص الدكتور فضل الله الى أن الحزب ليس قوة إقليمية مجردة بل قوة محلية بالأساس ولكن له قدرة على التأثير الإقليمي^(٣).

بالنظر الى عمق تأثيرات هذا الدور، هناك حاجة لفهم كيف يقارب حزب الله دوره في الإقليم، ما هي المحددات الذاتية والموضوعية لهذا الدور؟ كيف يمكن إستقراء تجربة حزب الله في هذا المجال؟ كيف يقرأ حزب الله طبيعة

(١) مصعب الألوسي، إنتشار التهديد: حزب الله كلاعب إقليمي، فليتشر فورم، ١٩ شباط ٢٠١٤ (ترجمة

خاصة). متوفر على الرابط التالي: <http://www.fletcherforum.org>

(٢) الدكتور عبد الحليم فضل الله هو رئيس المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق التابع لحزب الله ومقره بيروت. يُعنى المركز بتزويد مراكز القرار داخل الحزب بالدراسات المعلومات والمشاريع والإقتراحات في الشؤون السياسية، التنمية، الإقتصادية، الإنتخابية، والإستراتيجية. للدكتور فضل الله الكثير من الأبحاث والمقالات لا سيما في قضايا التنمية والإقتصاد السياسي، وهو دائم المشاركة في المؤتمرات العلمية داخل لبنان وخارجها.

(٣) عبد الحليم فضل الله، مقابلة خاصة بهذا البحث أجراها الكاتب، بيروت، ١٣ آب ٢٠١٤

الصراع الإقليمي القائم؟ كيف يحاول حزب الله التوفيق بين دوره الإقليمي وطابعه الوطني؟ ما هي القيود التي تشكل عبئاً على حسابات حزب الله الإقليمية؟ أما على المستوى العملي، كيف تطورت مقاربة حزب الله للحرب السورية؟ متى ولماذا قرر الحزب التدخل المباشر؟ ما كانت تأثيرات هذا التدخل، المكاسب والأعباء؟ وكيف أثرت نتائج هذا التدخل في الواقع الإقليمي؟

منهجياً، تستند الورقة على إستقراء تجربة حزب الله في التأثير الإقليمي وصولاً إلى إستخلاص مبادئ ومفاهيم عامة تسهم في تفسير سلوكه الإقليمي، ثم الإنطلاق من هذه المفاهيم لفهم دور حزب الله في الأزمة السورية. إذاً تعتمد المقاربة المنهجية على التحرك من الواقع ثم العودة إليه ذهاباً وإياباً لإختبار النتائج. من الناحية التطبيقية تعتمد الورقة على طريقة «دراسة الحالة»، وتطبق نموذج «دراسة حالة واحدة» (*single case study*) وتبحثها بشكل معمق وهي حالة الحرب السورية التي إندلعت عام ٢٠١١ ولا تزال مستمرة، مع تركيز خاص على الفترة التي تلت تدخل حزب الله المباشر بدءاً من العام ٢٠١٣.

١. حزب الله : من التأثير الى الدور الإقليمي

لا بد بدايةً من النظر بإيجاز في التطورات التي ساهمت في بروز المنظمات اللا دولية على ساحة السياسة الدولية، كيف تعاملت معها مدارس العلاقات الدولية؟ كيف يجري تعريفها؟ لماذا زاد نفوذها؟ وما علاقة ذلك بالتحويلات في بنية العلاقات الدولية؟ تالياً، سنجري فحصاً سريعاً لدور وتأثيرات حزب الله الإقليمية، كيف تمظهر هذا الدور؟ ضمن أي ساحات، بأي أدوات، ووفق أي أولويات. سيشكل هذا التأسيس قاعدة تحتية للبحث لاحقاً في محددات الدور

الإقليمي لحزب الله والقيود والعقبات المفروضة عليه.

أ) القوى اللا دولتية في حقل العلاقات الدولية:

في ظل نمو دور القوى «اللا دولتية» برز السجال حول تعريف هذه القوى وتصنيفها والمعايير الواجب توفرها فيها لإعتبارها لاعباً دولياً. يمكن تعريف هذه القوى بأنها منظمات تمتلك قوةً كافيةً للتأثير وإحداث تغيير بالرغم من إنها لا تنتمي لأي مؤسسة دولتية.^(١) وقد عرض هوكنغ و سميث ثلاثة معايير يجب أن تتوافر في أي جهة، كي يصح وصفها بلاعب دولي وهي: «الاستقلالية» أي درجة الحرية في العمل لتحقيق أهدافه، «التمثيل» أي نوع الشرائح التي يمثل، وأخيراً «التأثير»، أي القدرة على إحداث تغيير بواقع محدد تجاه قضايا محددة.^٢ إذاً هي قوى لها أجندتها الخاصة مستقلة عن أجهزة الدولة الرسمية، وتمتلك من القوة والتأثير بما يمكنها من العمل ضمن الساحة المحلية أو الخارجية من خلال أدوات ووسائل متفاوتة.

يمكن قسمة القوى «اللا دولتية» في السياسة الدولية بين «منظمات حكومية دولية» و «منظمات عابرة للقوميات»، وتشتمل الثانية على الشركات المتعددة الجنسيات، المنظمات الدولية غير الحكومية، والمنظمات «اللا تجارية العابرة للقوميات». بدورها هذه الأخيرة تشمل الأحزاب السياسية العابرة للقوميات،

(١) *Dictionary of the Social Sciences, "Nonstate actors", Cengage Learning, ١ Jan. ٢٠٠٢*

(٢) *Brian Hocking and Michael Smith, World Politics, New York: Harvester Wheatsheaf, ١٩٩٠, p. ٧١*

المنظمات الإرهابية الدولية، والحركات الثورية التي تتلقى دعماً دولياً.^(١) إن إهتمامنا ينصب على هذه الفئة الأخيرة أي تلك صاحبة الأجندة السياسية والتي يشكل العنف جزءاً أساسياً من أدواتها، وتكون علاقاتها وتأثيراتها تتجاوز النطاق المحلي.

من ناحية النظريات الدولية، تجاهلت المدرسة «الواقعية» أي دور للقوى اللا دولية في مجال السياسة الدولية. الواقعية التقليدية والواقعية الجديدة أو البنيوية تتمحور حول مركزية الدولة في السياسة الدولية، فالبنية الدولية هي عبارة عن مجموعة دول لا تخضع لتنظيم هرمي أو سلطة مركزية عليا ما ينتج حالة من الفوضى. وحدة التحليل (*unit of analysis*) بالنسبة لهذه المدرسة هي الدولة، كما هي «الطبقة» بالنسبة للماركسيين. وحين واجهت هذه المدرسة تحدي صعود القوى اللا دولية، ردت بأن هذه القوى تشكل إمتداداً أو أدوات لدول أخرى، أي أن وجودها في الساحة الدولية ليس بالإصالة بل كأداة لدولة ما.

لاحقاً، ومع بداية السبعينات عانى نفوذ الدولة من ضمور بفعل التحولات الإقتصادية - السياسية التي زادت من دور وتأثير الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية والمنظمات غير الحكومية. إزدهرت النظريات الليبرالية في هذه الحقبة، وهي نظريات حاولت تجاوز النواقص في «مدرسة القوة» لا سيما من خلال تجاوز «مركزية الدولة» في التحليل. بعكس «الواقعية»، أقرت الليبرالية بدور القوى اللا دولية لا سيما في سبيل تعزيز التعاون الدولي في حقبة بدأت

(١) Gustaaf Geeraerts, *Analyzing Non . State Actors in World Politics, Pole Paper Series, Vol. ١, No. ٤, October ١٩٩٥; Available at: http://poli.vub.ac.be/publi/pole_papers/pole٠١٠٤.htm*

تشهد إرهابات «الإعتماد المتبادل المعقد» بين الدول لا سيما مالياً وإقتصادياً.^(١) ومع تقدم العولمة أصبح دور هذه القوى جوهرياً في السياسة الدولية الى جانب «الدولة» التي صمدت رغم بعض النبؤات بإندثارها في حقبة السبعينات والثمانينات. وقد شهدت بداية التسعينات ظهور بارز لهذه القوى في ظل نهاية الحرب الباردة وموجة الحروب الأهلية التي تلتها، بالإضافة الى توسع العولمة وثورة المعلومات والتكنولوجيا التي وفرت لها أدوات أساسية لممارسة النفوذ والقوة. يصف جوزيف ناي هذه الظاهرة بـ «تشتت القوة» حيث لم تعد القوة محصورة «بالدولة» بل يشاركها فيها كثيرون، منها هذه المجموعات التي يصفها «بالبرابرة الجدد» والتي يحوز بعضها من القوة ما يفوق قوة دول بأسرها.^(٢) كل هذه التحولات مكّنت هذه المجموعات من «اللكم بقوة تفوق وزنها»، أي توظيف وممارسة قوة تفوق قدراتها المادية.^(٣)

إكتسبت هذه القوى دوراً خاصاً في الشرق الأوسط، ولا يزال دورها يشهد صعوداً مضطرباً لدرجة أن منها قوى أكثر تأثيراً في التوازنات الإقليمية من كثير من دول المنطقة. ولهذا الخاصية في الشرق الأوسط أسباب عدة، أبرزها:

(١) See for example :Robert Keohane, and Joseph S. Nye (eds), *Transnational Relations and World Politics*, Cambridge: Harvard University Press, ١٩٧١; Robert Keohane and Joseph S. Nye, *Power and Interdependence*, Second Edition, Glenview: Scott Foresman, ١٩٧٧, ١٩٨٩

(٢) Joseph S. Nye, Jr. , *Power Shifts in the ٢١st Century*, *The Montréal Review*, May ٢٠١٢

(٣) *Report of an Independent Task Force, Finding America s Voice: A Strategy for Reinwigorating U. S. Public Diplomacy*, the Council on Foreign Relations, ٢٠٠٣, p. ٦

الإشكاليات التي إعتضت مشروع الدولة - الأمة وعلاقتها بالهويات (الدينية، القومية، الإثنية، القبلية.. إلخ)، وهي إشكاليات أدت لفقدان التجانس بين هوية الجماعات والحدود الوطنية. وفي ظل الفشل في إنتاج هويات وطنية جامعة، حافظت الهويات الأولية على قوتها وروابطها ونسجت مصالح خاصة بها عابرة للأوطان ومن خارج «سيادة» الدولة. ثانياً، تفشي ظاهرة «الدولة الفاشلة» التي تنتج فراغات قوة داخل الحيز المحلي تستغلها هذه المجموعات لبناء حواضن إجتماعية تمارس من خلالها مشروعها وأجندتها السياسية. (١) ثالثاً، الإحتلال الإسرائيلي - الأميركي الذي إستدعى ظهور قوى تحرر وطني إستخدمت أسلوب الحركات الثورية وحروب العصابات، وثم إستبداد الأنظمة الرسمية وتبعيتها للنهاب الدولي مما ساهم بظهور حركات إستخدمت العنف كجزء من حركة الإعتراض السياسي.

تعاني المنطقة العربية بالتحديد، بشكل متزايد خلال العقد الأخير، من ضمور في قوة الدول وسلطة الحكومات المركزية لصالح مجموعات ذات أجندات سياسية عابرة للحدود. وقد فاقمت أحداث الإنتفاضات العربية بدء من ٢٠١١ في تأزيم هذا الواقع لا سيما في المشرق العربي. بالتوازي أصبحت الحدود السياسية أكثر سيولةً وقدرةً على الإختراق والتجاوز، إما بفعل الضمور الأمني للحكومات المركزية، وثم بفعل ثورة الإتصالات التي أتاحت فرصاً غير محدودة لنقل الأفكار والرسائل وصناعة التصورات لمواطني الدول الواقعة

(١) يرى مصعب الألوسي أن أدوار القوى غير الدولية ستتمو أكثر في حال لم تجري إعادة بناء

«الدولة» ليس فقط عسكرياً بل إجتماعياً واقتصادياً. مصعب الألوسي، مرجع سابق

خارج الحيز الوطني. يسهم حضور هذه القوى في تعقيد المشهد الإقليمي ويشكل تحدياً للتسويات السياسية نظراً لخضوعها لمنطق مختلف عن منطق الدول، وهي أكثر قدرة على التحرر من الضغوط والتحلل من الإلزامات. وعليه يصبح من الممكن فهم هذا التمدد في حركة المنظمات اللا دولتية في المنطقة العربية، سواء بفعل ظروفها الذاتية أو التحولات البنوية.

ب) لمحة موجزة في دور وتأثير حزب الله الإقليمي

منذ إنطلاقته في بداية الثمانينات، كرس حزب الله كل موارده وطاقاته لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. كانت هذه المقاومة أولويته المطلقة والتي تبقى حتى اللحظة تتصدر أجندته السياسية. الدور الإقليمي الأساسي لحزب الله تجلّى في دعم حركات المقاومة الفلسطينية بالنظر الى مركزية فلسطين في المبنى الأيديولوجي والإستراتيجي لحزب الله. مع نضوج تجربة حزب الله في المقاومة في الثمانينات والتسعينات، وحيازته على مصادر قوة متزايدة وخبرات متراكمة توسع دعم الحزب لحركات المقاومة.^(١)

التأثير الإقليمي الأول لحزب الله هو دوره في مقاومة الإحتلال الإسرائيلي، إذ أن إنعكاسات هذا الدور لم تنحصر في الداخل اللبناني. إن الإنجازات العسكرية التي راكمها حزب الله بوجه الإحتلال الصهيوني وصولاً الى الإنسحاب من الجنوب اللبناني و ثم هزيمته في عدوان ٢٠٠٦، كان لها عميق

(١) حول هذا الموضوع أنظر، رفقة شقور، أثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة وأساليبها في المنطقة

العربية (رسالة ماجستير)، نابلس: جامعة النجاح، ٢٠٠٩

الأثر في الشرق الأوسط.^(١) تتنوع الإنعكاسات الإقليمية لإنجازات المقاومة في تجربة حزب الله من إضعاف وإحتواء وردع المشروع الصهيوني، الدفع بمحور المقاومة صعوداً، الحد من قوة الهيمنة الأميركية في الشرق الأوسط، تعرية النظام العربي الرسمي، وصولاً نحو إحياء روح الثورة والأمل في شعوب المنطقة سواء في مقاومة الإحتلال أو الإستبداد إستلهاماً بتجربة حزب الله.

الى ما قبل الحرب السورية، حرص حزب الله على إبقاء دوره العسكري خارج لبنان طي الكتمان والسرية المطلقة. أما في دوره السياسي فقد أبدى حرصاً على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة وتفادى الصدام بل وحتى التهجمات اللفظية تجاه الدول التي تورطت في تغطية الإعتداءات الإسرائيلية عليه كما في عدوان عناقيد الغضب ١٩٩٦ وعداوان تموز ٢٠٠٦. نجح حزب الله طوال تجربته في الحفاظ على أولوية المقاومة وعدم الإنجرار الى أي عداوات أو صراعات بل وحتى أي مغريات قد تستنزف من جهده في المقاومة. إستفاد حزب الله من تجارب أسلافه وإخفاقاتهم في المقاومة داخل لبنان وخارجه لتضييح «عقله الإستراتيجي»، وهو نضج تجلي في حفظ أولوية المقاومة وحصص كل الموارد المتاحة في سبيل هذا الهدف.

عسكرياً، ولا سيما بعد تحرير أغلب الجنوب اللبناني عام ٢٠٠٠، توسع دعم حزب الله لحركات المقاومة الفلسطينية وهو دعم تنوع بين التدريب، نقل السلاح والخبرات، تقديم الإستشارات، والتخطيط.^(٢) أثبت تحرير الجنوب اللبناني عام

(١) لمزيد من التفصيل حول أسباب الحرب أنظر، حسام مطر، مقاربة جديدة لعدوان تموز: الحرب الوقائية، صحيفة السفير، ٢٠١٣\٧\٣٠

(٢) دافيد باتريوس قال في شهادته امام الكونغرس ٢٠٠٧ أن حزب الله أسس وحدة خاصة أسماها

٢٠٠٠ جدوائية المقاومة بشكل قطعي وتحول حزب الله، بحسب الدكتور فضل الله، الى «مثال مؤسس» أو «مثال مرجعي»، ولذا يرى فضل الله أن ٢٥ أيار ٢٠٠٠ هو تاريخ ولادة محور المقاومة بشكل فعلي.^(١) وإن كان حزب الله يعلن بشكل دائم عن دعمه للمقاومة الفلسطينية إلا أن تفاصيل ذلك بقيت طي السرية والكتمان.

وكان هذا الصعود في دعم المقاومة الفلسطينية بعد عام ٢٠٠٠ لأسباب منها ما هو متعلق بحزب الله كإكتمال التجربة، الإحتكاك المباشر مع الجغرافيا الفلسطينية، توفر خبرات وكوادر أصبح من الممكن توجيهها نحو المجال الفلسطيني بعد إنتهاء جهود تحرير الجنوب. ومن هذه الأسباب ما هو متعلق بالمقاومة الفلسطينية التي برزت بقوة في ظل الإنتفاضة الثانية التي شكل تحرير لبنان محفزاً أساسياً في ظهورها، فشل مشروع التسوية، وضوح جدوى الكفاح المسلح نتيجة تجربة حزب الله، وثم الإنسحاب الإسرائيلي من غزة عام ٢٠٠٥ وسيطرة حماس على القطاع. يؤكد الدكتور عبد الحليم فضل الله أن دعم الحزب لفصائل المقاومة الفلسطينية كان دائماً خارج أي شروط سياسية وهو مرتبط فقط بالتلاقي على خيار المقاومة بمعزل عن البناء الفكري - الإيديولوجي لتلك الفصائل.^(٢)

لم يتعرف الجمهور على عمق دور حزب الله في دعم المقاومة الفلسطينية إلا

«الوحدة ٢٨٠٠» لدعم «تدريب، تسليح، تمويل، وفي بعض الحالات توجيه الميليشيات المتطرفة عبر قوات القدس في الحرس الثوري الإسلامي». متوفرة عبر الرابط:

www.defenselink.mil/pubs/pdfs

(١) فضل الله، مرجع سابق

(٢) فضل الله، مرجع سابق

من خلال عمليات إعتقال لكوادر من حزب الله أثناء عملهم في عمليات الدعم، حيث كان الحزب يكتفي بإعلان الدعم بشكل عام من دون الخوض بالتفاصيل. مثلاً في ظل أحداث الإنتفاضة الثانية، أعلنت إسرائيل أنها إعتقلت قيادياً في مقر المقاطعة في رام الله حيث كان ياسر عرفات محاصراً. لاحقاً تبين أن القيادي هو فوزي محمد مصطفى أيوب الذي إتهم بأنه أحد كوادر الوحدة ١٨٠٠ التابعة لحزب الله والمتخصصة في العمليات الخارجية. (١) لاحقاً جرى إطلاق سراح أيوب في صفقة تبادل بين «إسرائيل» وحزب الله، الى أن أعلن خبر إستشهاد أيوب في المعارك الدائرة في سوريا عام ٢٠١٤.

أيضاً في العام ٢٠٠٩ أعلنت السلطات المصرية إعتقالها كادراً لحزب الله يدعى سامي شهاب يعمل ضمن مجموعة من الفلسطينيين والمصريين، وقد جرى إتهامهم بتهم مرتبطة بمحاولة زعزعة الأمن المصري ونشر التشيع ورصد أهداف في سيناء وقناة السويس. إلا أن الأمين العام لحزب السيد حسن نصر الله أعلن بعد أيام وفي كلمة متلفزة أن «ما كان يقوم به المجاهد في حزب الله هو نقل الدعم اللوجيستي والسلاح الى المقاومة الفلسطينية»، وناشياً إتهم السلطات الرسمية الأخرى. (٢) وقد تمكن شهاب من الفرار من السجن خلال الفوضى

(١) أنظر مثلاً، ماثيو ليفيت، دعم إيران للإرهاب في الشرق الأوسط، شهادة أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأدنى ووسط آسيا في الكونغرس الأميركي، ٢٥ تموز ٢٠١٢، ص. ٨ - ١٠، متوفرة

عبر الرابط التالي: <http://www.foreign.senate.gov>

(٢) كلمة متلفزة للسيد حسن نصر الله بتاريخ ١٠\٤\٢٠٠٩ للرد على الإتهامات المصرية. يمكن

مراجعة النص الحرفي عبر الرابط التالي:

<http://www.moqawama.org/essaydetails.php>

التي أعقبت سقوط حكم حسني مبارك.

ورغم تركيز دور حزب الله في دعم المقاومة الفلسطينية، إلا ان الإحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣ أوجد ساحة جديدة لأعمال المقاومة ضد المحتل مما دفع حزب الله وبالتعاون مع فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الى تقديم الدعم العسكري لفصائل في المقاومة العراقية. وقد إتهم الأميركيون حزب الله بتأليف وحدة خاصة لدعم المقاتلين العراقيين وهي الوحدة ٣٨٠٠. (١)

تركزت مهام حزب الله في العراق على تدريب المقاتلين العراقيين، تزويدهم بخبرات تكتيكية، عمليات تكتيكية لوحداث صغيرة، وصناعة المتفجرات التي تمكن الحزب من مراكمة خبرات واسعة حولها خلال مقاومته للقوات الإسرائيلية في جنوب لبنان، بحسب ما أفاد تقرير للبتاغون عام ٢٠١٠. (٢) مجدداً خرج دور حزب الله للعلن من خلال إعتقال القوات الأميركية عام ٢٠٠٧ لأحد كوادر حزب الله يُدعى علي موسى دقوق خلال مساهمته في تدريب وتنظيم أحد فصائل المقاومة العراقية الأساسية (عصائب أهل الحق). (٣)

(١) ماثيو ليفيت، مرجع سابق، ص. ١٢

(٢) "Unclassified Report on Military Power of Iran," Congressionally Directed Action (CDA) re: Military Power of Iran, April ٢٠١٠, p. ٣,

<http://www.offnews.info/downloads/militaryPowerIran.pdf>

(٣) يمكن الإطلاع على أبرز محطات علي موسى دقوق في العمل الجهادي قبل وصوله للعراق الى حين إطلاق سراحه عبر الرابط التالي:

<https://www.understandingwar.org/backgrounder/timeline-mussa.ali>

أما على الصعيد السياسي كان دور حزب الله الإقليمي يتجلى في ترسيخ وتوسيع القاعدة الإجتماعية لمشروع المقاومة من خلال التواصل، التنسيق، والتعاون المستمر مع القوى الحزبية والنقابية العربية، أي الجهات غير الرسمية. جَهد حزب الله لإيجاد وعي مشترك تجاه مشروع المقاومة ضمن الحيز العربي، تمثلت المهمة الأساسية في إخراج القوى العربية من تراكبات الهزائم التاريخية والانتقال بها نحو الإيمان بالذات وإمكانية الإنتصار. كما سعى حزب الله لجعل «المقاومة» هوية جامعة للعرب قادرة على تجاوز إنقساماتهم الوطنية، الثقافية (الدينية والمذهبية) والإيديولوجية (قوميين - إسلاميين). كان تأثير حزب الله السياسي يجري على مستويين، على المستوى الشعبي مباشرة، على مستوى النخب السياسية.

على الصعيد الشعبي العربي، إستخدم حزب الله قوته الناعمة كأداة أساسية، وهي تتمحور حول إنجازاته في المقاومة وثم شخصية أمينه العام السيد حسن نصر الله. شكلت القوة العسكرية لحزب الله جوهر قوته الناعمة في المنطقة، إذ إستندت قدرة الحزب في إستمالة العقول والقلوب على نجاح تجربته في المقاومة وتجانس خطابه مع الممارسة السياسية والجهادية. بالمحصلة أصبحت «تعاليم المقاومة» ذات شعبية في العالم العربي، ونجح حزب الله في تقديم «قصته معللة منظمة في بنية منطقية مخططة ومتمينة تبرز فيها السيطرة على حلبة الإتصالات والمعرفة المعمقة بطابع منظومة الخضم».^(١)

(١) داني بروكوفيتش، هل يمكن قطع رؤوس الهيدرا: معركة إضعاف حزب الله، ترجمة إبراهيم

تمكن السيد نصر الله من الإستحواذ على ثقة وتأييد شرائح عربية واسعة، وهو ما وظفه السيد لمخاطبة الرأي العام العربي بشكل مستمر حول قضايا المقاومة ومخاطر الإحتلال الإسرائيلي والمشروع الأميركي. يصنف بروكوفيتش «زعامة» السيد كإحدى أبرز مصادر قوة الحزب، فهو يبرز بصورة الشخصية الأمينة والكفؤة داخل لبنان وخارجه، وداخل المنظمة وخارجها، إسلامياً وعربياً، وحتى عند جمهور الإعداء. ^(١) في كل المحطات المفصلية على المستوى الإقليمي كان لسماحة السيد مواقف يخاطب من خلالها الرأي العام العربي يحاول فيها التأكيد على الثوابت كاللدعوة الى الوحدة الإسلامية ورفض التدخلات الأميركية في المنطقة وجدوائية المقاومة. بالمحصلة حقق حزب الله نجاحات في «قوة الوعي»، أي قدرته على التأثير على نظرات وإدراك الجمهور، سمحت له بتعويض النقص في القوة المادية بوجه «إسرائيل». ^(٢)

أما على مستوى النخب العربية فقد تمتع الحزب بحضور لافت ومتزايد في المؤتمرات الحزبية العربية والإسلامية وإتحادات النقابات والمنتديات الدينية والثقافية والمخيمات الطلابية العربية السنوية، وتمكن من خلال هذه المنصات من نسج شبكة علاقات واسعة مع أحزاب وقوى وجمعيات وشخصيات عربية إسلامية. وقد طور الحزب في السنوات الأخيرة وحدة خاصة بالعلاقات العربية إضافة لوحدة العلاقات الدولية، مع الإشارة الى وجود متابعة خاصة لبعض الدول حيث يخصص الحزب لها وحدة متخصصة كما في الملف العراقي

(١) المصدر السابق، ص. ٤٥ - ٤٦.

(٢) بروكوفيتش، مصدر سابق، ص. ٦٢ - ٦٧.

والفلسطيني. إلا أنه لكل تأثير حدوده الخاصة به، مثلاً عانى الحزب من إشكالية التوفيق بين الإسلاميين (الإخوان بالتحديد) والقوى القومية، فالتوتر بين الطرفين لطالما شكل تحدياً للحزب لا سيما في فترة ما بعد الإنتفاضات العربية. الإشكالية الأخرى تتمثل في ضالة القاعدة الإجتماعية التي مثلتها هذه النخب لا سيما القومية منها والتي بقي جزء حساساً تجاه «الهوية الإسلامية» لحزب الله. فيما ضاعت بعض القوى الإسلامية - بالتحديد الإخوان - سريعاً في أزقة التوتر المذهبي والطموح لإقامة نموذجها الخاص المضاد للتجربة السياسية الشيعية.

إلى ما قبيل الأزمة السورية، تمتع حزب الله وأمينه العام بتأييد واسع في العالم العربي لا سيما بعد أداءه البطولي في حرب ٢٠٠٦. تمكن خصوم حزب الله في المنطقة سواء واشنطن أو أدواتها الإقليمية في الخليج من تشويه صورة الحزب عبر أدوات التوتير المذهبي لا سيما من بوابة الأزمة السورية وأحداث العراق. على سبيل المثال أقر السفير الأميركي الأسبق في بيروت جيفري فيلتمان أمام الكونغرس في ٨ حزيران ٢٠١٠ بأن بلاده دفعت منذ ٢٠٠٦ أكثر من مليار دولار لتعزيز القوى الأمنية اللبنانية بالإضافة لبرامج دعم للقوى المناوئة للحزب في مجالات إجتماعية، تربوية، إعلامية وسياسية متنوعة، لتشويه صورة الحزب.^(١)

ختاماً، يمكن أن تثار إشكالية علاقة حزب الله وإيران، وعن مدى الإستقلالية التي يملكها الحزب في سياساته الإقليمية. من المؤكد أن دور حزب

(١) يمكن الإطلاع على النص الحرفي لشهادة فيلتمان عبر الرابط التالي:

<http://www.foreign.senate.gov/imo/media/doc>

الله الإقليمي يجري بالإنسجام والتنسيق مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية. على المستوى العسكري، يجري التنسيق في دعم حركات المقاومة العربية من خلال العمل مع فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني. أما على الصعيد السياسي، تحول حزب الله بفعل وزنه المعنوي والسياسي في المحيط العربي إلى مرشد وموجه وشريك كامل في الإستراتيجيات السياسية لمحور المقاومة. إن كان حزب الله تابعاً لولاية الفقيه، إلا أن هذه التبعية هي بالمعنى الإيماني، حيث أنه على الصعيد العملي وبالإستناد لمقتضيات الحكمة والفعالية والتدبير فإن الإيرانيين يقرون لحزب الله بعمق درايته بالوضع العربي وقدرته على التأثير فيه أكثر من الأجهزة الرسمية الإيرانية.

٢. متى وكيف يبرز حزب الله إقليمياً؟

يرتكز جوهر هوية حزب الله على مفهومين أساسيين، المقاومة والإسلام الثوري أو الحركي. هذان المفهومان يشكلان أساس رؤية حزب الله لدوره على مستوى المنطقة. إلا أن هذه الرؤية حين تخرج إلى حيز الفعل فإنها لا تتحرك في فراغ بل تأخذ بعين الإعتبار العوامل المادية المختلفة، مثل موازين القوى والوضع المحلي اللبناني، بهدف الوصول إلى أفضل النتائج الممكنة. مثلاً، لطالما كان حزب الله مطالباً بتقديم إجابات حول مفهوم المواطنة والسيادة الوطنية والتقييد بنهاية الكيان اللبناني. وقد أثار خصومه إشكالية إمتلاكه للسلاح وقرار المقاومة ولاحقاً دوره خارج لبنان، كونها ممارسات تنتقص من سيادة الدولة. يجب الدكتور فضل الله، ومن وجهة نظره الشخصية، إلى أن الحزب يملأ فراغ السلطة بسبب عدم إكتمال تكوين وتشكل الدولة والفشل النسبي للنظام،

فالمقاومة تحركت ضمن هذا الفراغ وإستعادت «السيادة» الى الدولة العاجزة وذلك من خلال فكرة «الدفاع» عبر قوة لبنانية وليس خارجية. ويقر فضل الله أنه رغم هذا الإنجاز الوطني للمقاومة إلا أن الخلاف مستمر حول كيفية صياغة السياسات الدفاعية الوطنية بين اللبنانيين. ^(١) كما أن الحزب في خياراته الخارجية يقارب الأمور أيضاً من ناحية المصالح اللبنانية وإن اختلف معه خصومه في تشخيص تلك المصلحة.

إن دور حزب الله الإقليمي يرتبط برؤيته لذاته أولاً، ثم رؤيته للعالم، ثقافته الإستراتيجية، وكيفية تقديره للعوائد والتكاليف أي طبيعة عقلانيته. وبطبيعة الحال فإن أي دور سياسي لا بد أن يأخذ بعين الإعتبار القيود والحدود التي يمكن أن تواجه اللاعب السياسي أثناء حسم بدائله، أي مراعاة الظروف الموضوعية. فالقوة دائماً تعتمد على المحتوى التي تُمارس فيه، كما يشير جوزيف ناي مبتكر مفهوم «القوة الناعمة».

أ) محددات الدور الإقليمي لحزب الله

العناصر الأساسية المكونة لهوية حزب الله، أي الإسلام الثوري والمقاومة، تشكل مرتكزاً لدوره الإقليمي. فحزب الله هو حركة إيمانية جهادية قائمة على أساس ولاية الفقيه، ومن هذا المنطلق يصبح من الطبيعي أن لا يحرص حزب الله دوره في النطاق الوطني، ولكنه يبقى بحاجة لتكييف هذا الدور بما يتناسب مع القيود المحلية والضرورات الإقليمية وقدراته الذاتية.

(١) فضل الله، مرجع سابق

يؤمن حزب الله بمفهوم «الأمة الإسلامية» الواحدة، ولكنه لا يضع هذا الإيمان بالتناقض مع فكرة الوطن والدولة. إن هذا الإيمان بالأمة الإسلامية الواحدة يفترض تالياً الاعتقاد بوجود تجانس في المصالح وتماثل في التهديدات مما يفترض التشارك والتعاون في الجهد السياسي بين أعضاء هذه الأمة، لكن يبقى للحزب هامش فيما يخص الأسلوب. تزداد حتمية هذا الدور «الإسلامي» عند الإسلاميين الثوريين الحركيين الساعين الى تحدي المستكبرين وتغيير الوضع القائم، كما في حالة حزب الله. هنا تصبح مناصرة ودعم ومؤازرة إخوانه في الدين عند الضرورة واجباً شرعياً.

إنطلاقاً من ثورته الإسلامية، تسود في أدبيات حزب الله مصطلحات «المستضعفين» و «المستكبرين» حيث ينقسم العالم بينهما. إن معايير الاختلاف والنزاع والصراع في رؤية حزب الله ومنهجه «إنما تقوم على أساس سياسي - أخلاقي بالدرجة الأولى، بين مستكبر ومستضعف، وبين متسلط ومقهور، وبين متجبر محتل وطالب حرية واستقلال». وبناء عليه يصرح الحزب ببقاء «شعار وحدة المستضعفين أحد مرتكزات فكرنا السياسي في بناء فهمنا وعلاقتنا ومواقفنا تجاه القضايا الدولية». مما يجعل الحزب ينظر بكثير من الإهتمام والتقدير للتجربة الإستقلالية والتحررية الرافضة للهيمنة في دول أميركا اللاتينية. (١) وعليه فان هذه وحدة المستضعفين ووحدة الأمة الإسلامية هي من أسس شرعنة

(١) الوثيقة السياسية لحزب الله التي أعلنها الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله عام

٢٠٠٩. يمكن مراجعة نص الوثيقة عبر الرابط التالي:

<http://www.alahednews.com.lb/essaydetails.php?eid=٢٢٨٠٧&cid=١٤٤>

دور حزب الله الإقليمي بل وحتى خارج المنطقة كما حصل في حرب البوسنة بداية التسعينات.

من ناحية ثانية يتّمسّ حزب الله لمحور المقاومة في الشرق الأوسط. في الثقافة الإستراتيجية لحزب الله فإن الصراع في المنطقة هو صراع محاور، وقوة أي لاعب سياسي في المنطقة تُستمد وتُتأثر مباشرةً بالقوة النسبية للمحور الذي يتّمسّ إليه. إذا الصراع في المنطقة ليس صراعاً بين دول بل بين محورين، محور تقوده الولايات المتحدة في سبيل الهيمنة على المنطقة ونهبها وإستعبادها مقابل محور المقاومة الذي تتقدمه إيران. «لا مجال اليوم لقراءة أي صراع في أي منطقة من مناطق العالم إلاّ من منظار إستراتيجي عالمي، فالخطر الأميركي ليس خطراً محلياً أو مختصاً بمنطقة دون أخرى، وبالتالي فإنّ جبهة المواجهة لهذا الخطر الأميركي يجب أن تكون عالمية أيضاً»، يؤكّد حزب الله في وثيقته السياسية^(١)

إن إنتهاء حزب الله لمحور المقاومة إستجلب له عدوات من عناصر المحور الأميركي، لا سيما أن إنجازات حزب الله وما راكمه من قوة جعله محمداً أساسياً في قوة محوره، بعكس حال خصومه المحليين في قوى ١٤ آذار الذين يفتقدون لأي وزن لإقليمي وينحصر دورهم في تقييد وإستنزاف الحزب في الداخل اللبناني. هذا الحضور الوزن لحزب الله جعله عرضةً لإستهدافات دائمة سياسياً وإعلامياً، وإستخباراتياً وأمنياً سواء بشكل مباشر أو بالشراكة مع الأميركي.^(٢)

(١) الوثيقة السياسية لحزب الله، مرجع سابق

(٢) من امثلة ذلك ، دور هذه الأنظمة في دعم عدوان إسرائيل على الحزب عامي ١٩٩٦ و ٢٠٠٦. طرد اللبنانيين الشيعة من بعض دول الخليج للضغط على حزب الله، إستهداف الإستخبارات السعودية للعلامة السيد محمد حسين فضل الله خلال الثمانينات (مجزرة بئر العبد)، رعاية جبهة إعلامية

بمعنى آخر، إن مقاومة حزب الله للإحتلال الإسرائيلي قد إستجلبت له عداء بعض الأنظمة العربية التي ترى أنها في حلف مع الإسرائيليين تحت عباءة الولايات المتحدة الأميركية، هنا يصبح حزب الله بحاجة لدور إقليمي يحصنه من التهديدات والمخاطر الموجهة إليه لا سيما عندما يتورط خصومه المحليون في محاولات القضاء عليه.

لا يمكن إغفال أنه في السنوات التي تلت الإنسحاب الأميركي من العراق نجحت الولايات المتحدة في تحويل الصراع الى «حرب أهلية إسلامية» من خلال إبتعادها عن واجهة أحداث المنطقة والانتقال الى مفهوم «القيادة من الخلف» في إطار إستراتيجية إعادة التوضع التي إعتمدتها أوباما لتقليص الأضرار.^(١) وبناء على ذلك إنتقل حلفاء واشنطن الإقليميون نحو هامش أوسع من الإستقلالية الإقليمية مما أدى الى موجة من الفوضى، ظهور «تفسخ مصالح» داخل المحور الأميركي (قطر - تركيا - الإخوان بمقابل السعودية التي تجهد للتقارب مع إسرائيل بشكل علني)، توظيف أوسع للحركات التفكيرية، مذهبة أشمل لصراعات المنطقة، وإرتفاع في حدة المواجهة المباشرة بين حلفاء واشنطن ومحور المقاومة لا سيما في سوريا و ثم العراق. إن هذا التحول جعل من حزب الله في مهب الصراعات الإقليمية، وهو ما

ضخمة لإستهداف مشروعية الحزب وتشويه صورته، تقديم الدعم الكامل لخصوم حزب الله في الداخل لا سيما منذ العام ٢٠٠٥، ودعم جماعات إرهابية تكفيرية إستهدفت بيئة حزب الله في صيدا، بيروت والبقاع خلال عامي ٢٠١٣ - ٢٠١٤.

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة راجع: حسام مطر، سياسة واشنطن الخارجية: تحول تاريخي، جريدة الأخبار، العدد ١٥٩٤، ٢٤ كانون الأول ٢٠١١.

يسهم في تفسير توسع الدور الإقليمي للحزب مؤخراً. إلا أن هذين المرتكزين أي الإسلام الثوري والمقاومة يصلحان لتفسير المنطلق النظري لدور حزب الله الإقليمي، إلا أن انتقال هذا الدور من حيز القوة الى حيز الفعل يستند على عدة محددات أخرى. صحيح أن حزب الله لاعب عقائدي إلا أنه يجري حسابات إستراتيجية ولديه هامش واسع من العقلانية في خياراته كما أثبتت التجربة. يدرك حزب الله أنه بحاجة دائماً للموازنة بين أهدافه العقائدية وبين مقدراته المادية، وأنه لا يمكن لأي لاعب أن يمتلك القوة الكافية لتحقيق كل أهدافه السياسية ولذا لا بد من تحديد الأولويات وتوجيه الموارد المحدودة نحو تلك الأولويات بالتحديد. التفكير العقائدي لا يتحرك في فراغ بل محكوم بحقائق العالم الصعبة، بمحدودية الموارد، التنافس، وموازن القوة، الضغوط من داخل المنظمة وخارجها.

ما يميز «حزب الله» ليس فقط موارده المادية بل قدرته على تحويل تلك الموارد الى مخرجات سياسية تؤثر في توازنات الشرق الأوسط المكتظ بالقوى الدولية المتنافسة. تعود تلك «القدرة التحويلية» الى عنصرين أساسيين، الى «إستراتيجية» ذكية مستندة الى قراءة دقيقة «للحيز» الذي يدور فيه صراع القوة، وثانياً الى وجود قيادة واعية وشجاعة. وقد التفت الباحثون في مجال القوة، لا سيما مؤخراً، الى كون معيار القوة ليس في الموارد المادية المتاحة بل في فعالية القيادة والاستراتيجية التي تُجسّر بين الموارد (المدخلات) والنتائج المرجوة (المخرجات).^(١) هذه الميزة تجعل الأميركيين قلقين من إنتشار «نموذج حزب الله» أي قيام تنظيمات صغيرة نسبياً

(١) راجع مثلاً جوزيف ناي، مستقبل القوة، نيويورك: دار «الشؤون العامة»، ٢٠١١.

ذات مهارات عسكرية ومدنية عالية جداً في نقاط ذات ميزة إستراتيجية مهمة وتشرع في تحدي الولايات المتحدة وحلفائها كما في اليمن والعراق وأفغانستان وفلسطين، ومؤخراً سوريا.^(١)

إذاً عندما يقرر حزب الله التدخل عسكرياً في السياق الإقليمي بشكل مباشر فإن قراره يتوقف على عدة معايير:

أولاً: ضبط الأولويات، يخضع التدخل لسلم أولويات الحزب، وأولى هذه الأولويات هي حماية وتمتين وتحصين مشروع المقاومة في لبنان، ثم في المنطقة وخاصة في المشرق العربي حيث الساحة الأبرز لدور حزب الله الخارجي. هذه الأولوية تترجم من خلال محاولة منع إلحاق ضربة قاصمة بأي من أركان هذا المحور، أو الحد من مخاطر أي مشروع إستنزاف إستراتيجي كما الحال مع داعش. وأيضاً العمل بشكل دائم على تطوير نوعية وفعالية العمل المقاوم لدى عناصر هذا المحور، وهي مهمة دائمة في ظل سباق القوة والتمرس والتعلم ما بين المحورين. أولوية تحصين وحفظ المقاومة في دورها اللبناني يفرض أن تكون أدوارها الخارجية محكومة بالضرورة والترشيد.

ثانياً: الضرورة، أي أن خيار حزب الله في العمل خارج الحدود ليس الخيار الأول المفضل لحزب الله، بل أن الحزب مهتم بتركيز موارده نحو بناء توازن ردع وقوة بوجه الإسرائيلي وهي مهمة تستلزم عملاً دؤوباً ومتواصلاً، يضاف إليها حاجة حزب الله المستجدة للإنخراط أيضاً في المعترك السياسي المحلي الذي لطالما

(١) دانيال بليتكا وفريدريك كاغان، إيران بمواجهة أميركا: التنافس على مستقبل الشرق الأوسط،

فضَّل الإبتعاد عنه. إضطر حزب الله بفعل الإنسحاب السوري وإنكشاف الواقع اللبناني للدخول المحدود الى الحكومة، كما ان الحزب بحاجة لتقديم إجابات وحلول إقتصادية - إجتماعية أمام متطلبات الشريحة الشعبية التي يمثلها. ولكن ما هو معيار الضرورة؟ معيار الضرورة هو إستراتيجي بالمقام الأول أي أن يسهم ذلك الدور في درء مخاطر أساسية وداهمة على مشروع المقاومة بما يضمن الحفاظ على قوة رادعة لمحور المقاومة.

ثالثاً: الترشيح، أي التدخل ضمن الحدود الدنيا التي تستوجبها الحالة، من حيث المستوى والكيفية. لطالما إكتفى الحزب بأداء مهمات تدريبية، توجيهية، لوجستية ونقل خبرات، وهي مهمات تطلب مشاركة جزء ضئيل من أجهزة وكادر الحزب. من خلال هذا المبدأ يتفادى حزب الله مخاطر الإستنزاف، بالنهاية مهما بلغت قوة الحزب إلا أنه يبقى منظمة لقوتها حدود وتواجه تحديات كبرى ومستمرة.

رابعاً: المشروعية، كلما إحتل الحدث الإقليمي المحدد نقطة أقرب لجوهر مشروعية الحزب، مشروعيته العقائدية، القيادية، ومشروعية برنامجه ومشروعه وسرديته، فإن فرص التدخل تصبح أعلى. ولكن هذا المحدد ليس كافياً بذاته بل يمكن إعتباره عاملاً مساعداً أو وسيطاً، بمعنى أن دافع الحزب للتدخل في القضايا الإستراتيجية يتزايد متى إحتوت تلك القضايا على عنصر المشروعية هذا، كموضوع حماية المراقدين مثلاً.

ب) الحدود والقيود على دور حزب الله الإقليمي:

كل ممارسة للقوة لها حدودها الخاصة، كل محاولة توسع في النفوذ والسيطرة

يعني حتماً الإصدام بمصالح الآخرين ونفوذهم، وقبل ذلك كل محاولة لممارسة القوة تصطدم أولاً بحدود قوتك الذاتية لا سيما ندرة الموارد وتعقيدات البنية الداخلية وشرعية تلك الممارسة. لا تشذ محاولات حزب الله لممارسة نفوذ وأدوار إقليمية عن هذه الضوابط التي يمكن إيجازها ضمن: حجم موارد الحزب، ضغوط البيئة الحاضنة، مقتضيات الواقع المحلي اللبناني، طبيعة ميزان القوى الإقليمي - الدولي، حقائق الظروف الداخلية لساحة التدخل، وتهديد التوترات المذهبية.

على صعيد موارد حزب الله، فهي القيد الأول لأنها تحدد إلى حد بعيد إمكانية التأثير وحدوده في أي ملف إقليمي. رغم ما يمتلكه حزب الله من قوة - مادية وبشرية - إلا أنه يجب النظر إلى المقدار الذي يمكن توظيفه خارج الحدود من دون أن يستنزف حضوره في الجبهة الجنوبية. رغم حالة الهدوء النسبي في تلك الجبهة إلا أن الطرفين يواصلان العمل الدؤوب لمراكمة أسباب القوة للحفاظ على حالة توازن ردع وقوة تضمن عدم التعرض لهزيمة مستقبلية. وقد أبدى الحزب حرصاً واضحاً في مساره التاريخي بعدم الإنزلاق نحو مغامرات يمكن أن تستنزفه، بل حتى فضل أن يتعد عن السلطة أغلب الوقت كي لا ينغمس فيها على حساب المقاومة. إلا أنه بمرور الوقت ونتيجة تحصيل الحزب «فائض من القوة» بلحاظ الوضع المحلي، أصبح أكثر قدرة على توظيف موارد متزايدة وبفعالية أكبر في الوضع الإقليمي وبالتالي إرتفعت نسبة مشاركته في القوة النسبية لمحور المقاومة.

على صعيد البيئة الحاضنة، بالتحديد الشيعية، لا بد أن يكون تدخل الحزب

مقنعاً ومتسقاً مع برنامج الحزب وخطابه العقائدي والسياسي. تتعرض بيئة حزب الله لضغوط مستمرة لا سيما إقتصادياً في محاولة لعزلها عن خيارات الحزب، ضمن ما يمكن تصنيفه بإستراتيجية «تجفيف المستنقع». (١) تعمدت إسرائيل في حروبها ولا سيما عام ٢٠٠٦ إلحاق دمار كبير بالبنية التحتية والمباني بهدف الضغط على هذه البيئة، وقد إستكملت هذه المحاولة بحملة طرد وتهويل على شيعة لبنان في المهجر عبر دول خليجية (الإمارات، السعودية، وقطر) وكذلك بعض الدول الأفريقية. بالإضافة الى دور الولايات المتحدة في سن إجراءات قانونية لملاحقة مشبوهين بالعلاقة المالية مع الحزب تحت عذر «مكافحة الإرهاب». بذات السياق حاولت المجموعات الإجرامية التكفيرية القادمة من سوريا ممارسة الإرهاب على هذه البيئة بسلسلة من التفجيرات لإضعاف موقف حزب الله أمام جمهوره بخصوص دوره في سوريا. هذا الواقع حفز حساسية الحزب تجاه أي خطوط تفسخ قد تظهر بينه وبين حاضنته الشعبية، وهذا ما يبرز من خلال جهوده المتقدمة والكثيفة في الإتصال والتواصل الدائم مع هذه البيئة.

عادة ما يتولى الأمين العام السيد حسن نصر الله التواصل مع الجمهور من خلال نمط خطابي مبرمج، واضح، مخطط، سلس ومدعم بالأدلة والشواهد حول شرعية وضرورة وجدوى سياسات الحزب. إلا أن الحزب يتواصل بشكل شبه يومي مع جمهوره سواء من خلال لقاءات سياسية داخل المدن والقرى حيث

(١) راجع لمزيد من التفصيل ، حسام مطر، الإستراتيجية الأميركية الذكية لمواجهة حزب الله، المركز

تكون مناسبة أيضاً للإستماع للجمهور، أو إطلاالات مسؤولي الحزب في المناسبات الدينية والإجتماعية والسياسية على منابر الخطابة في المناطق الشيعية. يضاف إلى كل هذا جهود الجهاز الحزبي المعني بالطلاب، المهن الحرة، العمل الإجتماعي والثقافي، والعلاقات الإعلامية وغيرها من التواصل مع الشرائح المتخصصة بها. والأبرز هو الجهاز الإعلامي - الدعائي للحزب سواء عبر الإعلام التقليدي (المرئي والمسموع) أو الإعلام الحديث (التواصل الإجتماعي - مواقع إلكترونية) والتي خصص لها الحزب وحدة خاصة بشكل مستقل منذ العام ٢٠٠٩ ويواصل تحديثها وتوسعتها بشكل دائم.

بحسب ما تبرز إستطلاعات الرأي ونتائج الإنتخابات النيابية تمكن الحزب من الحفاظ بشكل شبه تام، بالتحالف مع حركة أمل، على تأييد بيئته الشيعية بنسب تقارب ٩٠٪. إلا أن حجم الضغوط الإعلامية - النفسية الموجهة نحو بيئة الحزب تجعله وعند كل إستحقاق حريصاً على التواصل معها بالمنطق والعاطفة. هنا ينبغي الإشارة أن الرأي العام الشيعي لا يقود حزب الله ولا يدفعه نحو القيام بعمل ما، بل بالأغلب قد يكون عاملاً مانعاً للتدخل ما أو مقيداً لحدوده.

ثالثاً: الظروف الداخلية لساحة التدخل أي الحساسيات المحلية، مستوى التناقضات، مدى شرعية الحكومة المركزية، مستوى الإستقرار الأمني، التركيبة الإجتماعية - الثقافية، موقعها الجيو - إستراتيجي، وتوازنات القوى المحلية. كل هذه العوامل قد تشكل حدوداً أو تقدم فرصاً للتدخل. التدخل على جانب الحكومة أو بالتوافق معها أو رضاها الضمني أسهل من العمل مع خصومها، مثل دور حزب الله في سوريا أو دعم بعض التنظيمات العراقية بمواجهة داعش

بالخبرة والتخطيط والتدريب. فيما عانى حزب الله من موقف الحكومة المصرية في محاولته التواصل مع المقاومة الفلسطينية في غزة. موقف السكان المحليين من دور الحزب وطبيعة إنقساماتهم أيضاً أساسية، مثلاً رغم إعتقال أحد كوادر الحزب في مصر بسبب نقله السلاح لغزة، إلا أن موقف الشعب المصري الإيجابي في أغلبه من هكذا خطوة وضعت الحزب في موقف أفضل.

من هذا المنطلق يتوجس الحزب من التدخل في الشؤون والخلافات الداخلية لدول المنطقة ويفترض أن شعوب تلك الدول هي الأقدر على حل مشاكلها. وللتأكيد على هذا الأمر، يشير الدكتور فضل الله الى دعوة السيد نصر الله عام ١٩٩٧ القوى الإسلامية للمصالحة مع الأنظمة العربية القائمة على قاعدة المقاومة، كإشارة من الحزب أنه لن يكون جزءاً من الخلافات العربية الداخلية.^(١)

وبما أن الرأي العام الإقليمي أصبح تقريباً رأياً عاماً واحداً بسبب ثورة الإعلام والاتصالات، فإن الحزب يهتم ليس فقط بموقف الرأي العام للبلد المعني بل بالرأي العام الإقليمي ككل. كما ذكرنا سلفاً، لا يتجاهل الحزب الرأي العام ولكنه يضع إعتباراته العقائدية - الإستراتيجية أولاً لا سيما في حالات الضرورة. مثلاً، يمكن العودة لموقف حزب الله قبيل الإجتياح الأميركي للعراق حيث دعا لتسوية ما بين نظام صدام بكل موبقاته ومفاسده وبين المعارضة والوقوف بوجه الغزو، مما أثار ردود فعل شيعية رافضة وغاضبة. أيضاً تدخل الحزب في الحرب السورية جاء مخالفاً لأغلب المزاج الشعبي العربي بسبب

(١) فضل الله، مرجع سابق

الشحن المذهبي، إلا ان الحزب يرى أن الوقائع والحقائق الموضوعية هي الأحق والأولى أن تُتبع وليس تقلبات الجماهير ولكن من دون تجاهلها. في المثليين المذكورين واضب الحزب على محاولة شرح وتفسير موقفه مراناً على أن يظهر الزمن وتطور الأحداث صوابية موقفه بالأساس.

رابعاً: النظر الى متطلبات وهواجس النسيج اللبناني وإحتياجات النظام السياسي لا سيما أن الحزب هو مكون من مكونات الدولة من جهة تحمله مسؤولية المقاومة، وقد زادت هذه الضغوط بعد دخوله الى الحكومة اللبنانية عام ٢٠٠٥. يفاقم من هذا القيد، ضغوط الخصوم المحليين أي تحالف قوى ١٤ آذار المحسوب على الولايات المتحدة والسعودية. وهو تحالف تشكّل عقب إغتيال الرئيس رفيق الحريري والانسحاب السوري عام ٢٠٠٥، ومذ حينها تكرر حال من الانقسام الوطني بين قطبي ٨ و ١٤ آذار حيث لكل إمتداده في المحاور الإقليمية. تحتل هذه الضغوط مرتبة متقدمة في حسابات حزب الله لأنها تنعكس في واقع الرأي العام المحلي.

يُدرّك خصوم حزب الله المحليون أنهم عاجزون عن «نزع سلاحه» كما طمحووا في الفترة الأولى من ظهور قوى ١٤ آذار متمسكين بالقرار الدولي ١٥٥٩ الصادر عن مجلس الأمن، بالانسحاب السوري، بالحرب الإسرائيلية ٢٠٠٦، وبالتوتر المذهبي وصولاً إلى أحداث ٧ أيار ٢٠٠٨. (١) منذ حينها إنتقل دور ١٤

(١) في ٥ أيار ٢٠٠٨ أصدرت حكومة فؤاد السنيورة التي فقدت ميثاقيتها ودستوريتها بإستقالة الوزراء الشيعة منها قرارين، أحدهما يستهدف شبكة الخطوط السلوكية للمقاومة ومحاسبة المسؤولين عنها. على إثر ذلك إندلعت إشتباكات مسلحة في بيروت بين مناصري ٨ آذار (حزب الله بشكل أساسي)

آذار لمحاولة تعميق الشرخ المحلي حول المقاومة، إستنزاف حزب الله سياسياً ومعنوياً، تقييد خياراته من خلال زيادة الإنقسام الداخلي حوله، ومحاولة عزله عن محور المقاومة من خلال حجج من قبيل، إنتهاك السيادة اللبنانية، الدولة داخل الدولة، إستدعاء العداء العربي والدولي تجاه لبنان، العمل وكالة عن إيران، الإلتباع الأعمى لولاية الفقيه، الإضرار بمصالح الشيعة في المهجر، وإستدعاء الحرب الإسرائيلية وتدمير لبنان.

إستخدمت هذه الحجج لتقليص التأييد الشعبي لحزب الله لا سيما داخل الوسط المسيحي بما ينعكس في الإنتخابات النيابية وبالتالي الرئاسية وتشكيل الحكومة. طمحت قوى ١٤ آذار الى إخراج حزب الله من الحكومة لتكريس كونه ميليشيا خارجة عن شرعية الحكومة المركزية. إلا ان الحزب نجح في بناء تحالف داخلي قوي غير قابل للإقصاء رغم أنه وحلفاءه لم يحصلوا على أغلبية المقاعد في الإنتخابات النيابية الأخيرة (٢٠٠٩) بفعل طبيعة قانون الإنتخاب اللبناني، إذا أن قوى ٨ آذار حصدت ما يزيد عن ٢٠٠ الف صوت مقارنة ب قوى ١٤ آذار، إلا أن تقسيم الدوائر منح الأخيرة عدد مقاعد أكبر. من هنا يبدي حزب الله حرصاً على عدم إخراج حلفاءه المحليين قدر المستطاع.

وتيار المستقبل، وخلال ٢٤ ساعة حسم حزب الله المواجهة وسيطر على اغلب مراكز تيار المستقبل في بيروت وسلمها للجيش اللبناني وتعطلت الحياة في بيروت. على إثر ذلك جرت وساطة قطرية ومؤتمر في الدوحة خلال أيام وجرت تسوية سياسية تضمنت إستقالة حكومة السنيورة وتأييف حكومة جديدة متوازنة وانتخاب رئيس جمهورية بعد شغور الرئاسة إثر نهاية ولاية الرئيس إميل لحود. أفرزت هذه المواجهة إدراكاً من قوى ١٤ آذار بإستحالة الصدام المسلح مع حزب الله وان حلفاءهم الإقليميين والدوليين ليسوا بوارد الدخول في هكذا مقامرة.

خامساً: ميزان القوى الإقليمي - الدولي. إن دور حزب الله الإقليمي يجب إن يتحسب لردود الفعل الإقليمية - الدولية ونتائج تلك الردود ومداهها. بالعودة الى مفهوم «توازن القوى» فإن كل دور لحزب الله يؤدي لتغيير في ميزان القوى الإقليمي سيدفع بالضرورة أولئك الخصوم نحو إجراءات لتعديل ذلك الميزان إما من داخل الساحة المستهدفة وإما من خارجها من خلال توسعة إطار الصراع. وعليه، إن الخوض في الحقل الإقليمي يجب أن يستند على قراءة دقيقة لميزان القوى وخيارات الخصوم الإقليميين والدوليين. وهذه الحسابات لا يمكن لأي من عناصر المحورين (المحور المتناسك والمحور المنقسم) أن يجريها بشكل مستقل بعيداً عن مجمل التوازن الإقليمي وهو ما يحتم درجة أعلى من التنسيق والتشاور والعمل المشترك داخل كل محور.

سادساً: تحدي صعود التوترات المذهبية. يحتل هذا الهاجس مكانة متقدمة في تقدير حزب الله لدوره الخارجي، نظراً لتصنيف الحزب للفتنة المذهبية كأحد المخاطر الكبرى على مشروع المقاومة وبالتالي مستقبل الأمة. سعى حزب الله محلياً وإقليمياً ومن خلال التعاون مع الجمهورية الإسلامية إلى إيجاد عدة منصات ومنابر وآليات للحث وتمتين الوحدة بين المسلمين على أسس دينية وسياسية. إلا أن السنوات الأخيرة التي تلت اجتياح العراق والحرب في سوريا قد شهدت فورةً مذهبيةً تحرق نيرانها المشرق العربي، أو بالتحديد ما أُطلق عليه سابقاً «الهلال الشيعي». تمكن جهاز الدعاية الوهابي الضخم من تعويم التصورات المذهبية لأزمات المنطقة لا سيما في لبنان، سوريا والعراق، مدعماً ذلك بالعنف التكفيري.^(١)

(١) أخير بندر بن سلطان ومسؤولون سعوديون نظرائهم الأميركيين أنهم قادرون على دفع مجموعات

يسهل على حزب الله التدخل في القضايا التي يقع الصراع فيها خارج الإطار المذهبي، مثل دعم حركات المقاومة، بعكس الحال في الصراعات الداخلية ولا سيما عندما يمكن أن تحتل صبغة مذهبية. مثلاً كان موقف حزب الله من الأحداث في البحرين، السعودية، والعراق شديد الحذر والتحفظ. ففي الحالتين الأولتين شجع حزب الله المعارضة الشيعية على الحوار مع النظام السعودي والبحريني والإكتفاء بمطلب الإصلاح - لا تغيير النظام - وحض على الاعتراض السلمي وعدم اللجوء للعنف، بالرغم من كل مفاسد ومظالم هذين النظامين. إن أحد العناصر المؤسسة لموقف الحزب هو قلقه من تطور الخلاف نحو مواجهة مذهبية دامية. حتى في الحالة السورية، إن تردد الحزب لأكثر من سنة ونصف قبل التدخل في الميدان السوري رغم وضوح المآلات بعد الأشهر الأولى، كان أيضاً متأثراً بالحساسيات المذهبية التي حرصت القوى المعادية للنظام السوري على إثارتها منذ بداية الأزمة.

بناءً عليه، يشير الدكتور فضل الله الى أن للحزب اليوم مصلحة هامة بالحفاظ والدفاع عن التنوع داخل المنطقة، فالقضاء على هذا التنوع هو تحدي جديد يشكل خطراً على حزب الله وبيئته وعلى لبنان ومشروع المقاومة والحضور الإسلامي في المنطقة والعالم^(١)، وإنطلاقاً من هذه المقولة، يصبح من الممكن ان نفهم سعي حزب الله اليوم للدفاع عن هذا التنوع داخل المنطقة الذي من دونه

إرهابية لشن هجمات ضد إيران، حزب الله ، سوريا، والعراق كما ورد في مقالة سيمور هيرش، إعادة التوجيه، جريدة الأخبار، العدد ١٦٢، ٢٦ شباط ٢٠٠٧، متوفر على الرابط التالي:

<http://www.akhbar.com/node/١٣١١٣٥>

(١) فضل الله، مرجع سابق

ستخسر البيئة الحاضنة لخيار المقاومة جزءاً من إتساعها واستقرارها، من هذا المنطلق للحزب أيضاً مصلحة واضحة في ترميم العلاقات الإسلامية - الإسلامية، كجزء أساسي من سياسته الإقليمية والتي ينبغي ان تنعكس بدرجة اولى تبريداً في الداخل اللبناني.

أثبتت تجربة حزب الله أنه حزب «عقلاني» بمعنى أنه يحتسب أعباء وعوائد كل البدائل الممكنة لتحديد الأفضل بينها. هنا يشير الدكتور فضل الله، الى أن الحزب يحتسب الأعباء والعوائد على أساس آني \ تكتيكي وإستراتيجي \ بعيد الأمد، ولذا قد يرتضي أحياناً تحمل خسائر آنية لتحصيل مكاسب لاحقة ستظهر في الأمد البعيد. ^(١) بالتأكيد لا يوجد لاعب سياسي بعقلانية تامة بسبب النقص في المعلومات، الإنفعالات العاطفية، التنافس وموازن القوى الداخلية، غياب التجارب السابقة، والضغوطات الإيديولوجية. عقلانية حزب الله ليست معزولة عن عقائديته، بل أن قواعد الفقه السياسي الإسلامي تتيح له هامش من المناورة تحت عناوين الضرورات، درء المفاسد، التزاحم بين الأولويات، حفظ مصلحة الإسلام وسواها. ليس القصد هنا أن عقلانية الحزب خاضعة لموازن مادية فقط، بل تتدخل المبادئ العقائدية في فهم وتفسير الأحداث والمصالح المادية وتحديد وزنها وترتيبها وتصنيفها، وأيضاً تجعل من الحزب متقبلاً لبعض الأعباء المفترضة أكثر من سواها.

أحد أهم التحديات التي قد تواجه خيارات الحزب الإقليمية هي القضايا التي قد تبدو فيها قيم الحزب في تعارض مع مصالحه، أو تلك التي تراها

(١) المرجع السابق

مجموعات من الرأي العام بهذا النحو. يجهد الحزب للحفاظ على صورته كحزب عقائدي قيمى، ولكنه في ذات الوقت لا يتنكر للوقائع المادية ما يدفعه أحياناً لتسويات لحفظ الأولى فالأولى، ورأس أولوياته هي المقاومة. وأبرز أمثلة ذلك هي في الإطار السياسي اللبناني الداخلي. نخلص الى أن قرار حزب الله في الشأن الإقليمي يتأثر بجملة من المحددات والخوافر الذاتية والموضوعية مع الأخذ بعين الاعتبار القيود والحدود الحاضرة في كل قضية.

٣.دراسة حالة : الحرب السورية:



(١) Figure مؤسسه دراسة الحرب: خريطة تظهر تداخل الحدود السورية اللبنانية

أ) حزب الله والأزمة السورية: التحدي الإستراتيجي

شكل إندلاع الأزمة في سوريا التحدي الأبرز لحزب الله في التحولات

العربية، كون النظام هو حليف إستراتيجي للمقاومة فضلاً عن التماس الجغرافي، فسوريا هي مرتكز أساسي في محور المقاومة وتؤمن عمق إستراتيجي لها وطريق إمداد وداعم سياسي في المنطقة. لذلك ومنذ الأيام الأولى لإندلاع الأحداث سارع بعض المحللين الأميركيين للحديث عن الفرصة التاريخية للإنقضاض على سوريا لإخراجها من محور المقاومة «ولإحداث تغيير في البلد الذي يتحالف بشكل مستمر ضد واشنطن».^(١)

وفور إنطلاق التظاهرات في بعض المناطق في منتصف آذار ٢٠١١، بادر بعض المعارضين السوريين ومعهم وسائل إعلام عربية الى إتهام الحزب بإرسال مقاتلين الى سوريا لقمع الإحتجاجات وقتل المدنيين، قبل أن يكون الحزب قد ادلى بأي موقف تجاه الأحداث.^(٢) كان موقف الحزب في البداية بأن للمتظاهرين مطالب محقة يمكن النظر إليها من خلال الحوار والإبتعاد عن العنف، وقد كشف السيد نصر الله في وقت لاحق بأن الحزب حاول القيام بوساطة بين الطرفين ولكن المعارضة رفضت ذلك بإصرارها على إسقاط النظام.^(٣) وبعد

(١) اندرو تابلر، الإنعطافة السورية، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، ١٥ آذار ٢٠١١

(٢) مثلاً، في الأسبوع الأول للأزمة، إدعى المعارض مأمون الحمصي عبر مداخلة على قناة العربية أن آلاف العناصر من حزب الله دخلوا مسجد بني أمية الكبير في دمشق وضربوا المتظاهرين بالعصي والسكاكين. ورداً على ذلك اتصل مسؤول العلاقات العامة للحزب بالقناة نافية التهم جملة وتفصيلاً. بعد ان كررتها القناة لأيام عدة.

(٣) وقد أعلن السيد نصر الله أكثر من مرة أنه تحدث مع الأسد شخصياً منذ لداية الأزمة حول الإصلاح والحوار مع المعارضة وكان الأسد متجاوباً ولكن المعارضة رفضت الحوار، أنظر مثلاً

خطاب السيد نصر الله بمناسبة عيد المقاومة والتحرير في ٢٥/٥/٢٠١٣

شهرين من بداية الازمة اكد الحزب أن موقفه من اي تحرك شعبي يستند الى شرطين، هما بحسب السيد نصر الله^(١):

أولاً، موقف وموقع هذا النظام العربي من مسألة الصراع العربي الإسرائيلي ودوره في قضية الأمة المركزية فلسطين، وثانياً عدم وجود أي أفق وأمل في الإصلاح على المستوى الداخلي. وعليه «وإنطلاقاً من هاتين الحثيتين نحن نتخذ موقفنا، نحن معاييرنا واضحة، مكيالنا واضح، لا نكيل بمكيالين، وليست لنا معايير متفاوتة». ثم حدد السيد بشكل خاص منطلقات موقف الحزب من ما يجري في سوريا: دعم سوريا للبنان والمقاومة والقضية الفلسطينية، موقف سوريا من المشروع الأميركي وإسرائيل، إنعكاس ما يجري في سوريا على لبنان، مقررات إتفاق الطائف بخصوص العلاقة مع سوريا، والأهم أنه لا زالت هناك أغلبية شعبية واضحة داعمة للنظام. وبناء على هذه المنطلقات، أكد السيد على وجوب الحرص على سوريا نظاماً وشعباً وجيشاً، ودعا السوريين لإعطاء فرصة للقيادة للقيام بالإصلاحات عبر الحوار، وأن لا يتدخل اللبنانيون بالصراع إلا إيجاباً إن امكن، وثم رفض العقوبات الغربية على سوريا.

ومع تمادي الأزمة أكد الحزب على مواقفه هذه إلا ان مسار الأحداث كان يشهد إتجاهين متعاكسين، إذ كلما ابدى النظام إيجابية في الإصلاح والإستجابة للمبادرات الخارجية كانت المعارضة تميل اكثر نحو التسلح والعنف ورفض أي دعوة للحوار والإرتباط بالخارج وإستعمال خطاب مذهبي معادي للمقاومة. يعود سبب ذلك الى تمكن الولايات المتحدة والخليجين والأتراك من التأثير

(١) خطاب السيد نصرالله بمناسبة عيد المقاومة والتحرير في ٢٥ - ٥ - ٢٠١٣.

بمرور الوقت على شرائح متزايدة من المعارضة عبر المال والتسليح والإعلام التحريضي الى درجة انخرطت معظم المعارضة الخارجية بالكامل في بالأجندة الأميركية. بل ان إتصالات ولقاءات علنية جمعت جهات وشخصيات معارضة مع دبلوماسيين وإعلاميين إسرائيليين كانت تكشف الإتجاهات السياسية للمعارضة السورية لا سيما الخارجية منها.^(١) إلا أن معارضة الداخل وخصوصاً ما يعرف بهيئة التنسيق الوطنية حافظت على مواقف مستقلة رافضة للتدخل الأجنبي وإستعمال العنف من طرفي الأزمة مؤكدة على الحفاظ على موقع سوريا في مشروع المقاومة.^(٢)

(ب) حزب الله في سوريا:

نقطة تحول:

إستمر موقف حزب الله بعد مرور اكثر من سنة ونصف على حاله، وحاول خلال هذه الفترة تحييد لبنان عن تداعيات الانفجار السوري، وعليه تفهم الحزب مبدأ «النأي بالنفس» الذي اقرته حكومة ميقاتي التي كان جزءاً منها.

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة راجع مثلاً: فاطمة سلامة، "المعارضة" السورية اليد الخفية "لإسرائيل" في سوريا، موقع العهد الإخباري، ١٢\٦\٢٠١٣، متوفر عبر الرابط التالي:

<http://www.alahednews.com.lb>

(٢) هيئة التنسيق الوطنية جماعة سورية معارضة تتألف من عدة أحزاب سياسية وشخصيات معارضة مستقلة من داخل سورية وخارجها، تعتبر هيئة التنسيق الوطنية من أهم أقطاب المعارضة السورية تأسست الهيئة في ٦ تشرين الأول عام ٢٠١١. تضم الهيئة شخصيات سورية بارزة أهمهم هيثم مناع وحسن عبد العظيم، وتجمع حزب الله علاقة وثيقة بكثير من شخصيات الهيئة منذ ما قبل الأزمة وهو ما يساهم في وجود خطوط تواصل بين الطرفين وتقبل متبادل.

وإقتضى هذا المفهوم بأن لا يكون لبنان ممراً او موقفاً للسلاح والمقاتلين الى سوريا، وأن لا يتخذ لبنان موقفاً إشكالياً في المحافل الدولية والإقليمية بشأن الأزمة السورية. ولكن رغم الإلتزام الرسمي النسبي بهذا المبدأ إلا ان القوى السياسة المعادية لسوريا (قوى ١٤ آذار وحركات سلفية) إستمرت بتهريب السلاح والمقاتلين من لبنان الى الداخل السوري طوال فترة الأزمة.^(١)

إزدادت شراسة الحملة الإعلامية على الحزب مع تفاقم الأزمة بشكل غير مسبوق عبر عشرات الفضائيات (الجزيرة والعربية بشكل خاص) والصحف والمواقع الإلكترونية، التي ركزت على إعطاء صبغة مذهبية للصراع وإتهام حزب الله بإرسال قوات لقتال المعارضة ومساندة قوات الجيش السوري. مع الوقت ظهرت قضية المقاتلين التكفيريين والأجانب الى جانب المعارضة السورية وهو ما شكل تحولاً بارزاً في الأزمة، وترافق ذلك مع قيام هذه الجماعات بمجازر مروعة بحق مؤيدي النظام والأقليات الدينية. فضلاً عن خطف أحد عشر لبنانياً مسلماً شيعياً قادمين من زيارة الاماكن المقدسة عند الحدود التركية وجرى إستخدام القضية لإستفزاز وإبتزاز الحزب وبيئته الشعبية.

ثم برز تطوران خطيران خلال الأشهر الأخيرة، الأول محاولة الجماعات المتشددة مهاجمة المقامات المقدسة الشيعية في دمشق مما أنتج إحتقاناً مذهبياً في كل المنطقة. والثاني قيام مجموعات من المعارضة السورية بمهاجمة قرى لبنانية داخل الأراضي السورية يسكنها شيعة ومسيحيون بالتحديد، ومحاولة القيام بعمليات

(١) أشهر هذه المحاولات هو ضبط السلطات اللبنانية لسفينة (سفينة لطف الله ٢) محملة بأطنان من الذخيرة في مرفأ طرابلس شمال لبنان كان يزعم تهريبها الى المعارضة المسلحة في الداخل السوري.

تطهير جماعية في هذه المناطق. ^(١) هذه القرى اللبنانية تواجد بين سكانها عناصر ومؤيدون لحزب الله وفي ظل تعرضهم للهجمات قام حزب الله بدعم المتطوعين لحمايتهم من الهجمات في ظل عجز الدولة اللبنانية عن القيام بذلك رغم انه دعا الدولة اكثر من مرة للتحرك لحماية هؤلاء المواطنين. بالتوازي بدأت مناطق المقامات الدينية في الشام تشهد تواجداً محدوداً لمقاتلين مدعومين من الحزب، وذلك بالنظر الى القيمة الدينية والوجدانية لهذه المقدسات والخوف من الفتنة الكبرى التي ستنشأ إن نجح المتشددون بالتعرض لها، كما قال السيد نصر الله. ^(٢)

شكل خطاب الثلاثون من نيسان ٢٠١٣ مفصلاً أساسياً في موقف الحزب من الأزمة السورية إذ أعلن السيد نصر الله أنه «خلال عامين وما حصل فيها من أحداث ومواقف دولية واميركية وأوروبية واسرائيلية واقليمية ومعارضة سورية وغيرها، وصلنا الى استنتاج قاطع هو أن الهدف مما يجري في سوريا لم يعد فقط إخراجها من محور المقاومة كما قلنا في البداية... بل الهدف وبشكل قاطع هو تدمير سوريا كدولة وشعب ومجتمع وجيش». وقال بشكل واضح «إن لسوريا في المنطقة والعالم اصدقاء حقيقيين لن يسمحوا لها ان تسقط بيد اميركا واسرائيل او الجماعات التكفيرية، وهذه معلومات وليس تكهنات». ^(٣) وكان سبق الخطاب

(١) تعرض السيد نصر الله لهذه النقطة في خطاب متلفز بتاريخ ٢٨ - ٢ - ٢٠١٣، طالباً من الدولة اللبنانية الطلب من الدول الداعمة للمسلحين مثل السعودية وقطر ان تتدخل لمنع المسلحين من مهاجمة هذه القرى.

(٢) أعلن السيد نصر الله عن هذه الخطوات في خطاب متلفز بتاريخ ٣٠ - ٤ - ٢٠١٣

(٣) خطاب السيد نصر الله بمناسبة اليوبيل الفضي لإذاعة النور بتاريخ ٩ أيار ٢٠١٣

لقاء للسيد مع مساعد وزير الخارجية الروسي السيد بوغدانوف في ظل تصاعد التنسيق والتعاون بشكل ملحوظ بين روسيا وحزب الله من باب الأزمّة السورية بالتحديد.^(١)

وبعد الخطاب بأيام شن الطيران الإسرائيلي هجوماً جويّاً على عدة أهداف داخل دمشق للمرة الثانية في ظل الأزمّة، وهو ما عده حزب الله دليلاً إضافياً على طبيعة المعركة في سوريا. ولاحقاً في مناسبة عيد التحرير في ٢٥ أيار ٢٠١٣ أعلن السيد نصر الله أنه «لم تعد القضية مسألة شعب نائر على نظام وليس موضوع اصلاحات... نحن نعتبر أن سيطرة الجماعات المسلحة على سورية أو على محافظات سورية محددة وخصوصاً تلك المحاذية للبنان هي خطر كبير على لبنان وعلى كل اللبنانيين». وأضاف السيد نصر الله أن «سورية ظهر المقاومة وسندها والمقاومة لا تستطيع ان تقف مكتوفة الايدي ويكشف ظهرها ويكسر سندها والآن نكون أغبياء»، لأنه حينها ستدخل إسرائيل الى لبنان وتفرض شروطها. عند هذه المرحلة أعلن الحزب ان المعركة في سوريا هي معركته وستواجه فيها «بقدر ما يستطيع وأينما كان ضرورياً»^(٢).

بعد هذا الخطاب مباشرة تمكن الجيش السوري بمؤازرة حزب الله من إستعادة مدينة القصير وكامل ريفها على الحدود اللبنانية حارماً المسلحين من

(١) بتاريخ ١٩ تشرين الأول ٢٠١١ قام وفد من حزب الله برئاسة رئيس كتلته النيابية محمد رعد بزيارة موسكو لمدة ثلاثة أيام التقى خلالها كبار المسؤولين في مجلس الدوما والحكومة الروسية، بالإضافة للقاءات الدورية بين مسؤولي الحزب والسفير الروسي في بيروت.

(٢) خطاب السيد نصر الله بمناسبة عيد المقاومة والتحرير في ٢٥\٥\٢٠٠٥، متوفر عبر الرابط

التالي: <http://www.almanar.com.lb/english/adetails.php>

نقطة إرتكاز أساسية وممر حيوي لتهريب السلاح من لبنان. ^(١) فتحت معركة القصير المجال لتحول ميداني كامل داخل سوريا، لا سيما من خلال فتح المجال للسيطرة على محافظة حمص وتأمين خطوط المواصلات بين العاصمة والساحل السوري. إمتلك حمص أهمية خاصة في إستراتيجية المعارضة، وذلك لعزل العاصمة عن الساحل و ثم ممارسة ضغوط ميدانية ونفسية على قيادة النظام في دمشق للتلاعب به وإقناعه بعدم إمكانية حماية العاصمة وبالتالي دفعه للجوء الى خيار «أهون الشرين» والانتقال نحو الساحل لإقامة دويلة علوية، فتسقط العاصمة من دون قتال.

إذا وبمرور الوقت تدرج موقف حزب الله تجاه الأزمة السورية بفعل تبلور صورة الصراع وماهية اللاعبين وأهدافهم، هذا التدرج بدأ من الموقف السياسي، الحوض على الحوار، تقديم آراء إستشارية، التدريب والتخطيط والتنظيم (خاصة اللجان الشعبية والدفاع الوطني أي الوقات غير النظامية التي تمحورت مهامها حول تثبيت المواقع وحفظ الأمن)، وصولاً الى المشاركة العلنية والمباشرة في الجهد الميداني حيث أصبح الحزب جزءاً أساسياً من المعادلة الميدانية.

ج) النجاح: صهر المنظومة الشمالية:

شكل دور حزب الله تحولاً ميدانياً كاملاً، إذ ان المسار العام للحرب منذ حينها يسير في صالح الدولة السورية. تذهب معظم التقديرات أن الحزب شارك

(١) لمزيد من التوسعة راجع:

Marisa Sullivan, *Hezbollah in Syria*, Institute for the Study of War, Middle East Security Report ١٩, April ٢٠١٤

ببضع الاف من مقاتليه من وحدات النخبة، ولكن تأثيرهم في الميدان كان مضاعفاً نظراً لما إمتلكوه من قدرات مهارية، تكتيكية وعملائية عالية جداً. تركزت مشاركة الحزب في المناطق المحاذية للحدود اللبنانية في القصر، حمص والقلمون، إضافة الى مناطق ريف دمشق لا سيما المحاذية لمقام السيدة زينب عليها السلام. خلال عامي ٢٠١٣ والنصف الأول من ٢٠١٤ تمكن الحزب منفرداً أو بدعم من الجهات السورية من تأمين الغالبية العظمى من الحدود اللبنانية السورية. كان لهذه الإنجازات عدة تداعيات، حرمان المعارضة المسلحة من أبرز خطوط إمدادها وقواعدها الخلفية، السيطرة على قواعد وخطوط إنتقال الإنتحارين والسيارات المفخخة الى لبنان، ضمان خط المواصلات بين العاصمة والساحل السوري بعد تأمين محافظة حمص، عزل المسلحين في غوطة دمشق، ضمان أمن القرى الحدودية اللبنانية من هجمات داعش والنصرة، وتأمين خطوط إمداد السلاح من سوريا للمقاومة.

كما تمكن محور المقاومة ككل من تحقيق توازن ردع بوجه أي تورط غربي مباشر لمساندة المعارضة في إسقاط النظام. بالرغم من تهديدات أوباما بشن هجوم جوي على سوريا بذريعة إستخدام النظام للسلاح الكيميائي^(١) وتجاوزه الخط الأحمر بهذا الشأن. ورغم ما تعرض له أوباما من ضغوط سعودية - فرنسية - تركية - إسرائيلية للإنجرار نحو هذه المغامرة إلا أنه بالنهاية رضي بتسوية تقتضي تسليم

(١) تبين لاحقاً وحسب عدة تقارير أن مجموعات من المعارضة المسلحة هي المسؤولة عن ذلك الهجوم، بما يطرح أكثر من فرضية على طاولة البحث، راجع مثلاً:

Seymour M. Hersh, The Red Line and the Rat Line, London review of books, Vol. ٣٦ No. ٨٠ ١٧ April ٢٠١٤, pp. ٢١ - ٢٤

الكيميائي السوري مقابل الإمتناع عن الهجوم ودفع المعارضة نحو مؤتمر جينيف ٢، أي بمعنى آخر إنهاء مطلب إسقاط النظام. ولاحقاً عقد مؤتمر جينيف ٢ (كانون الثاني ٢٠١٤) بظل وقائع ميدانية لصالح النظام بعكس الحال في مؤتمر جينيف ١ (حزيران ٢٠١٢)، وقد فشل المؤتمر في الوصول الى نتائج حقيقية ولكنه شكل نهاية لفكرة الحكومة الإنتقالية التي وردت صيغتها في مؤتمر جينيف ١. ولاحقاً جرت إعادة إنتخاب الرئيس الأسد في حزيران ٢٠١٤ مما أنهى فعلياً موضوع «مصير الرئيس» وأخرجته من جدول أي مفاوضات مستقبلية.

لم يكن هذا التراجع الأميركي بسبب صفقة الكيمياء، فلو كان الأميركي يملك القدرة على شن الهجوم وتحمل تبعاته لما تراجع بأي ثمن كما حصل في غزو العراق ٢٠٠٣. كان محور المقاومة واضحاً، وعلى لسان السيد نصر الله ومسؤولين إيرانيين، بالتلميح والتصريح، أن أي مبادرة أميركية لضرب سوريا ستؤدي الى حرب إقليمية تحرق الجميع، وهي مخاطرة لا يملك الأميركي لا الإرادة ولا القدرة على خوضها. أي بالمختصر تمكن محور المقاومة من وضع خط أحمر وإلزام الأميركي بإحترامه. بل حتى إمتناع واشنطن عن توسعة عمليات التسلح للمعارضة السورية كان بحسب أوباما يعود الى أن «تسليح المعارضة الأساسية في مواجهة دولة مسلحة ومدعومة من روسيا وإيران، والمقاتل الصلب حزب الله، لم يكن أبداً من بين خياراتنا»، كونه لن يكون مجدياً.^(١)

(١) Thomas L. Friedman, *Obama on the World*, *New York Times*, ٨ August ٢٠١٤. http://www.nytimes.com/2014/08/09/opinion/president_obama_thomas_l_friedman_iraq_and_world_affairs.html?_r=2

ورغم الهجمات الإرهابية التي استهدفت بيئة حزب الله الاجتماعية إلا أن الإحتضان الشعبي لخيار الحزب في سوريا لم يتضرر بل العكس تماماً، هذا يعود لعوامل الثقة والتواصل الدائم والتجارب السابقة وإنكشاف المخاطر المستقبلية. ساهمت مجازر وإرتكابات المعارضة المسلحة والتنظيمات التكفيرية ضد الأقليات الدينية لا سيما بعد هجوم داعش في العراق، في تحول هام داخل الرأي العام المسيحي في لبنان الذي وجد في دور حزب الله خلاصاً لوجوده في المشرق العربي.^(١) ويمكن بملاحظة خطاب التيار الوطني الحر (التيار العوني) الممثل الأكبر للمسيحيين في البرلمان، تقدير مدى التحول الشعبي. حيث كان التيار خجولاً في تأييد تدخل الحزب في الموضوع السوري مع بداية الأحداث. إلا أنه مؤخراً يبدي تفهماً ودعماً علنياً لما يقوم به الحزب والجيش اللبناني في المناطق الحدودية مع سوريا لا سيما في عرسال ومحيطها.

حين قرر حزب الله التدخل في سوريا، كان الحزب قد خسر كل ما يمكن أن يخسره وبالتالي كان لا بد من السعي لمحاولة تعويض وترميم والحد من الخسائر. على صعيد الرأي العام الإقليمي والشحن المذهبي كانت الأمور غاية في السلبية تجاه الحزب حتى قبيل تدخله، في حين أن الواقع الميداني بالنسبة للنظام كان يتوجه من السيء للأسوأ وقد دخل النظام مرحلة السقوط. وعليه، فإن قرار التدخل ما كان ليزيد الأمور سوءاً بل سيفتح المجال أمام الحد من الخسائر، تفادي الأسوأ، وخلق مسارات مستقبلية لترميم ما جرى خسارته وهذا ما دل

(١) إستطلاع "الدولية للمعلومات": التطرف... أول تهديد للأمن. صحيفة السفير، العدد ٢٠٥٤، ١٣\٨\٢٠١٤. بحسب الإستطلاع الذي أجري في تموز ٢٠١٤ فإن نسبة المؤيدين لتدخل حزب الله في سوريا من اللبنانيين قد ارتفع منذ ٢٠١٣ من ٣٠% إلى ٤٦%.

مجرى الأحداث عليه.

رغم تعرض للحزب لخسائر بشرية ومادية ومعنوية إلا ان مستوى الإستنزاف أخذ بالتقلص بشكل جلي، بمعنى أن حزب الله أغلق وسيطر على نقاط التوتر الأساسية وانتقل معظم دوره نحو تثبيت ما جرى السيطرة عليه. ويمكن من خلال النظر الى أعداد شهداء الحزب ملاحظة المنحى البياني المنحدر بوضوح، وعليه نجح الحزب الى حد بعيد بمنع الحرب السورية من التحول الى حرب إستنزاف دائمة كما كان يطمح أعداؤه. وقد سبق لأوباما أن صرح خلال مقابلة صحفية مع موقع بلومبرغ ب ٢ آذار ٢٠١٤ بأن إيران وحزب الله لا يربحون في سوريا بل يتعرضون للنزف، بما يكشف الخطة «ب» للولايات المتحدة.^(١)

رغم ما شكلته الحرب السورية من تهديد إستراتيجي لحزب الله، إلا أنه نجح في تحويلها الى فرصة للإنتقال لخانة اللاعبين الإقليميين. تمكن حلفاء سوريا وفي مقدمتهم حزب الله من تفادي هزيمة قاصمة في سوريا، كانت لو تحققت لتحبط الكثير من إنجازات محور المقاومة في المنطقة منذ العام ٢٠٠٠. صحيح أن سوريا وحلفائها تضرروا في سوريا وعانوا من خسائر وازنة إلا أنهم تمكنوا من الصمود وحرمان المحور الأميركي من نصر حاسم كان قاب قوسين أو أدنى. الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط هو «مباراة بالنقاط» وليس «بالضربة

(١) Jeffrey Goldberg, *Obama to Israel .. Time Is Running Out*, Bloomberg review, MAR ٢, ٢٠١٤. <http://www.bloombergtview.com/articles/٢٠١٤.٠٢.٠٢/obama.to.israel.time.is.running.out>

القاضية»، ولذا رغم خسارة محور المقاومة لبعض النقاط في سوريا إلا انه تجنب «الضربة القاضية»، وحافظ على تقدمه بالنقاط على مستوى المنطقة. كانت خسارة العراق بالنسبة للسعودية وتركيا بالتحديد لصالح محور المقاومة سبب أساسياً في الإستشراس بالحرب السورية، وتفادي الهزيمة في سوريا سيتمكن محور المقاومة من تعزيز وتثبيت حضوره في العراق ولبنان.

سبق لداني بروكوفيتش أن تحدث عن «شق المنظومة الشمالية» أي سوريا حزب الله ولبنان، وهي منظومة تعمل «وفق منطق مشترك ضد أميركا وضد إسرائيل، وأن قوة هذه المنظومة تنبع من الروابط والعلاقات التبادلية الوثيقة بين اللاعبين المؤلفين لها. بحسب هذه الإستراتيجية يجب ضرب هذه المنظومة أو شقها ضمن التركيز على ممارسة الضغوط على سوريا، التي نظر إليها على أنها الحلقة الأضعف في المنظومة، أو عرض إغراءات عليها». ^(١) ووفقاً لهذه المخاطر تدخل حزب الله في سوريا وتمكن من «صهر» هذه المنظومة. ^(٢)

أحبطت نتائج تدخل حزب الله سوريا «تتميات» وتوقعات الكثيرين بهزيمة مدوية لحزب الله في سوريا. ^(٣) في الخلاصة، كان لدور حزب الله أثراً إقليمياً واضحة الدلالة عميقة الأثر وطويلة الأمد، فهو تمكن من حفظ دور سوريا -

(١) بروكوفيتش، مصدر سابق، ص. ١١٣

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة، أنظر، حسام مطر، حزب الله في سوريا: صهر المنظومة الشمالية، جريدة الأخبار، العدد ٢٠٢٠ بتاريخ ٤ حزيران ٢٠١٣، متوفر عبر الرابط التالي: <http://akhbar.com/node/184357>

<http://www.akhbar.com/node/184357>

(٣) أنظر مثلاً، ماريو أبو زيد، حزب الله يخوض معركته الأخيرة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ٢

نيسان ٢٠١٤. متوفر عبر الرابط التالي: <http://www.carnegie.org>

ولو بصورة هشة مرحلياً - ضمن محور المقاومة، وحمى خطوط إمداده وعمقه الإستراتيجي، منع قيام نظام معادٍ في سوريا قادر على قلب التوازنات اللبنانية، أغلق الحدود بوجه التنظيمات التكفيرية، حرم المحور الإقليمي من فرصة تاريخية لتعويض خسائره والعودة لمسار الصعود، ساهم في زيادة التوتر السعودي مع قطر وتركيا، فتح إمكانية للجيش السوري في المستقبل لإعادة السيطرة على الحدود مع العراق بما يقلص هامش داعش على المناورة، شد من عضد وتماسك وثقة عناصر محور المقاومة، إكتسب خبرات ميدانية تكتكية ومهارية عالية جداً، تمرس على العمل بجانب قوات نظامية حليفة، وأثبت أنه لاعب في صلب توازن القوى الإقليمي ولا بد من أخذه بالحسبان عند أي تسوية إقليمية أي أصبح للحزب، وللبنان إن إرتضى أهله، كرسيّاً على طاولة الكبار.

الخلاصة:

يشكل حزب الله نموذجاً هاماً لنمو دور اللاعبين اللادولتين على الساحة الدولية من خلال عمق وإتساع تأثيره الإقليمي في الشرق الأوسط. يندر في التاريخ المعاصر وجود منظمة ذات وزن إقليمي كما هي حال حزب الله، إذ تمكن الحزب من تحقيق الإستفادة القصوى من المواد المتاحة مستفيداً من إستراتيجية ذكية تدمج بشكل متوازن بين الواقعية والأهداف الإيديولوجية، ومن قيادة متعلمة، ذكية، متكيفة وتتمتع بالصبر الإستراتيجي. إن التأثير الإقليمي لحزب الله يتحقق بدرجة أولى من دوره في مقاومة الإحتلال والعدوان الإسرائيلي على لبنان، إذ تمكن من خلال إنجازاته في هذا الإطار من تحقيق إنزياح ظاهر في القوة لصالح محور المقاومة.

يظهر حزب الله على الساحة الإقليمية كقوة سياسية ذات قدرة على التأثير في العقول والقلوب بما يتناسب مع رؤية المقاومة لمستقبل المنطقة، وكقوة عسكرية قادرة على توظيف مواردها بشكل متزايد في السياق الإقليمي ولكن برشد وفعالية بما يجنبها الإستنزاف، ولذا كانت أغلب أدوارها تشتمل فقط على التدريب والتخطيط والتنظيم والإشراف والدعم اللوجستي، في حالات إستثنائية التدخل المباشر. شكلت الحرب السورية التحدي الإقليمي الأبرز لحزب الله، وقد تمكن من تجاوز ذلك التحدي بأقل قدر من الخسائر، من خلال الدقة في تقدير جملة عناصر أهمها: التوقيت، الموارد المطلوبة والمتاحة، التكتيك العملائي، الخطاب السياسي الموازي، حدود التدخل، إمكانية التأثير، ومخاطر الإستنزاف.

إلا أنه يبقى أمام هذا الدور عدة إشكالات لن تزول في المدى المنظور وتشكل قيوداً على دور وتأثير حزب الله في المنطقة. إشكالية «السيادة الوطنية» سواء على المستوى اللبناني أو في ساحة التدخل، إشكالية التوتير المذهبي لا سيما أن خصوم الحزب يرون فيها أداة أساسية لردعه، إشكالية «الشيطنة» الدولية تحت ستار خرق نظام «الشرعية الدولية»، إشكالية «هوية» الحزب بالانتقال من حزب مقاوم بوجه إسرائيل نحو الصراعات الإقليمية مع «نواطير» واشنطن من أنظمة وقوى عربية، إشكالية التوفيق بين خيارات الشعوب وضرورات المقاومة، قدرة البيئة الحاضنة على إحتمال أعباء هذا الدور، القدرة على خوض معركة «الصورة» أمام الرأي العام العربي والإسلامي، ومدى إمكانية الحزب في تطوير إدارة إستراتيجية متكاملة مع حلفائه تتوسع الى خارج الإطار العسكري.

يحاول خصوم الحزب في المنطقة إستنزاف الحزب في العناصر الجوهرية

لهويته، المقاومة والإسلام الثوري عبر سردية «الميليشيا المذهبية التابعة لإيران». ولذا يحتاج الحزب لتوسعة القاعدة الإقليمية لدوره عبر تعزيز رؤية قادرة على جذب شرائح عربية مختلفة، تستند على خطاب يربط الصراعات الإقليمية بالسياسات الكولونيالية للغرب (الولايات المتحدة تحديداً). كل معركة وصراع مع «النواطير» هو صراع مع مشروع الهيمنة والإحتلال في المنطقة ولكن إبراز ذلك يحتاج لجهود إعلامي - خطابي - سياسي - ثقافي. لا بد أن يستند خطاب حزب الله الإقليمي المؤسس والمشرع لدوره في المنطقة على معالجة متناسقة لثلاثية الهيمنة - الإستبداد - التطرف الديني، التي تعمل بالتجانس والتغذية المتبادلة بوجه مشروع المقاومة.

المراجع:

١. أبو زيد، ماريو: حزب الله يخوض معركته الأخيرة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ٢ نيسان ٢٠١٤
٢. إستطلاع «الدولية للمعلومات»: التطرف... أول تهديد للأمن، صحيفة السفير، العدد ٢٠٥٤، ٢٠١٤\٨\١٣
٤. الألوسي، مصعب: إنتشار التهديد: حزب الله كلاعب إقليمي، فليتشر فورم، ١٩ شباط ٢٠١٤ (بالإنكليزية)
٥. الوثيقة السياسية لحزب الله التي أعلنها الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله عام ٢٠٠٩
٦. بروكوفيتش، داني: هل يمكن قطع رؤوس الهيدرا: معركة إضعاف حزب الله، ترجمة إبراهيم البيومي غانم، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩
٧. بليتكاه، دانيال: وفريدريك كاغان، إيران بمواجهة أميركا: التنافس على مستقبل الشرق الأوسط، مؤسسة أميركان إنتربرايز، كانون الثاني، ٢٠١٤ (بالإنكليزية)
٨. تابلر، اندرو: الإنعطاف السورية، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، ١٥ آذار ٢٠١١ (بالإنكليزية)
٩. روركي، كيل: مذهب مواجهة حركات التمرد الأميركي بوجه حزب الله، كلية الأركان في الجيش الأميركي، ٢٠٠٩ (بالإنكليزية)
١٠. سلامة، فاطمة: «المعارضة» السورية اليد الخفية «الإسرائيل» في سوريا، موقع العهد الإخباري، ٢٠١٣\٦\١٢
١١. شقور، رفقة: أثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة وأساليبها في المنطقة العربية (رسالة ماجستير)، نابلس: جامعة النجاح، ٢٠٠٩
١٢. فضل الله، عبد الحليم: مقابلة خاصة بهذا البحث اجراها الكاتب، بيروت، ١٣ آب ٢٠١٤
١٣. ليفيت، ماثيو: دعم إيران للإرهاب في الشرق الأوسط، شهادة أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأدنى ووسط آسيا في الكونغرس الأميركي، ٢٥ تموز ٢٠١٢ (بالإنكليزية)
١٤. مطر، حسام: سياسة واشنطن الخارجية: تحول تاريخي، جريدة الأخبار، العدد ١٥٩٤، ٢٤ كانون الأول ٢٠١١
١٥. مطر، حسام: حزب الله في سوريا: صهر المنظومة الشمالية، جريدة الأخبار، العدد ٢٠٢٠

بتاريخ ٤ حزيران ٢٠١٣

١٦. مطر، حسام: مقارنة جديدة لعدوان تموز: الحرب الوقائية، صحيفة السفير، ٣٠\٧\٢٠١٣
١٧. مطر، حسام: الإستراتيجية الأميركية الذكية لمواجهة حزب الله، المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق، آب ٢٠١٣
١٨. ناي، جوزيف: مستقبل القوة، نيويورك: دار «الشؤون العامة»، ٢٠١١ (بالإنكليزية)
١٩. نصر الله، حسن: خطاب متلفز بتاريخ ٢٨ - ٢ - ٢٠١٣
٢٠. نصر الله، حسن: خطاب متلفز بتاريخ ٣٠ - ٤ - ٢٠١٣
٢١. نصر الله، حسن: خطاب بمناسبة اليوبيل الفضي لإذاعة النور بتاريخ ٩ أيار ٢٠١٣
٢٢. نصر الله، حسن: خطاب بمناسبة عيد المقاومة والتحرير في ٢٥ - ٥ - ٢٠١٣،
٢٣. نصر الله، حسن: كلمة متلفزة بتاريخ ١٠\٤\٢٠٠٩
٢٤. هيرش، سيمور: إعادة التوجيه، جريدة الأخبار، العدد ١٦٣، ٢٦ شباط ٢٠٠٧
٢٥. A. Fisnik "NATO Official Likens Tactics of Taliban to Hezbollah's," *The Boston Globe*, ١٦, August ٢٠٠٦
٢٦. C. W. Shannon, *Hezbollah Rising: Iran's Proxy Warriors*, National Defense University,
٢٧. Department of State, *Country Reports on Terrorism*, April ٣٠, ٢٠٠٧
٢٨. *Dictionary of the Social Sciences*, "Nonstate actors", *Dictionary of the Social Sciences*, Cengage Learning, ١ Jan. ٢٠٠٢
٢٩. F. L. Thomas, *Obama on the World*, *New York Times*, ٨ August ٢٠١٤
٣٠. G. Geeraerts, *Analyzing Non . State Actors in World Politics*, *Pole Paper Series*, Vol. ١, No. ٤, October ١٩٩٥
٣١. H. Brian and Michael Smith, *World Politics*, New York: Harvester Wheatsheaf, ١٩٩٠
٣٢. K. Robert, and Joseph S. Nye (eds), *Transnational Relations and World Politics*, Cambridge: Harvard University Press, ١٩٧١
٣٣. K. Robert and Joseph S. Nye, *Power and Interdependence*, Second Edition, Glenview: Scott Foresman, ١٩٧٧, ١٩٨٩
٣٤. *National Strategic Studies, JFQ*, issue ٤٩, ٢d quarter ٢٠٠٨, pp. ١٢٨ - ١٣٤
٣٥. N. S. Joseph, Jr., *Power Shifts in the ٢١st Century*, *The Montréal*

Review, May ٢٠١٢

- ٣٦ . *P. H. David, USA, Commander, Multi . National Force . Iraq, "Report to Congress on the Situation in Iraq," September ١٠ . ١١, ٢٠٠٧*
- ٣٧ . *Report of an Independent Task Force, Finding America's Voice: A Strategy for Reinvigorating U. S. Public Diplomacy, the Council on Foreign Relations, ٢٠٠٢,*
- ٣٨ . *Unclassified Report on Military Power of Iran," Congressionally Directed Action (CDA) re: Military Power of Iran, April ٢٠١٠*
- ٣٩ . *S. Marisa, Hezbollah in Syria, Institute for the Study of War, Middle East Security Report ١٩, April ٢٠١٤*

دور حزب الله في تغيير ميزان القوى في سوريا

حيدر عبد الرزاق

المقدمة:

منذ الوهلة الأولى لحركة الاحتجاجات أو التمرد أو الانتفاضة في سوريا، سارعت الإرادات الإقليمية والدولية لاستغلالها سياسياً للإطاحة بالنظام السوري دون الإكتفاء بتحقيق أي عملية إصلاح في النظام السياسي السوري، وهذا الأمر اتضح بدخول بعض القوى المؤججة والمحرضة للشعب ضد النظام على خط الأزمة بشكل مباشر، وتوظيف مؤسساتها الإعلامية والوفرة المالية التي تمتلكها لهذا الأمر، وعلى الرغم من مشروعية بعض المطالب الشعبية للمحتجين إلا أن القضية بتدخل القوى الخارجية لم تعد مسألة شعب ونظام سياسي، بقدر ما هي مسألة صراع وتوازنات إقليمية ودولية.

وقفت جبهة واسعة من القوى والتحالفات الداعمة للمعارضة السورية بشقيها السياسي والعسكري ووفرت الدعم المادي والمعنوي «تقديمها للسلاح والمعلومات الاستخبارية والمواد اللوجستية فضلاً عن محاولة توفير الشرعية

الدينية والسياسية» في حين أن الجبهة المقابلة قد عملت على محاولة إيجاد الحلول السياسية اللازمة لكن أغلب المبادرات والحلول قد رفضت بسبب تعنت طرفي الصراع، وخصوصاً جبهة المعارضة، وذلك لتصورها أن النظام السوري يسير باتجاه الانهيار كباقي الأنظمة العربية التي أحاطها التغيير، لكن وبسبب جبهة التحالف مع النظام السوري التي كانت مواقفها أكثر صرامة وصلابة من الجبهة التي تقف مع المعارضة، استطاع النظام الصمود فدخل حزب الله وتعاطيه مع الأزمة برؤية واضحة واردة على الحسم في الصراع، كان العلامة الفارقة في المشهد الميداني.

المحور الأول: تطورات اللازمة السورية والتفاعلات الإقليمية والدولية

بعد انطلاق شرارة الاحتجاجات ومن ثم عسكرة هذه الاحتجاجات وبشكل متسارع بدأت موازين القوى مع مطلع عام ٢٠١٢ تسير باتجاه الحركات المسلحة التي بدأت تتشكل بشكل متزايد فضلاً عن الانشاقات التي حدثت في الجيش السوري وتشكل الجيش السوري الحر الذي بدأ يقود حركة المواجهة العسكرية مع النظام.

صاحب حركة الاحتجاج والتمرد، حركة سياسية لتمثيل القوى المواجهة للنظام السوري فتشكلت (هيئة التنسيق الوطني لقوى الثورة)^(*) في داخل

(*) تشكلت الهيئة في حزيران ٢٠١١ ونرحب بفكرة الحل السياسي والتهديئة مع الحكومة، لكنها تشترط وقف إطلاق النار، وأنسحاب الجيش من المدن والقرى والإفراج عن كل المعتقلين السياسيين، وترى بأن الجيش السوري الحر هو جزء من الثورة ويلعب دوراً هاماً في حماية المجتمع، ولكنها ترفض دعوات التدخل العسكري الخارجي، كما تتهم المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني بمحاباة

سوريا، في حين أستمر السعي التركي - القطري - السعودي مع قوى المعارضة السورية، حتى تشكيل المجلس الوطني السوري بتاريخ ٢٩ / آب / ٢٠١١ في أنقرة، وكان الهدف من إنشاء المجلس أن يكون البديل عن حكومة النظام السوري وأن يكون الوسيط الوحيد مع المجتمع الدولي^(١).

هيمنة جماعة الأخوان المسلمين على المجلس، إذ تعتبر الإسلام السياسي الجسم الأكبر والأقوى على الأرض، وهو يدير عمليات المسلحين، ويتولى مقاتلوها حرب العصابات ضد الجيش السوري النظامي، وعليه فهو صاحب الحق الأكبر في تمثيل المعارضة في حال التسوية مع النظام^(٢). إلا أنه في تشرين الثاني ٢٠١٢، صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة (هيلاري كلنتون) «أنه لم يعد من الممكن اعتبار المجلس الوطني السوري قائداً للمعارضة» ودعت الى تكوين هيكل قيادي جديد للمعارضة بإمكانه مخاطبة كل الفصائل المعارضة في سوريا^(٣). وبالفعل فقد تشكل في تشرين الثاني ٢٠١٢ الائتلاف الوطني القوى الثورة والمعارضة، السورية بإرادة غربية وتنافس قطري - تركي من جهة وسعودي من جهة أخرى للسيطرة على قيادة هذا الائتلاف، هذا على الصعيد

تركيا ودول الخليج التي تقدم المأوى والدعم المادي والسلاح للجماعات المتمردة، كما تعارض ما تسميه بهيمنة الأخوان المسلمين على المعارضة في الخارج، قناة بي بي سي، دليل المعارضة السورية، ٢١ كانون الثاني ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية:

www.bbc.com.uk/arabic/middeeast

(١) قناة بي بي سي، دليل المعارضة اسورية، ٢١ كانون الثاني ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية:

www.bbc.com

(٢) نضال حمادة، الوجه الآخر للثورات العربية،

(٣) المصدر نفسه، ص٣٧٢.

السياسي، أما على الصعيد العسكري فإن الانقسامات والتشظي للفصائل المسلحة كانت كبيرة جداً، فضلاً عن تشكيل كتائب وفصائل قتالية جديدة وبشكل مستمر حال دون توحيد القيادة العسكرية للمسلحين، فظهور التنظيمات المتشددة أدى الى أنشاقات واختلافات مستمرة وتطورت الى اندلاع الاقتتال بين أطراف المعارضة السورية المسلحة، مما أسهم في عدم وجود قيادة موحدة و مترابطة ما بين القيادة الميدانية على الأرض والقيادة السياسية التي تقوم بالضغط السياسي والمساومة.

أثناء الصراع المسلح في سوريا، استقر فرعات لتنظيم القاعدة التي تقاتل من أجل الإطاحة بنظام بشار الأسد، أبرزها جبهة النصرة التي تأتمر بصورة مباشرة بأمر زعيم القاعدة أيمن الظواهري، ويعمل الى جانبها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يطلق عليه تسمية داعش^(*)، كما تقاتل في سوريا تنظيمات عسكرية جهادية سلفية متطرفة، قد لا تتضامن بالضرورة مع تنظيم القاعدة^(١). تعاملت بعض القوى الخارجية المحركة للتغيير في سوريا بانتهازية وبراغمية

(*) أعلن الإرهابي أبو بكر البغدادي، زعيم تنظيم القاعدة في العراق، في شهر نيسان ٢٠١٣ عن توحيد دولة العراق الإسلامية مع جبهة النصرة ليحمل أسم الدولة الإسلامية في العراق والشام التي تختصر بكلمة (داعش) ولكن إعلانه لم يتم الاعتراف به من قبل جبهة النصرة، وأعلن أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة العالمي عن إلغاءه رسمياً في حزيران ٢٠١٣، مؤكداً أن جبهة النصرة هي الفرع الرسمي للتنظيم في سوريا، وأدى ذلك الى الانشقاق بين فرعي القاعدة إذ يقاتل اليوم في سوريا تنظيمان متنافسان ومتصارعان في الوقت نفسه. المصدر: جبهة النصرة تنظيم جهادي سلفي ينتمي للقاعدة يؤدي دوراً هاماً بين منظمات المتمردين في سوريا، مركز التراث للمعلومات حول الاستخبارات والإرهاب، ٢٠ يوليو ٢٠١٣، ص ١.

(١) المصدر نفسه، ص ٢.

مع موضوع الحركات الجهادية المتطرفة، بمعنى استغلال دورها في قتال قوات النظام، مما زاد من تغلغل هذه الحركات ونفوذها ميدانياً^(١)، إذ سقطت في أيدي المتمردين مناطق شاسعة في شمال سوريا وشرقها، تضم هذه المناطق محافظات دير الزور والحسكة والرقة وحلب وأدلب، وتوزعت السيطرة ما بين جبهة النصرة وتنظيمات جهادية متطرفة بالتعاون في الغالب مع الجيش الحر، وفي أحيان أخرى مصادمات وصراع وتحديداً مع تنظيم داعش الإرهابي^(٢)، وشكل استيلاء الفصائل المسلحة على معظم مناطق الغوطة الشرقية والأحياء الجنوبية لريف دمشق وأجزاء من الريف الغربي في دارياً والمعصمية تهديداً حقيقياً للعاصمة^(٣).

إلا أن الواقع الميداني للصراع المسلح في سوريا كان مرتبطاً بشكل أساسي بشبكة الحلفاء والداعمين من الخارج لطرفي الصراع ويمكن معرفة أهم المواقف الدولية الإقليمية وتداعياتها على الصراع وموازين القوى فالإدارة الأمريكية ترى بأن شن عمل عسكري واسع النطاق قد يقلب الموازين ضد نظام الأسد لكنه لن يحل النزاعات السياسية والطائفية المتعمقة في سوريا^(٤)، إذ تجربة التدخل في العراق وأفغانستان فضلاً عن ليبيا كانت حاضرة في ذهنية صانع القرار

(١) حمزة مصطفى المصطفى، جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس الى الانقسام، دراسات عربية، العدد ٥، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، تشرين الثاني، ٢٠١٣، ص ٢٣.

(٢) جبهة النصرة تنظيم جهادي سلفي ينتمي للقاعدة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

(٣) توافق المكرهين: استراتيجيات تجنب الفشل في سوريا، تقدير موقف، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ٦ شباط، ٢٠١٤، ص ٣.

(٤) براين فيشمان، هل ينبغي على الولايات المتحدة وحلفائها التدخل عسكرياً في سوريا، معهد

الأمريكي، وما يمثله التدخل في سوريا من زيادة للأعباء والالتزامات الأمريكية، وما تشكله من تهديد للوضع، وخصوصاً إذ ما كان التدخل خارج إطار الشرعية الدولية^(١). لذلك عملت على توكيل المهام وأدوار المواجهة مع نظام الأسد الى دول حليفة (تركيا، السعودية، قطر) من أجل عدم الانغماس في الأزمة السورية مع المتابعة والمراقبة للتطورات عن كثب، ويمكن إرجاع هذا الموقف الأمريكي للأسباب الآتية:

١ - وجود جماعات مسلحة مرتبطة بتنظيم القاعدة وتمثل قوة رئيسية تقود القتال وتسيطر على مساحات واسعة في مناطق سيطرة المعارضة، وخشيتها من وقوع المساعدات الأمريكية بأيدي هذه الجماعات^(٢).

٢ - محاولة استنزاف أطراف الصراع، الجماعات المتشددة والنظام السوري وقوى الممانعة لإيصالهم الى مرحلة الإنهاك.

أن هذا الموقف الأمريكي جاء منسجماً مع توزيع الأدوار بين الأطراف الإقليمية الأخرى، الداعمة للمعارضة السورية المسلحة، والباحثين عن أدوار إقليمية إذ جاءت المواقف لدول الخليج وتحديداً السعودية وقطر منذ بدايات الأزمة، بانتهاج سياسات متشددة وداعمة للفصائل المسلحة في سوريا بشكل صريح وعملوا على عسكرة الاحتجاجات، وتحويلها الى صراع بغية اسقاط نظام بشار الأسد، الذي يعني بشكل آخر خسارة استراتيجية للمحور الإيراني، ومكسب لدول الخليج ومن خلفهم (إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية،

(١) المصدر نفسه.

(٢) ديفيد بلوك، أتباع نهج أفضل في جنيف: تقديم المساعدات للمعارضة السورية الآن، معهد واشنطن.

وعلى الرغم من التنافس المتمايز ما بين السعودية وقطر للحصول على التأثير الأكبر في المعارضة السياسية والعسكرية وقيادتها كل باجنداته الخاصة إلا ان الجامع الاكبر هو محاولة اسقاط نظام بشار الاسد باي صورة ممكنة^(١).

أما الموقف التركي فكان واضحاً هو الآخر ومنسجم مع مواقف دول الخليج، فالاعتقاد التركي بأن النظام السوري سيطاله التغيير الذي ساد المنطقة، وعليها ركوب موجة التغيير وأخذ زمام المبادرة، بدور أكثر فاعلية في سوريا، لاسيما أن المجتمع الدولي كان متجه الى إسقاط النظام السوري على شاكلة النظام الليبي، لكن الفيتو الروسي - الصيني أفشل هذه التوجهات^(٢).

قطعت الحكومة التركية جميع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة بشار الأسد وبدأت بدعم الجماعات المعارضة، وخصوصاً الأخوان المسلمين، إذ نظمة سلسلة من المؤتمرات للمعارضة السورية وصولاً الى تشكيل المجلس الوطني السوري^(٣). وعملت على توفير الملاذات الآمنة للجيش السوري الحر، والعمل على توحيد جبهة المعارضة السياسية والعسكرية^(٤).

(١) عبد الخالق عبد الله، التنافس المقيد، السياسات السعودية والقطرية تجاه الربيع العربي، السياسة الدولية، العدد ١٩٢، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٨٢.

(٢) أسلي أيديتاسباس، سياسة تركيا الجديدة نحو سوريا، تحليل السياسات، معهد واشنطن، ١٤ تشرين الأول ٢٠١١، شبكة المعلومات الدولية: www.washingtoninstitute.org

(٣) *Soner Capaptay and James F Jeffery, Can Obama Save Turkey from a Syrian, New York Times, May ٢٠١٣.*

(٤) هيفاء أحمد محمد، الموقف التركي من المعارضة السورية، دراسات سياسية، العدد ٢٤، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص ٦٣.

في الاتجاه الآخر من مواقف حلفاء نظام بشار الأسد، فعلى الصعيد الدولي كان الاستقطاب الدولي حاضراً، إذ شهدت مواقف متصلبة وقوية من روسيا والصين وعلى الرغم من توقعات الكثيرين باحتمال تغيير الدولتين لموقفهما، إلا أن موقفهما استمر دون تغيير، وكان هذا الأمر تأكيداً على عدم تكرار تجربة السيناريو الليبي في سوريا، وتعبّر عن حقيقة صراع النفوذ في منطقة الشرق الأوسط بكون النظام السوري أحد أهم حلفاء روسيا في مواجهة امتداد النفوذ الغربي^(١).

كما يعتري القيادة الروسية القلق من طريقة تأثير الإسلاميين في الشرق الأوسط على الإسلاميين في شمال القوقاز الروسي وداغستان والشيشان وأوسيتا الشمالية وأيغوشيتيا، والخشية من إحياء المد الإسلامي المتطرف، بما يهدد الأمن القومي الروسي في حال سيطرتهم على سوريا^(٢)، هذا فضلاً عن التعاون الكبير بين روسيا ونظام بشار الأسد في كافة المجالات ومنها الصفقات العسكرية لتزويد سوريا بالسلح ووجود القاعدة العسكرية الروسية الوحيدة على البحر المتوسط في طرطوس السوري، وسعي الرئيس بوتين استعادة مكانة روسيا العالمية بعد سنوات من العجز، بعدما تمكن من تحقيق استقرار داخلي ونمو اقتصادي متصاعد بما يعيد لروسيا ثقلها الدولي^(٣).

(١) خالد الحروب، حسابات حذرة، محددات الدعم الخليجي للتغيير في سوريا، السياسة الدولية، العدد

١٩٢، مؤسسة الأهرام، ٢٠١٣، ص ٨٨.

(٢) ديفيد دبليو ليش، سورية سقوط مملكة الأسد، ترجمة أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع

والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٤، ص ٣٠١.

(٣) شذى زكي حسن، الموقف الروسي من الأزمة السورية: الدوافع والأهداف، دراسات سياسية، العدد

٢٤، بيت الحكمة، ٢٠١٣، ص ٨٤.

بذلك وفرت موسكو لدمشق الحماية السياسية، باستعمالها حق النقض ضد كل مشاريع القرارات التي تقدمت بها الدول الغربية الى مجلس الأمن لإدانة النظام السوري، وكذلك توفير الدعم العسكري بإمداده بالأسلحة والذخائر وتقديم الاستشارات العسكرية^(١).

وفي السياق ذاته من جبهة حلفاء النظام السوري تعتبر إيران الحليف الأهم والأكبر للنظام السوري، إذ تربطها علاقة استراتيجية فتتظر إيران الى الصراع السوري باعتباره مسألة تخص أمنها القومي، وأنها لن تسمح بسقوط نظام بشار الأسد، لذلك عملت بكافة الوسائل لدعم النظام السوري، سواء مداده بالسلح والذخيرة، أو الخبرات التي يقدمها المستشارين العسكريين، أو تجهيز وتدريب المتطوعين للقتال في سوريا^(٢).

يمكن القول بأن الاحتجاجات السورية، قد سارعت باغتنامها الكثير من الدول لمحاولة توظيفها لصالحهم، ولاسيما تلك الدول التي لها علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع إسرائيل للاطاحة بالنظام السوري، الذي يمثل الداعم الرئيس للمقاومة اللبنانية، ويمثل عقدة (لإسرائيل) لذلك أرادت الولايات المتحدة ومن خلفها إسرائيل إسقاط نظام بشار الأسد بطريقة الربيع العربي للوهلة الأولى، ولكن صمود وبقاء نظام بشار جعلهم يغيرون من نهجهم للإطاحة بطريقة السيناريو الليبي، لكن إدراك النظام السوري وحلفائه لهذا

(١) نزار عبد القادر، روسيا والأزمة السورية: مصالح جيوسياسية وتعقيدات مع الغرب، مجلة الدفاع

الوطني، بيروت، نيسان ٢٠١٣.

(٢) علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الإيرانية - التركية: المآزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة.

تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، كانون الثاني ٢٠١٢، ص ٢٠.

المخطط وإحباطه أربك المحور الغربي وداعمي المعارضة المسلحة. إن الشبكة الواسعة من الدعم والمضاد جعل ميزان القوة يتجه لكفة المعارضة السورية على حساب النظام السوري قبل دخول حزب الله المباشر في معادلة الصراع، والذي كان في متابعة وترقب عن كثب واستمرار ومع تواصل المعلومات بوصول المتطرفين المسلحين وزحفهم نحو الحدود اللبنانية وتهديدهم لامن المواطنين بعد الاعتداءات المتكررة، واحتمالية الانكشاف الأمني لظهور المقاومة اللبنانية، اضطر الحزب للتدخل المباشر وبشكل علني لحماية طرق امداده وعمقه الاستراتيجي، فكانت معركة القصير المرحلة الأساسية في تحول المشهد الميداني في سوريا، بعدما كان النظام يفقد الكثير من الأراضي لصالح الجماعات المسلحة، تغيرت المعادلة من الإسلوب الدفاعي الى الهجومي وأخذ زمام المبادرة للجيش السوري مدعوم بمقاتلي ومستشاري حزب الله.

المحور الثاني: تدخل حزب الله وتغير الواقع الميداني

أن التطورات المتلاحقة في المشهد الميداني السوري وسيطرة الفصائل المسلحة على بعض المنافذ الحدودية كمر البوكمال مع العراق وإعزاز مع تركيا ورنكوس مع لبنان لوقف امدادات النظام السوري، وإحراز تقدم عسكري، بالسيطرة على جملة منشآت استراتيجية كالقواعد الجوية وكتائب الصواريخ، ومهاجمة بعض المطارات العسكرية وإصابة أهداف حيوية رجح كفة المعارضة والفصائل المسلحة وبات الحديث عن الإطاحة بالنظام السوري ما هي إلا مسألة وقت^(١).

(١) مجموعة مؤلفين، حال الأمة العربية ٢٠١٢ - ٢٠١٣ مستقبل التغيير في الوطن العربي مخاطر

داهمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص٢٠٨.

بعد إدراك حزب الله الخطر المحدق بسقوط النظام السوري ورؤيته لما بعد سقوط النظام، باتت المقاومة هي الهدف الذي سبيل النظام السوري وخصوصاً أن الكثير من الفصائل المسلحة التي تقاتل في سوريا تتحرك بأجندة طائفية متشددة، ووفق رؤية قادة حزب الله أن هذه المجاميع تحركهم الأيدي الصهيونية، مما يحتم على حزب الله التدخل لصد التحديات والتهديدات الذي سيتفقم حجمها إذ ما سقط النظام السوري، فضلاً عن أن النظام السوري وما يوفره من عمق جغرافي لظهر المقاومة يجعل حزب الله والنظام السوري تربطها وحدة المصير^(١).

لذلك يمكن وصف وتحليل استراتيجية حزب الله في سوريا بأنها بنيت على مرحلتين:

الأولى: مرحلة التدخل المحدود: وهو القيام بالنشاطات الاستخبارية لتوفير المعلومات حول أنشطة الفصائل المسلحة والإمكانات العسكرية ومناطق القوة والضعف التي يملكونها، وكذلك محاولة تقديم المشورة والخبرات التي يتميز بها مقاتلي حزب الله للنظام السوري وخصوصاً في حرب الشوارع - وهي شكل الحرب الدائرة بين نظام الاسد ومسلحي المعارضة -، كما عمل على حماية حفظ القرى الشيعية داخل سوريا ولبنان^(٢) ولاسيما الحدودية منها وذلك عن طريق تسليح المواطنين للدفاع عن أنفسهم والقيام بتشكيل لجان شعبية تعنى بالدفاع

(١) شفيق شقير، حزب الله الدور في سوريا وانعكاساته اللبنانية، تقرير، مركز الجزيرة للدراسات،

الدوحة، ٢٠١٢، ص٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣.

عن تلك المناطق في وجه هجمات المجموعات المسلحة^(١).

الثانية: مرحلة التدخل المباشر: بعد تفاقم الوضع الأمني والعسكري في سوريا عموماً وفي المناطق الحدودية (اللبنانية - السورية) على وجه الخصوص انتقل حزب الله من مرحلة التدخل المحدود القائم على أساس التكتيكات الدفاعية الى التدخل المباشر والصريح والقيام بالمبادرة والهجوم، فجاء دخول حزب الله في القصير الى جانب الجيش السوري، لإعادة كفة التوازن الميداني وتمت استعادة مناطق حيوية في حمص، وتحديدًا منطقة القصير الاستراتيجية^(٢).

إن دخول حزب الله المباشر في الصراع المسلح في سوريا مكن النظام السوري من السيطرة على طريق دمشق - حمص الاستراتيجي بعد أن أستعاد السيطرة على بلدة قارة في القلمون، هذا الدعم من مقاتلي حزب الله فضلاً عن بعض المقاتلين من البلدان المجاورة الأخرى وتحديدًا العراق غير من وضع قوات النظام السوري من حالة الدفاع الى المباداة والهجوم^(٣). وقد تمكن النظام السوري بفضل التدخل المباشر لحزب الله من تحقيق اختراقات عسكرية في مناطق مختلفة من ريف دمشق خاصة في الأحياء الجنوبية، وفك الحصار عن معسكري وادي الضيف والحامدية في ريف أدلب، والسيطرة على بلدة خناصر الاستراتيجية الواقعة على الطريق الدولي الى حلب^(٤).

(١) علي عبيد البغدادي، معركة القصير هزيمة لأمریکا وإسرائيل، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، ط١، ص٦.

(٢) توافق المكرهين: استراتيجيات تجنب الفشل في سوريا، مصدر سبق ذكره، ص٣.

(٣) علي عبد البغدادي، معركة القصير هزيمة لأمریکا وإسرائيل، مصدر سبق ذكره، ص٦.

(٤) توافق المكرهين: استراتيجيات تجنب الفشل في سوريا، مصدر سبق ذكره، ص٤.

أن التطورات التي حدثت قبل تدخل حزب الله المباشر كانت متجه نحو إسقاط نظام بشار الأسد، لولا تدخل حزب الله الذي أعاد للنظام السوري ترتيب استراتيجيته لمواجهة الفصائل المسلحة لما يتميز به من كفاءة عالية بحروب المدن وتدريبه للمتطوعين للقتال في سوريا، إلا أن استعادة مدينة القصير من قبضة المعارضة السورية في مطلع حزيران ٢٠١٣ شكلت علامة بالغة الأهمية على التحولات التي يمر بها الصراع في سوريا، وبداية للانتصارات المتلاحقة للجيش السوري لكسبه للمعارك وتحريره للمدن، بعدما كان يفقدها أمام التنظيمات المسلحة^(١).

أن معركة القصير أثبتت قدرة حزب الله العسكرية وإظهاره لنظرية «إدارة النيران والاشتباك» القائمة على التنسيق الدقيق بين كافة الوحدات والقطع العسكرية، إذ يتم استخدام سلاح الرصد الجوي وسلاح المدفعية والصواريخ لضرب تحصينات العدو والأهداف البعيدة ضمن إطار الإسناد الناري البعيد للتغطية هجوم المدرعات والمشاة^(٢). وتجدر الإشارة إلى أن حزب الله عمل للمرة الأولى في ميدان يتم التنسيق فيه مع الطيران الحربي في إطار السيطرة الجوية والانقضاض على الجماعات المسلحة بهدف تبيد وتشيت القوى النارية للأعداء وإلحاق الضرر والتدمير بأكبر عدد منهم، فضلاً عن تدمير خطوط الأمداد من المناطق المجاور القريبة والبعيدة^(٣). أن النصر الذي تحققت في القصير

(١) مجموعة مؤلفين، جال الأمة العربية ٢٠١٢ - ٢٠١٣، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.

(٢) علي عبد البغدادي، معركة القصير هزيمة لأمریکا وإسرائيل، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

دعى النظام السوري لاستغلاله في تحقيق انتصارات في حمص، فالسيطرة على حمص تعني التحكم بالساحل والعاصمة، وقد كان التأثير الكبير لحزب الله فضلاً عن خبرته القتالية وتمرسه في حرب العصابات والشوارع هو قربه الجغرافي من مناطق القتال ومعرفته بالطبيعة الجغرافية، وهو ما ساعد الرئيس بشار في بقاء نظامه وتأمين ساحته الخلفية الأمانة وهو ما جعل الجيش السوري يملك عنصر المبادرة والهجوم بالتعاون مع مقاتلي حزب الله وتحقيق الانتصارات المتلاحقة في أكثر من محور.

مما تقدم يظهر لنا أن الفارق الذي تشكل بعد مشاركة مقاتلي حزب الله في الصراع المسلح في سوريا، بأنه يتجه نحو ترجيح كفة النظام على فصائل المعارضة المسلحة، على الرغم من الصعوبة في تحديد الأفضلية الميدانية بسبب ما تتطلبه حروب المدن من كرفر وانسحابات تكتيكية، قد لا تعطي مؤشرات دقيقة، إلا أن نجاحات الجيش السوري النظامي المتواصلة منذ معركة القصير الذي كان حزب الله فيها الطرف الفاعل الرئيس، بعد ان أعيدت صياغة استراتيجية الجيش السوري وتكتيكاته بما يتناسب مع حرب المدن والذي يمتلك الحزب الخبرات العالية في هذا الجانب، مما ساعد بشكل ملحوظ تحقيق انتصارات، وأن كانت بطيئة لكنها محكمة وبأقل خسائر^(١).

المحور الثالث: مستقبل الصراع في سورية بعد تدخل حزب الله

لطالما تتفاعل الأحداث المحلية مع المتغيرات الإقليمية والدولية لتشكّل

(١) تحقيق سياسي، مؤتمر جنيف ٢ مفاوضات حول السلام المفقود في سوريا، صحيفة العرب، العدد

صورة المستقبل القادم، والصورة المستقبلية التي شكلتها الرؤى والتحليلات ما قبل إعلان حزب الله الدخول بالحرب الدائرة في سورية تشير معظمها أن لم نقل جميعها سيناريوهات لما بعد نظام بشار الأسد، لكن تغيرت معادلة الصراع مع تدخل حزب الله المباشر ومعها تغيرت الرؤى والسيناريوهات المشكلة لصور المستقبل، مع المعطيات الجديدة، وعلى الرغم من تدفق المقاتلين مع فصائل المعارضة المسلحة وبشكل كبير، لاسيما الجهاديين المتطرفين، إلا ان مقاتلي حزب الله قد أحدثوا أنعطافة في مشهد الصراع المسلح واحتمالاته المستقبلية.

ويقول (فولكربيرتس) مدير المعهد الألماني للسياسة الدولية والشؤون الأمنية، أن الأسد مع دعم حزب الله المباشر له بات أقوى مما كان عليه في عام ٢٠١٢، وأمست المعارضة غير قادرة على هزيمه، وهي غير موحدة حالها كحال الدول الداعمة لها، وأن المعطيات تشير أن النظام مستمر ولن يسقط إلا في حالتين أما حدوث انقسام حاد وشرخ داخل النظام نفسه، أو تدخل عسكري دولي مباشر حاسم يرجح كفة المعارضة^(١)، وأن كلا الخياران لا توجد عليهما مؤشرات واقعية.

لذا يمكن استشراف مستقبل الصراع في سورية وفق التفاعلات الداخلية والخارجية التي تمثل معطيات الحاضر المشكلة للمستقبل المنظور، بتحديد ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: استمرار الوضع الراهن:

تشير معطيات الواقع للصراع المسلح في سوريا بأن الوضع الراهن هو

(١) المصدر نفسه.

المهيمن في الفترة المقبلة لصعوبة الحسم بين أطراف الصراع، إذ التقدم والانسحاب ما بين المعارضة المسلحة والنظام السوري تمثل انتصارات تكتيكية أكثر منها استراتيجية، ويصعب تحقيق انتصارات حاسمة في المستقبل القريب، فاستمرار الوضع الراهن هو أكثر الاحتمالات ترجيحاً، ويمكن أدراج مجموعة أسباب تقود الى تبني هذا المشهد^(١):

١- تركيبة المجتمع السوري الطائفية والأثنية، وتباين مواقف الفصائل المسلحة المقاتلة للنظام فيما بينها من جهة، والاختلاف الطائفي والعقائدي مع النظام وحلفائه من جهة أخرى.

٢- عجز الجامعة العربية ومجلس الأمن والوساطات والمبادرات الدولية عن حل الأزمة.

٣- ظهور تكتلات ومحاور إقليمية ودولية مساندة ومعارضة للأطراف الصراع، مما جعل طرفي الصراع غير قادرين على تحقيق انتصارات حاسمة.

٤- ازدياد حدة الجمود الحالي ورفض أغلب الحلول المقدمة، وتفضيل أطراف الصراع لغة المواجهة لأذعان الآخر، بغية تحقيق أفضلية على الأرض تنعكس على أي مقترح للتسوية لصاحب السيطرة الميدانية^(٢).

٥- ظهور الجبهات المتطرفة ضمن الجماعات المسلحة المعارضة للنظام، مما يثير حفيضة بعض الدول الغربية من دعم المعارضة.

(١) محمود أحمد عزت، تداعيات الأزمة السورية على الأمن الإقليمي، دراسات سياسية، العدد ٢٥،

بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص ١٤٠.

(٢) جيفري وايت، الصراع في سوريا: جنيف الثاني والطريق الى المستقبل، معهد واشنطن ٢٩ كانون

الثاني ٢٠١٤.

٦ - الأزمة باتت تشكل مسألة تجاذبات دولية لا يمكن تسويتها محلياً دون تدخل مباشر وتفاهات روسية - أمريكية^(١).

ثانياً: احتمالية اتساع سيطرة النظام السوري دون القدرة على الحسم

تجاوز النظام السوري مرحلة الخطر الوجودي، إذ لم يتمكن الدعم العسكري والمالي والإعلامي الذي تقدمه جبهة واسعة من الدول الإقليمية والدولية الى المعارضة السورية العسكرية والسياسية من إسقاط نظام الأسد، ونشهد منذ انتصارات القصير تقارير حول تقدم وسيطرة النظام السوري في الصراع ميدانياً وأفضلية نسبية لصالحه مع مطلع عام ٢٠١٤، لكن دون القدرة على الحسم النهائي ويمكن توضيح الأسباب التي تقود الى طرح هذا المشهد:

١ - إعادة كفة التوازن الميداني وترسيخها للنظام السوري بأرسال حزب الله مقاتليه الى سوريا وعلى أثرها تمت استعادة العديد من المدن والتي كانت منطقة القصير الانطلاقة للاستعادة العديد من المدن وتقدم الجيش السوري بشكل كبير^(٢).

٢- بعد انتصار القصير وإعادة رسم الاستراتيجية العسكرية للجيش وبالتعاون مع حزب الله تم تشكيل اللجان الشعبية وتشكيلات الدفاع الشعبي وتدريبهم من قبل النظام ومقاتلي حزب الله، بما يساعد النظام على مسك الأرض ومواجهة الفصائل المسلحة دون تشتيت جهود الجيش، مما أسهم بتحقيق انتصارات عسكرية في مناطق مختلفة من دمشق ومن ثم يبرود آخر معاقل

(١) معتر سلامة، سيناريوهات متقاطعة: مستقبل سوريا بعد الأزمة، السياسة الدولية الأهرام اليومية،

تشرين الأول، ٢٠١٢.

(٢) توافق المكرهين...، مصدر سبق ذكره، ص٣.

المعارضة المسلحة في منطقة القلمون الاستراتيجية في شمال دمشق^(١).

٣- انسحاب المسلحين من حمص، وتوالي الانتصارات عززت صمود النظام السوري وارتفاع معنويات مقاتلي الجيش والانتقال الى مرحلة المبادرة بالهجوم بعدما كان وضعه الميداني يتسم بالدفاع عن المدن من هجمات المعارضة المسلحة.

٤ - وجود تغييرات مهمة في المواقف السياسية للدول الغربية باستثناء فرنسا إذ يمكن ملاحظة هذه التغيرات، من لغة الخطاب السياسي للدول الغربية حيال تغيير النظام السوري^(٢).

ثالثاً: احتمالية الاتفاق السياسي ومحدودية المواجهات المسلحة

رغم فشل مفاوضات جنيف ١ وجنيف ٢ من إيجاد أرضية مشتركة لصياغة حل سياسي ينهي الصراع المسلح الناشب في سوريا، إلا أن هذا لا يعني توقف البحث عن حلول بديلة، لاسيما وأن معاناة الشعب السوري في تزايد مستمر وبدت تترك آثارها على دول الجوار بشكل كبير، فضلاً عن أضرار البنى التحتية، واستمرار استنزاف أطراف الصراع دون القدرة على الحسم النهائي، مما يدفع الى البحث عن حلول سياسية تكون الأطراف الدولية حاضرة في صياغته وتبنيها من قبل المعارضة والنظام لإدراكهم المعطيات الآتية:

١ - أن أي اتفاق ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على المصالح والأهداف المتنافسة سيولد تفاهات واتفاقات لصياغة حل سياسي ينهي الصراع المسلح في سوريا لعدم قدرة أي طرف الفصل العسكري بسبب الدعم الخارجي

(١) المصدر نفسه، ص ٤.

(٢) سيد حسين موسوي، عامان على الأزمة السورية، شؤون الأوساط، العدد.

الكبير المقدم لطرفي الصراع^(١).

٢ - استمرار عمليات تفاوض النظام مع بعض الفصائل المسلحة، إذ يأمل النظام للتوصل من خلال الاتفاق والمفاوضات الى شق المعارضة، بإصرار المتمردين المتشددين بمواصلة القتال بما يتيح له بعزلهم واستغلال عامل الوقت للقضاء عليهم، بالتزامن مع الإجراءات السياسية مع بعض الفصائل^(٢).

٣ - الولايات المتحدة لا تحبذ استمرار نظام بشار الأسد في السلطة إلا أنها تحشى، أن تخلفه تنظيمات متشددة ترتبط بالقاعدة، مما يجعلها تحرص على ترتيب حل سياسي لعملية تداول السلطة^(٣).

٤ - قد تعهد روسيا لصياغة مبادرة وفق صيغة الحل اليمني وتوفير الحصانة للرئيس بشار الأسد داخل روسيا أو إيران - إن هذا الأمر أصبح مستبعداً بعد إجراء الانتخابات السورية - وبموجب هذا المشهد ستسلم السلطة الى نوع من الحكومة الانتقالية^(٤) تتضمن عناصر من النظام الحالي بالإضافة الى بعض العناصر من المعارضة.

٥ - أن طرح حل سياسي ينسجم مع رؤية حزب الله سيقبل من إنهاك الحزب وإيقاف استنزافه مع تأمين عمقه الاستراتيجي داخل الأراضي السورية، فرغم الانتصارات التي حققها مقاتلو الحزب في الميدان وما اكتسبه، من خبرات

(١) راندا موسى، المسارات المحتملة: مستقبل الأزمة السورية وتداعياتها الإقليمية والدولية، السياسة الدولية، العدد ١٩٤، مؤسسة الأهرام، ٢٠١٣، ص٥٢.

(٢) ديفيد دبليو ليش، سورية مملكة الأسد، مصدر سبق ذكره، ص٢١٥.

(٣) مجموعة مؤلفين، حال الأمة ٢٠١٢ - ٢٠١٣، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٥.

(٤) ديفيد دبليو ليش، سورية مملكة الأسد، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٥.

إضافية من الحرب في سوريا، إلا أن استمرار الحرب يعني استنزاف قيادات ومقاتلي الحزب، لاسيما وأن المواجهة القادمة قد تكون مع إسرائيل في وقت قريب.

في نهاية هذا المحور أن الاحتمالات المستقبلية التي يشهدها الصراع في سوريا قد تشكلت من جديد بواسطة الدور الكبير لمقاتلي حزب على الأرض عسكرياً فضلاً عن استثمار هذه الانتصارات الميدانية بربطها باستراتيجية سياسية ودبلوماسية من قبل النظام السوري بما يقوي موقفه، لذلك فإن أكثر الاحتمالات ترجيحاً وفقاً للمعطيات الحالية هو تزايد سيطرة وتوسع النظام والقدرة على تحرير المدن والقرى الخاضعة لسلطة الفصائل المسلحة، دون التمكن من الحسم بشكل تام، وذلك لحجم الدعم الكبير المقدم للفصائل المسلحة من عدة واعدد، مما يصعب مهمة النظام بالقضاء على المسلحين بشكل كامل ونهائي، لكن هذا المشهد والانتصارات المتتالية يثير مخاوف جبهة حلفاء المعارضة السورية، مما سيجعلهم يبذلون كل جهدهم لتزويد الفصائل المسلحة بشبكة من الدعم المالي والعسكري سيما بنوعية متقدمة من السلاح، لإعادة كفة التوازن في الصراع بعدما مالت الى النظام لإبقاء الصراع المسلح الدائر في سوريا على وضعه الحالي، دون القدرة على التفوق من قبل أحد طرفي الصراع.

ويبقى الاحتمال الأخير وهو الحل السياسي في حالة الجمود، إذ لا يظهر أي طرف اهتماماً بخوض مفاوضات جادة لوقف القتال وإيجاد تسوية، ويفضلون الاستمرار في حرب الاستنزاف على أمل الحصول على وضع أفضل للمساومة.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث أن التحول في أسلوب التدخل لحزب الله من التدخل المحدود في سورية الى الانغماس والمواجهة المباشرة بالتنسيق مع النظام السوري والعمل على تدريب وتطوير مهارات الجيش السوري، أدى الى إحداث تحول في الميدان العسكري والسياسي لصالح النظام.

ووفق المعطيات التي أحدثها حزب الله على الأرض فقد تغيرت السيناريوهات المحتملة لمستقبل الصراع في سوريا من ترجيح الحسم لصالح المعارضة وإسقاط النظام السوري، الى السيطرة الميدانية المتزايدة بعد دخول حزب كعنصر حاسم في معادلة الصراع لصالح النظام، ولم يعد هناك حديث عن إسقاط النظام السوري وإنما جميع السيناريوهات المحتملة للمستقبل مبنية على وجود النظام، اذ يمثل السيناريو المبني على تقدم النظام وتوسيع سيطرته وتحريره للمدن والقرى من سيطرة المسلحين هو السيناريو الأقرب في المستقبل المنظور، وتجدر الإشارة في نهاية البحث بأنه رغم ما يخسرهُ حزب الله من قيادات ومقاتلين في سوريا، إلا أن هذه الحرب ستجعله أكثر خبره وتمرس في خوض الحروب، فضلاً عن أن دوره في سوريا زاد من مكانته وتأثيره في الساحة الإقليمية، إذ لا يمكن تجاهله في أي ترتيبات إقليمية مستقبلية، تسعى الى تشكيلها القوى الدولية في المنطقة، وخصوصاً أن حزب الله أثبت قدرته على الثبات واراادته الصلبة في نصره حلفائه، ضد أي تهديدات تطراً، على خلاف الجبهة التي تساند المعارضة السورية، والتي تقدم المال والسلاح، لكنها تشهد تفككاً وصراعات على الزاعمة والريادة والإقليمية.

إستراتيجية الردع حزب الله بين التأييد الشعبى والرفض الرسمى العربى

حيدر زائير العامرى

المقدمة :

يعد «حزب الله» النموذج الابرز والواضح والاكثر اهمية من بين نماذج الحركات الاسلامية المعاصرة، لاسيما بعد احداث ١١ ايلول/ سبتمبر ٢٠٠١ ومافرزته تلك الاحداث من تغيرات كبيرة فى طبيعة العلاقات الدولية، فبالرغم من ان الهجمات على برجى التجارة العالمى فى نيويورك لم توجه فيها اية تهمة لحزب الله، بل اشارت الدلائل الى ضلوع تنظيم القاعدة فى تلك الهجمات، وهذا مادفع الولايات المتحدة الى شن حربها على الارهاب على تنظيم القاعدة فى افغانستان بعد اسابيع قليلة من وقوع تلك الهجمات، الا ان ذلك لم يمنع الولايات المتحدة الامريكىة من جعل حزب الله اللبنانى على لائحة اهدافها المستقبلية فى حربها على الارهاب، وهذا ماجعل الرؤية الامريكىة والاسرائيلية متطابقة الى حد كبير حول موضوع حزب الله فى لبنان، وهو ما أثبتته الواقع العملى فيما بعد بدءاً من قرار الامم المتحدة (١٥٥٩) القاضى بسحب القوات

السورية من لبنان عام ٢٠٠٤، ومن تم اغتيال الرئيس الحريري عام ٢٠٠٥ وتوجيه التهم الى سوريا وبعض عناصر حزب الله، وماتلاها من احداث في الساحة الداخلية اللبنانية التي هي ليست بمعزل عن التأثيرات الخارجية، كتشكيل محكمة دولية لمحاكمة المتهمين بأغتيال الحريري، ثم تلاها الحدث الالهم والابرز وهو الحرب الاسرائيلية على لبنان عام ٢٠٠٦، اذ يمكن عد حرب تموز ٢٠٠٦ بين حزب الله واسرائيل هي المفصل الالهم في تاريخ حزب الله بصورة خاصة، والحركات الاسلامية المناهضة لاسرائيل بصورة عامة، بما افرزته من نتائج وتداعيات مهمة شكلت نقطة التحول الكبرى في استراتيجية حزب الله وتاريخ المقاومة، لاسيما بعد فشل اللعبة الصفرية التي قامت بها اسرائيل مع حزب الله والتي كانت ترمي الى شل قدراته ومن ثم تفكيكه ومحاكمة قياداته، ليتشكل وفقا للرؤية الامريكية - الاسرائيلية ولادة شرق اوسط جديد يبدأ من لبنان والمقاومة بأتجاه المحور المساند الدائم لتلك المقاومة، وهذا ماصرحت به وزيرة الخارجية الامريكية في حينها كونداليزارايس، في بدايات الحرب الاسرائيلية على لبنان في تموز ٢٠٠١، اذ قالت بأننا «نشهد مخاظ ولادة شرق اوسط جديد».

وما اثبته الواقع الفعلي ونتائج حرب تموز ٢٠٠٦ ان هناك فعلاً شرق اوسط جديد ولكن بعكس الرغبة والرؤية الامريكية - الاسرائيلية، هو شرق اوسط رجحت فيه كفة الممانعة والمقاومة على كفة الاستسلام او التسويات الغير متوازنة، وهو مادفع اسرائيل والولايات المتحدة الى اعادة قراءة الواقع، ومحاولة التوصل الى البدائل الممكنة التي تضمن مصالح تلك الدول، وطرق تحجيم او محاصرة قوى الممانعة، بما فيها حزب الله واهم ما افرزته حرب تموز ٢٠٠٦ على

الواقع العملي، هو بروز قوة ردع جديد وفريدة من نوعها لحزب ضعيف بحسابات العدة والعدد والتجهيز لا يتجاوز مقاتليه المئات او بضع الاف ويشغل جزء من بلد صغير بحسابات او تصنيفات الدول التي يقسم فيها المتخصصون في مجال العلاقات الدولية الدول الى عظمى وكبرى ووسطى وصغرى وفقاً لحجم السكان والمساحة وغيرها من عوامل القوة او القدرة، ومحاصر ذلك الحزب من قوى سياسية داخلية منافسة له تمتلك السلطة والدعم السياسي الاقليمي والدولي، وكذلك مجاور (لدولة) تمتلك ترسانة نووية ولديها جيش يعد من بين اقوى جيوش العالم من ناحية التدريب والتقنية والتسليح وتحكمه نخبة سياسية لا تتوانى عن ارتكاب اية جريمة بمرأى ومسمع من العالم الحر (الغربي)، وتحظى بدعم ومساندة قوة عظمى هي الاولى في العالم، في ظل حقبة زمنية يذهب معظم المتخصصون الى وصفها بأنها احادية القطبية، قوة اسقطت انظمة حكم ودول خلال اسابيع كما حدث في العراق وافغانستان، بالرغم من المعارضة الدولية الواسعة، ولديها قائمة اخرى لاستهداف دول اخرى اسمتها محور الشر وهي تعد العدة لاستهدافها وتغيير انظمة الحكم فيها، فضلاً من دول اخرى اعلنت الاستسلام السياسي خوفاً من العواقب كما حدث في ليبيا بعد عام ٢٠٠٣.

وفق المعطيات الميدانية ومحددات القوة لحزب الله، وكذلك ماتشده الساحة الدولية من متغيرات خطيرة وهيمنة امريكية تحت شعار الحرب على الارهاب، خاض حزب الله حرب تموز عام ٢٠٠٦ مع اسرائيل وبدعم امريكي سياسي وعسكري معلن وصريح ومواقف عربية رسمية (مخجلة)، مع ترسانة عسكرية

اسرائيلية جوية وبرية وبحرية متطورة (دبابات الميركافا وطائرات بدون طيار وطائرات حربية وغيرها)، والحسابات العلمية العملية تشير الى الاختلال الكبير في ميزان القوى بين الطرفين، كانت النتيجة المدهشة والكبيرة وهي الصمود ووضع شروط التفاوض، بل التهديد وعدم الانصياع لاية شروط مذلة او مهينة، لتشهد المقاومة وحزب الله تحولاً جديداً ومرحلة جديدة، انتقلت من مرحلة مقاومة الاحتلال على الارض منذ الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، الى مرحلة ثانية هي طرد الاحتلال عام ٢٠٠٠، الى مرحلة ثالثة استراتيجية ومهمة عام ٢٠٠٦، وهي ردع الاحتلال عن اية محاولة اخرى لاستهداف لبنان لا احتلاله كما حدث من قبل.

هذه الاستراتيجية الجديدة كانت بين امرين مهمين هما الفرح والقبول الشعبي العربي الذي اختزنت ذاكرته هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، وبين الرفض الرسمي العربي لتلك الاستراتيجية الجديدة، لاسيما تلك الانظمة التي تنازلت عن حقوق شعوبها حفاظا على استمرارها على رأس السلطة ولو في ظل الرفض الشعبي او عدم الشرعية، ولذلك يمكن تناول تلك الاستراتيجية من خلال المباحث التالية:

المبحث الاول: مرتكزات القوة لحزب الله وأثرها في استراتيجية الردع.

المبحث الثاني: الدوافع الحقيقية والاسباب وراء حرب تموز والنتائج

الميدانية.

المبحث الثالث: استيراطية الردع بين التأييد الشعبي والرفض الرسمي

العربي.

المبحث الاول: مرتكزات القوة لحزب الله وأثرها في استراتيجية الردع

«... والله ماغزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا...»^(١)

الامام علي عليه السلام

«.. والله ان أمراً يمكن عدّوه من نفسه، يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري

جلده، لعظيم، عجزه، ضعيف ماضمت عليه جوانح صدره...»^(٢)

الامام علي عليه السلام

«... يجب ان نفق في مواجهة اسرائيل والمعتدين بكل قدراتنا المعنوية

والمادية ويجب ان نقاوم برجولة جميع السفاكين...»^(٣)

الامام الخميني رحمته الله

لمعرفة مرتكزات القوة التي استند عليها حزب الله والتي ساعدت كثيراً في بناء وتطوير قدراته العسكرية الاستراتيجية الردعية، لابد من الاشارة السريعة الى ظروف النشأة، دون الاستغراق في الجانب التاريخي.

اذ من الواضح ان حزب الله حركة اسلامية استندت على مرتكزين اساسين الاول تاريخي ديني متعلق بمفهوم الجهاد في الاسلام، ولا سيما في الفكر الامامي الاثنا عشري، وثانيهما مرتكز واقعي هو الاحتلال الاسرائيلي للبنان، أي ان المرتكز الثاني دفع باتجاه تفعيل المرتكز الاول وفقاً لما يسمى مقدمات الحكم الشرعي او مبرراته.

ومن المعروف في الفقه الامامي ان فتوى الجهاد يجب ان تأتي من اعلى سلطة دينية، أي المرجعية الدينية، لذلك كان الامام الخميني في ايران وماقام به من ثورة

اسلامية عام ١٩٧٩، وما اصدر من فتاوى ما قبل ذلك التأريخ ضد اسرائيل ومابعد نجاح الثورة الاسلامية بمثابة الشرط الجامع للمركزين التاريخي الفقهي والواقعي، فكانت انطلاقة حزب الله انطلاقه لها مبررها الواقعي ولها غطاءها الفكري الفقهي الجهادي، وما كان بوسع أي فقيه في داخل لبنان او خارجها ان يعارض فكرة الجهاد التي توافرت شروطها الموضوعية والذاتية، ولذلك حركة المقاومة لم تكن مرفوضة فقهيًا من قبل فقهاء لبنان، فقد افتى الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الشعبي الاعلى في لبنان - عام ١٩٨٢ «بحرمة التعامل مع اسرائيل حرمة مطلقة لا رخصة فيها لأحد ونبذ المتعاملين معهم»، كما ناشد السيد محمد حسين فضل الله الجنوبيين «بملاحقة الاسرائيليين في كل مكان وبكل الاساليب وبكل ما يستطيعون...»^(٤)، ولذلك برز مفهوم الجهاد - كمفهوم اسلامي - بقوة على الساحة اللبنانية، والذي يعني «بذل الوسع بالنفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين او الباغين»^(٥)، ولا شك ان المجتمع او الامة اذا تعرضت للاعتداء وهدر الكرامة، فالعقل والفطرة الانسانية تعطي الحق لذلك المجتمع في الدفاع»^(٦)، ويقول في هذا الصدد السيد محمد حسين فضل الله «.. ان الاسلام في تشريعه الجهاد والدفاع كمبدأين اساسيين، يقف امام الخيار الصعب، فيختار المواجهة لأن ذلك هو مصلحة الانسان بشكل عام، مما يجعل حياة الرسالة في مبادئها وشعاراتها مركز الاهمية الذي تتضائل امامه حياة الافراد في بعض مراحل التأريخ امام الحياة الممتدة في جميع المراحل...»^(٧).

وهنا يجب التفريق بين المرتكزات الفقهية التاريخية والموضوعية الواقعية التي استندت عليها حركة حزب الله، واعطتها الشرعية الفقهية والقانونية، وبين المقبولية الشعبية الداخلية والخارجية التي ساعدت على نمو تلك الحركة

وتطورها، اذ هناك تداخل، او التباس لدى الكثيرين حول هذين الموضوعين، وان كان هناك تداخل في بعض الاحيان بين بعض العوامل التي ساعدت في نشوء الحركة وبين العوامل التي ساعدت على ازدياد مقبوليتها الشعبية كالاحتلال الاسرائيلي مثلاً، ولكن هناك عوامل اخرى تختلف بعض الشيء عن عوامل النشأة، فما تم التطرق اليه يتعلق بالبعد الشرعي الفقهي الذي ساعد على نشأة حزب الله، ولكن ماهي العوامل التي ساعدت على بقاء ونمو المقبولية الشعبية له، واحتضانه ان صحت العبارة - من قبل الشعب في داخل لبنان، وبقية الشعوب الاسلامية، حتى وصل الى مرحلة اصبح يشكل خطراً على الانظمة العربية المستبدة القائمة، مما دفعها أخيراً الى محاولة تحجيمية او محاصرته او مواجهته فكريا وسياسيا واقتصاديا واعلاميا.

هناك عوامل متعددة ساعدت على بقاء وتطور حزب الله وازدياد مقبوليته الشعبية، ويمكن الاشارة الى تلك العوامل، كما يلي:

١- العوامل العقائدية: والتي تعود الى بدايات القرن العشرين وماشدهه من نشاط ديني من قبل عدد من المفكرين الاسلاميين والمصلحين كجمال الدين الافغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) والكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢) وهؤلاء حاولوا احياء الفكر الاسلامي من حالة السبات التي مر بها^(١)، وكان نتاج تلك النشاطات هو تشكل حركات اسلامية سياسية، كان من اهمها حركة الاخوان المسلمين في مصر التي اسسها حسن البنا عام ١٩٢٨، وغيرها من الحركات الاسلامية الاخرى^(٢)، والتي جاء بعضها كرد فعل لما قام به الغرب، إذ يقول في هذا الصدد سيد قطب، هناك جهود تبذل - منذ قرون - لخصر

الاسلام في دائرة الاعتقاد الوجداني والشعائر التعبديّة، وكفّه عن التدخل في نظام الحياة الواقعية، ومنعه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعي للحياة البشرية وكما هي طبيعته، كما هي حقيقته، وكما هي وظيفته...»^(١١).

فالبعد الديني العقائدي هو الذي ساعد على نشوء الحركات الاسلامية وتزايد مقبوليتها، والدعوة الى الرجوع الى تحكيم الاسلام وقيمه وقواعده في الحياة الاجتماعية، ومعارضة كل الدعوات التي تحاول ابعاده عن مسرح الحياة الاجتماعية.

٢- العوامل السياسية: وهي من بين اهم العوامل التي ساعدت على نمو الحركات الاسلامية وازدياد مقبوليتها - ومن بينها حركة حزب الله، اذ يرى «أسبوزيتو» ان دراسة الصحوة الاسلامية على انها حركة سياسية واجتماعية تحولت دون منازع في العقود الاخيرة الى قوة سياسية وفكرية عظيمة^(١٢)، كما اشار الى نفس السبب السيد محمد حسين فضل الله بقوله «ان البعد عن السياسة يعني البعد عن الشخصية الاسلامية الحرة والعودة الى النوم العميق المستسلم للأحلام الذليلة في احضان الكفر والاستكبار، لان مثل هذا الموقع يؤدي الى ان نترك امورنا للآخرين في ترتيب الحياة على الصورة التي تتفق مع ملاحظهم وتبتعد عن صورتنا الحقيقية^(١٣)، ولذلك فالعامل السياسي هو الاساس المهم في ضرورة ايجاد حركات سياسية اسلامية لها رؤى سياسية تختلف عن الرؤى السياسية الاخرى.

٣- من بين العوامل التي ساعدت على نمو وتطور الحركات الاسلامية وتزايد قوتها ومقبوليتها، هو تراجع المشروع القومي العربي، اذ مر الفكر القومي بمرحلتين المرحلة الاولى وهي مرحلة القوة، والتي جرى من خلالها عدم السماح للحركات الاسلامية بان تأخذ دورها كشريك او كمنافس او كبديل لذلك

الفكر وقد امتدت تلك المرحلة منذ اندلاع حركات التحرر العربية ضد قوى الاستعمار، ومن ثم قيام الثورات على النظم الملكية العربية وقيام الجمهوريات كما حدث في ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٢ في مصر، والزعامة التي قادتها تلك الثورات نحو التحرر والمشاريع الوحدوية^(١٣).

وقد شهدت تلك المرحلة مواجهة مع الحركات الاسلامية، كما حدث في مصر مع الاخوان المسلمين الذي انتهى باعدام سيد قطب عام ١٩٦٦. ولكن بدأت الانتكاسة والتراجع للفكر القومي على المستوى السياسي ومن ثم الاجتماعي بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ والحرب ضد اسرائيل وماتلاها من احداث انتهت باتفاقيات كامب ديفيد في عام ١٩٧٩، ومن ثم اتفاقيات اوسلو مابعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وكان امام ذلك التراجع وتلك الانتكاسات ان يتبلور من جديد الفكر السياسي البديل، ولذلك يقول محمد حسين فضل الله «... ان الصحوة الاسلامية ولدت من كل التوترات المتنوعة والضغوطات الظالمة ليشعر الانسان المسلم بان الاسلام يحركه من جديد ويتحرك به من جديد وليخوض الصراع الطويل في هذا المجال»^(١٤) ومن الممكن القول ان هناك احداث ثلاثة تسببت في تراجع او فشل المشروع القومي العربي والذي على انقاضه بدأ صعود الفكر السياسي الاسلامي وبقوة، وهذه الاسباب هي:

السبب الاول: ماجرى عام ١٩٦٧ في حزيران والذي سمي بالنكسة او الهزيمة امام اسرائيل وماتلاها من توقيع اتفاق بين مصر واسرائيل ومقام به السادات عام ١٩٧٩^(١٥).

السبب الثاني: الاحتلال العراقي للكويت في ٢ اب/ أغسطس ١٩٩٠ وقيام حرب الخليج الثانية ودخول القوات الاجنبية في المنطقة العربية الاسلامية. وتزايد القواعد العسكرية الامريكية في المنطقة^(١٧).

السبب الثالث: التسويات التي قامت بين الدول العربية واسرائيل في اوسلوا ومديرد ووادي عربة وغيرها^(١٨).

وقد اشار الكاتب احمد موصلي الى ان الصحوة الاسلامية جاءت على شكل ثلاث مراحل الاولى كانت ردة فعل ضد الاستعمار والثانية كانت ردة فعل على الدولة القومية والثالثة ردة فعل على هزيمة الدولة القومية^(١٩) وامام تلك العوامل التي اثرت بشكل كبير على تصاعد الحركات الاسلامية، كانت البيئة اللبنانية من بين البيئات العربية الاسلامية الاكثر ملائمة، وسبب ذلك فضلاً لما تم التطرق له من عوامل ترتبط بالجانب الفكري، ماحدث على الساحة اللبنانية من مخاطر وهي التي دفعت الحركات الاسلامية ومن بينها حزب الله في الظهور السريع وبقوة على الميدان، اذ شهدت لبنان اجتياحاً اسرائيلياً كان الاول جزئياً عام ١٩٧٨، ومن ثم الاجتياح الكلي عام ١٩٨٢ بحجة القضاء على الفصائل الفلسطينية المتواجدة على الاراضي اللبنانية^(٢٠)، وماقامت به اسرائيل من ارتكاب مجازر بحق المدنيين لاسيما مجازر صبرا وشاتيلا ضد الفلسطينيين، والتي تشير الاحصائيات ان (٥٠٪) من الضحايا كانوا من اللبنانيين الجنوبيين الذي كانوا يعيشون بقر مدقع مع اولئك الفلسطينيين^(٢١)، وكانوا من الطائفة الشيعية في لبنان التي عانت من الحرمان السياسي والاقتصادي لفترات طويلة منذ استقلال لبنان وحتى بداية الستينات من القرن الماضي، عندما حاول السيد (موسى الصدر) اصلاح ذلك الوضع من خلال (حركة المحرومين)، ذلك المشروع الذي اصطدم

بالواقع الداخلي (الحرب الاهلية) والواقع الاقليمي والدولي والذي كان السبب وراء اختفائه في ليبيا منذ عام ١٩٧٨^(٣١).

ولكن الحدث الاكبر والاهم هو قيام الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ وموقفها المبدئي والثابت من القضية الفلسطينية واسرائيل، والتي اعطت فيما بعد دافعاً قويا للحركات الاسلامية بصورة عامة ولحركة حزب الله بصورة خاصة، تلك الثورة التي شكلت الملاذ والبديل الافضل لما حدث في عام ١٩٧٩ في كامب ديفيد وماتلاها من احداث على الساحة العربية، والتي يصفها السيد محمد حسين فضل الله بقوله «... اصبحت سياسة التعب والخوف هي السياسة التي تحكم الواقع العربي على كل المستويات ولكن المقاومة ولاسيما المقاومة الاسلامية استطاعت بصمودها ان تحترق حاجز الخوف وتبث في الناس روحية جديدة، بأيمانها ومواقفها واعادت العنفوان للامة بعد ان كاد يسقط امام قوة اسرائيل»^(٣٢)، ولذلك لم تكن الحاجة الى المقاومة في لبنان من قبيل الترف الفكري او التنافس السياسي على المكاسب، وانما ولدت في ظل ظروف صعبة ومن حاجة ملحة، فكانت تلك من نقاط القوة في المقاومة وحزب الله في لبنان، اذ تسبب الاجتياح الاسرائيلي بأحتلال اول عاصمة عربية دون ان تستطيع اية قوة محلية داخلية او اقليمية رده، بل على العكس من ذلك، رأى البعض من السياسيين في حينها بالتعامل معه كأمر واقع على الارض ولربما التعاون معه ضد أي تنظيم او حركة مقاومة لذلك الاحتلال، وهذا ماجرى فعلا على الساحة اللبنانية، ومما قامت به بعض الفصائل المسلحة، اذ قامت الحكومة اللبنانية بتوقيع اتفاق مع اسرائيل في ٧ اذار/ مارس ١٩٨٣ وبرعاية امريكية، ولذلك لم يكن النظام

السياسي القائم في لبنان في حينها بموضع ثقة من قبل حركات المقاومة اللبنانية وبضمنها حزب الله^(٢٣)، مما تسبب فيما بعد بأزمات امنية وسياسية لاتزال بعض اثارها قائمة، ولذلك يمكن القول بان من اهم عوامل القوة في المقاومة وحزب الله، انها ولدت في ظروف صحيحة وملحة، وخرجت من رحم المعاناة اللبنانية، ولا مست واقع الامة اللبنانية، وهذا ما أكده ايضا السيد محمد حسين فضل الله حول المقاومة بقوله «... التفكير في المقاومة من اجل الانسان نقبل الارض والوطن، لانه لاقيمة لارض يكون الانسان عليها دليلاً مستعبداً، ولا قيمة لوطن يكون الانسان فيه منهزماً... كانت المقاومة من اجل ان يشعر الانسان بانسانيته...»^(٢٤).

وما أكد قوة المقاومة في انطلاقتها ضد الاحتلال الاسرائيلي، ما قامت به من عمل نوعي فريد، فتح الباب امام نوع اخر من القوة المعنوية التي لم تكن اسرائيل تحسب حسابها، وهذا ما حدث في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢ عندما دوى الانفجار مقر الحاكم العسكري في مدينة صور والذي ادى الى سقوط عشرات القتلى والجرحى الاسرائيليين، والذي نفذ تلك العملية شاب من بلدة (دير قانون) وهو (احمد قصير)، الذي فاجئ الاسرائيليين وحقق تغيراً نوعياً في المجاهدة الطويلة بين الاسلاميين وجيش الاحتلال^(٢٥)، مما تسبب اخيراً بالانسحاب الاسرائيلي الى الشريط الحدودي مع لبنان ومن ثم الخروج عام ٢٠٠٠ بأستثناء قرى محدودة (مزارع شبعا) وغيرها، والتي ماتزال اسرائيل تعيش هاجس الانسحاب ازاءها، بسبب مطالب المقاومة بضرورة الانسحاب منها بعدها اراضي لبنانية محتلة ويجب تحريرها كباقي الاراضي اللبنانية المحررة.

المبحث الثاني: الدوافع الحقيقية وراء حرب تموز وقدرات حزب الله

كانت حرب تموز ٢٠٠٦ هي نقطة التحول في تاريخ المقاومة، بسبب ما أفرزته من نتائج مهمة، والتساؤل الملح والمهم هو من بدأ الحرب ومن تسبب بها، او بمعنى اخر هل ان الحرب قد تم التخطيط والاعداد لها مسبقا من قبل اسرائيل، ام كانت مفاجئة وردة فعل لما قام به حزب الله من خطف جنديين اسرائيليين، ويمكن الاشارة الى اهم الازاء في هذا الصدد وكما يلي:

الرأي الاول: ويذهب اصحاب هذا الراي الى ان حرب تموز كانت ردة فعل اسرائيلية ضد حزب الله ولبنان بسبب ما قام به حزب الله في عملية «الوعد الصادق» داخل العمق الاسرائيلي والتي اسفرت عن اسر جنديين اسرائيليين وقتل ثلاثة اخرين وجرح ما يقارب (٢١)، وذلك العمل بحسب اصحاب هذا الرأي - هو الذي دفع اسرائيل الى القيام بعدوانها على لبنان في تموز ٢٠٠٦، وهذا الراي - حسب ما أظن - بعيداً عن الواقع، بالرغم من الترويج له من قبل وسائل اعلام عربية رسمية واجنبية، وبعض الخصوم السياسيين لحزب الله في داخل لبنان، اذ صوّروا اصحاب هذا الرأي ان اسرائيل لم يكن في نيتها شن أي هجوم او اعلان حرب على الاراضي اللبنانية، وان ما قامت به كان ردة فعل لما قام به حزب الله في عملية اسر الجنديين.

والرأي الراجح ان سبب تبني بعض الانظمة العربية وكذلك بعض الخصوم السياسيين لحزب الله في داخل لبنان لهذا الراي يعود الى عوامل متعددة سياسية وعقائدية واستراتيجية، فالقول بأن حزب الله هو من تسبب باندلاع الحرب والمواجهات سوف يخفف وطأة الضغط الشعبي من قبل الشعوب العربية على

حكوماتها بسبب عدم ادانتها للعدوان الاسرائيلي على لبنان، كذلك نجاح اسرائيل في تحقيق اهدافها في تلك الحرب - بحسب رأي تلك الانظمة السياسية العربية - سوف يؤدي الى انهاء او اضعاف حزب الله، وتقوية اطراف داخلية اكثر ولاءً لتلك الانظمة، مما يؤدي مستقبلاً الى تغيير المعادلات السياسية في الداخل اللبناني لحساب حلفاء تلك الانظمة، أما الاسباب الايديولوجية فتتعلق بعقيدة حزب الله الدينية التي تربطه مع ايران - نفس العقيدة (المذهبية) - والتي سببت قلقاً لبعض الانظمة العربية، كالسعودية ومصر وغيرها، اما الاسباب الاستراتيجية فكان انتصار اسرائيل - لو حصل فعلاً في تموز ٢٠٠٦ - كما كانت تتمنى بعض تلك الانظمة - سوف يؤدي الى انهاء محور المقاومة او الممانعة لاسرائيل، وانتصار او مقبولية مبدأ التطبيع او التطويع مع اسرائيل، والخلاص من القلق والخرج الذي تشعر به الانظمة العربية وماتقوم به من علاقات سرية مع اسرائيل، خوفاً من ردة الفعل الشعبية داخل دولها، ولذلك حتى فيما يتعلق بمسألة تسوية الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، وماتؤكد عليه بعض الانظمة العربية، ليس هو في الواقع بدافع الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني - بعده جزء من الامة العربية والاسلامية - ولكن بسبب الحرج الذي تعيشه تلك الانظمة داخل دولها، والضغط الشعبية التي تتعرض لها، والتي تؤثر على استقرار واستمرار نظمها السياسية القائمة، ولذلك برز الموقف السعودي الرسمي في حرب تموز في بيان رسمي ادان فيه صراحة حزب الله وحمله مسؤولية مايجري في الساحة اللبنانية دون ان يوجه اية ادانة للعدوان الاسرائيلي، فجاء في الموقف السعودي «... هناك فرقا بين المقاومة الشرعية والمغامرات غير المحسوبة»^(٢٦)، عادين ما قام به حزب الله مغامرة، ومحملين ذلك الحزب مسؤولية

ما تقوم به اسرائيل من عدوان» وهو الموقف نفسه للاردن ومصر بتصريحهم الرسمي «ان القيام باعمال تصعيدية غير مسؤولة تستهدف جر المنقطة الى اوضاع خطيره، وتورطها في مواجهات غير محسوبة تتحمل تبعاتها دول المنطقة وشعوبها»^(٢٧) كما حذرا في نفس الوقت كل من الرئيسان الاردني والمصري (عبدالله ومبارك) من ان خطف الجنديين الاسرائيليين يؤدي الى انجرار المنطقة الى مغامرات لاتخدم المصالح والقضايا العربية...»^(٢٨) كما اكد كل منهما على دعمها الكامل للحكومة اللبنانية في جهودها للحفاظ على مصالح لبنان وصون سيادته واستقلاله وبسط سلطتها على كامل التراب اللبناني...»^(٢٩)، وعند مراجعة تلك المواقف الرسمية وبالخصوص السعودية والاردن ومصر، نرى وحدة الموقف في ادانة حزب الله، والتغاضي عما تقوم به اسرائيل، فضلاً عن مساندة الحكومة في داخل لبنان، والتي كانت تتلقى الدعم من تلك الدول على حساب مكانة ونشاط حزب الله، كما كانت على خلاف مع حزب الله، ادت في نهاية المطاف الى حجب الثقة عن رئيسها (فؤاد السنيورة) رغم الدعم العربي والاقليمي والدولي لها، وقد جاءت نتائج حرب تموز ٢٠٠٦ على عكس رغبة وأمنيات تلك الانظمة، اذ لم تستطع اسرائيل نزع سلاح حزب الله، كما انها لم تستطيع التقدم كثيرا على مواقع حزب الله ولم تنه وجوده، مما ادى الى ازدياد الازمة فيما بعد بين حزب الله وبين منافسيه او غرمائه في الداخل اللبناني، فضلاً عن ازدياد الخلاف مع تلك الانظمة العربية التي كانت موافقها ضد حزب الله.

الراي الثاني: وهو معاكس تماما للراي الاول، وهو ماذهب اليه بعض حلفاء حزب الله ومناصريه، بأن حرب تموز ليست لها علاقة مطلقا بختف الجنديين،

وانما تم الاعداد لها مسبقا، وان اسرائيل تقوم بتلك الحرب سواء قام حزب الله بذلك العمل في خطف الجنديين، ام لم يتم بذلك، وهذا الرأي لا يصمد أمام النقد ايضا.

الراي الثالث: وهو الارجح، ولربما يجمع بين الرأيين، وهو انه لم تكن الحرب التي شنتها اسرائيل على لبنان كانت مفاجئة وغير معد لها مسبقا من قبل اسرائيل، كما انه في الوقت نفسه لم يكن ماقام به حزب الله في عملية خطف الجنديين لادخل له بتلك الحرب وانما الراي الاقرب للواقع، ان عملية خطف الجنديين الاسرائيليين من قبل حزب الله كانت بمثابة القدحة للوقود الذي اعدته اسرائيل لحرق لبنان، وهذا ماتم التأكد منه لاحقا، فلو لم يتم حزب الله بخطف الجنديين الاسرائيليين فلربما تأخرت الحرب لما بعد ذلك التاريخ، أي مابعد تموز/٢٠٠٦، ولو لم تكن اسرائيل قد اعدت واستعدت لمهاجمة لبنان وتدمير بناه التحتية، لما وسعت ذلك العدوان بالصورة الوحشية التي رأيناها، فكانت عملية حزب الله بمثابة اعطاء الضوء الاخضر للعدوان الذي اعدت له واستعدت له كثيرا، وقد اشار كل من «ميرشايمر وستيفن والت» الى ذلك بقولهم «... بالرغم من انه لامبرر لغارة حزب الله، فانها لم تشكل عملاً استفزازيا بشكل غير مؤلوف، كون كل من اسرائيل وحزب الله كان يقوم بعمليات توغل عنيفة - واحيانا قاتلة - في اراضي بعضهما البعض، منذ ان انسحبت اسرائيل من جنوب لبنان في ايار/مايو ٢٠٠٠...»^(٣٠) فلو لم يكن هناك استعداد مسبق من قبل اسرائيل لما قامت بتلك الحرب الواسعة على لبنان، وهذا ما أكده (جيرالد ستانيرغ) استاذ العلوم السياسية في جامعة (بارايلان) الاسرائيلية بقوله «... من بين كل حروب اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ فان هذه الحرب هي التي استعدت لها

اسرائيل اكبر استعداد، وان التحضير لها بدأ بعد عام ٢٠٠٠ مباشرة بعد الانسحاب الاسرائيلي...»^(٣١).

واياً تكن الاسباب فقد وقعت الحرب في تموز/ يوليو ٢٠٠٦، واستمرت لـ (٣٤) يوم وهي اطول عملية عسكرية تخوضها اسرائيل منذ قيامها عام ١٩٤٨، وقد استهدفت اسرائيل في تلك الحرب البنى التحتية في لبنان والاهداف المدنية كالمطارات والجسور ومحطات الكهرباء وغيرها، وكان الهدف من ذلك، فضلاً عن الانتقام، تهيج الرأي العام الداخلي اللبناني ضد حزب الله، حيث اشار التقرير الذي صدر في اب/ أغسطس ٢٠٠٦، أي بعد نهاية الحرب مباشرة الى حجم الدمار والخراب بسبب ما قام به سلاح الجو الاسرائيلي ما بين ١٢ تموز/ يوليو الى ١٤ اب/ اغسطس في اكثر من (٧٠٠٠) غارة جوية على نحو (٧٠٠٠) هدف في لبنان، وقامت البحرية بـ (٢٥٠٠) عملية قصف اضافية، وقدر عدد الضحايا بـ (١١٨٣) شهيد و(٤٤٥٠) جريح و(٩٧٠.٠٠٠) مهجر لبناني مع تدمير (٣١) مرفقاً حيوياً مثل المطارات والمرافئ ومعامل التكرير المياه والمنشآت الكهربائية، فضلاً عن تدمير نحو (٨٠) جسراً و(٩٤) طريقاً وقصف (٢٥) محطة وقود ونحو (٩٠٠) منشأة تجارية وحوالي اكثر من (٣٠.٠٠٠) محل تجاري وبيت سكني، مع تدمير مستشفين حكوميين في بنت جبيل وميس الجبل تدميراً كاملاً^(٣٢).

كما اكد الخبير الامريكي في الشؤون العسكرية (فوليام أركن) في مقالته بـ(لواشنطن بوست) ان اسرائيل خلفت وراءها في حملتها العقابية مستوى مريعاً من الدمار خارج المنطقة القتال مباشرة^(٣٣).

وهذا الرد الانتقامي لا يتناسب بكل المقاييس مع ما قام به حزب الله، بل حتى القانون الدولي الانساني لم يجز الاستخدام المفرط للقوة ضد العدو فضلاً عن تحريم الاهداف المدنية^(٣٤)، وكما اعتادت اسرائيل دائماً بتجاهلها للقوانين الدولية، ولا سيما فيما يتعلق بالقضايا الانسانية، فقد اشارت المعلومات الى انه في اخر ثلاثة ايام من الحرب، عندما بدأت ملامح توقفها تكاد ان تكون وشيكة، فبدلاً من تخفف اسرائيل من قصفها للاهداف اللبنانية، جرى العكس من ذلك، اذ اطلق الجيش الاسرائيلي مايزيد على مليون قنبلة على الجنوب (الذي عدد سكانه ٦٥٠.٠٠٠)، أي معدل قنبلتين لكل فرد تقريباً، وذكر جندي اسرائيلي في احدي كتائب المدفعية «... اطلقنا في الساعات الـ ٧٢ الاخيرة كل الذخائر التي في حوزتنا على مواقع دون ان نغير وجهة المدفع...»، ويقدر ان الجيش الاسرائيلي اطلق خلال الحرب ما يقارب (٤) ملايين قنبلة^(٣٥)، ولذلك ادت القنابل العنقودية الى مقتل (٢٩) لبنانياً وجرح (٢١٥) اخرين منهم (٩٠) من الاطفال خلال الاشهر الثمانية مابعد نهاية حرب تموز^(٣٦)، وكان الهدف من ذلك فضلاً من الروح الانتقامية والعدوانية الاسرائيلية، هو تأليب الراي العام المحلي ضد حزب الله، وتحميله تبعات ماجرى في لبنان من دمار، من اجل الفصل بين المقاومة وبين حاضنتها الاجتماعية الداعمة والمساندة لها، وهذا ماتنبه له حزب الله بيقظة وحذر شديدين، حيث وعد بتقديم المساعدات وتعمير المنازل حتى لو ان الحكومة تلكأت أو تنصلت عن ذلك.

المبحث الثالث: استراتيجية الردع بين التأييد الشعبي والرفض الرسمي العربي

«كنا نعاني القهر حتى جئنا رب البرية دون وعد ارسلك
جرعتهم كأس الهزيمة علقماً فرّت جحافلهم وأهلك من هلك
أرجعت حق البائسين نصرتهم كل الذين نصرتهم كانوا معك»

من ابيات للشاعر عمر الفرا (قصيدة الفجر)^(٣٧)

«نحن نعرف ان امريكا ذات السياسة البراغماتية واسرائيل ذات السياسة
التي لا تريد ان تبقي أي موقع قوة في العالم العربي ولا تحب بأية قوة لاية دولة
عربية حتى لو كانت متحالفة معها مثل مصر...»

(السيد محمد حسين فضل الله)^(٣٨)

«... أنتم اردتم حربا مفتوحة، نحن ذاهبون الى الحرب المفتوحة ومستعدون
لها، حرباً على كل صعيد الى حيفا، وصدقوني الى مابعد حيفا ومابعد بعد حيفا،
الذي سيدفع الثمن ليس وحدنا، لن تدمر بيوتنا وحدنا، لن يقتل أطفالنا وحدنا،
لن يشرّد شعبنا وحدنا...»

السيد حسن نصر الله^(٣٩)

تم الاشارة الى مراحل ثلاث مرت بها حركة المقاومة في حزب الله وهي
مرحلة مقاومة الاحتلال على الاراضي اللبنانية حتى انسحابه عام ٢٠٠٠
والمرحلة الاخرى بدأت منذ عام ٢٠٠٠ لمقاومة وصد اية محاولة لدخوله ثانيا الى
الاراضي اللبنانية كما يقوم دائماً في قطاع غزة والضفة، وكانت حرب تموز ٢٠٠٦

قد أدخلت المقاومة في مرحلة ثالثة وهي مرحلة ردع العدوان العسكري على لبنان، حتى لو لم تقم اسرائيل بعملية توغل واحتلال داخل الاراضي اللبنانية، وهذا ماثبت واقعيا في حرب تموز ٢٠٠٦، بالرغم من ان الكثير من الانظمة العربية لا يروق لها ذلك، بل على العكس راحت توظف الاعلام بغير هذا الاتجاه، والسؤال المطروح هنا ماهي اهمية هذه الاستراتيجية - أي استراتيجية الردع - ولماذا التأكيد عليها؟؟

والواقع انه لا يمكن ابراز مدى اهميتها ما لم يتم الاشارة ولو بأيجاز الى الظروف الداخلية والاقليمية والدولية التي برزت وتبلورت فيها هذه الاستراتيجية، وكيف استطاع حزب الله ان يصل الى تلك المرحلة؟ اذ لم يكن الوضع الداخلي (على الساحة اللبنانية) ولا الوضع العربي الاقليمي ولا الوضع الدولي في حينها يساعد على تحقيق ذلك، بل حتى الاطراف المناصرة والمساندة والداعمة لمحور المقاومة وهي سوريا وايران كانت تمر بحالة من الضعف، واحتمالية الاستهداف من قبل الولايات المتحدة الامريكية، والتي أسماها الرئيس الامريكى السابق جورج بوش الابن بدول محور الشر^(١)، والتي حددها بأيران والعراق وكوريا الشمالية وسوريا، ويمكن الاشارة الى كل من البيئة الداخلية والاقليمية والدولية التي شهدتها تلك الحقبة وكما يلي:

اولا: البيئة الداخلية اللبنانية وانعكاساتها على قدرات حزب الله:

والمقصود هنا بالبيئة السياسية الداخلية هي تلك التي شهدتها لبنان، اذ من المعروف ان لبنان لم تشهد استقرارا سياسيا حقيقيا منذ استقلالها، اذ شهدت حربا اهلية عام ١٩٧٥، ثم الاحتلال الاسرائيلي الجزئي عام ١٩٧٨، ثم الاجتياح عام

١٩٨٢، وامام ذلك الحدث الاكبر، كانت هناك خلافات في كيفية التعاطي مع الاحتلال، وكما تم الاشارة الى الموقف الرسمي الذي تعامل مع اسرائيل كأمر واقع على الارض ومن ثم عقد اتفاقية معها، ولذلك وكما يقول الكاتب اللبناني (حسن فضل الله) «... لم يكن النظام السياسي القائم في لبنان موضع ثقة من قبل الحركات الاسلامية ما قبل اتفاق الطائف، لاسيما ما تعلق بانتخاب امين الجميل، بسبب العلاقات بين حزب الكتائب الذي يساند السلطة وبين الولايات المتحدة واسرائيل...»^(٤١) ولذلك جرى استهداف لعناصر ورموز في المقاومة الاسلامية من قبل تلك التنظيمات، وهذا ما تسبب في اضعاف قدرة المقاومة في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي، وبالرغم من ذلك فان شهداء المقاومة لحزب الله في صراعه مع اسرائيل حتى انتهاء الاحتلال عام ٢٠٠٠ بلغ (١٢٨١) شهيد^(٤٢) وهو عدد ليس بالكثير اذا ما قورن بسطوة وقوة اسرائيل وأجهزتها الاستخبارية وما كانت تقوم به من تصفيات، وهذا ما ساعد على تطوير قدرات حزب الله في كيفية مواجهة العدوان الاسرائيلي فيما بعد، بالرغم من عدم المساندة السياسية من قبل اطراف متنفذة في الداخل اللبناني، بل اراد البعض منهم ان يجعل مشكلة لبنان هي المقاومة وليس الاحتلال، وهذا ما اشار اليه السيد محمد حسين فضل الله بقوله «... ان المشكلة ليست في وجود المقاومة المشكلة انها هي في وجود اسرائيل» كدولة لا شرعية على حدود لبنان، مادامت اسرائيل موجودة، فعلياً ان نتظر مشاكل امنية بطريقة او بأخرى تضعف وتقوى تبعاً للمصالح السياسية الاسرائيلية...»^(٤٣) وبالرغم من ذلك فقد استطاع حزب الله من كسب تأييد مصدر القوة الحقيقية في الداخل اللبناني، وهو الشعب اللبناني بصورة عامة،

وسكان الجنوب على وجه الخصوص، وقد اكد ذلك «دينيس روس» في كتابه (فن الحكم) بقوله «... اكتسب حزب الله في لبنان شعبية بتوفير الخدمات الاجتماعية، اذ وفر المساعدات الاجتماعية والاقتصادية الوحيدة للشيعا في جنوب لبنان وضاحية بيروت الجنوبية، في حين تجاهلتم الحكومة بالكامل.. وهكذا شكل الاسلاميون حالة شعبية على عكس الانظمة الفاسدة البعيدة عن مطلب الناس، وعكس الاصلاحيين الذين يبدون غالباً مهتمين بتطوير اجندة ديمقراطية نظرية...»^(٤٤).

والنجاح الذي حققه حزب الله في هذا المجال، وهو كسب ثقة وتأيد شريحة واسعة داخل المجتمع اللبناني، كان هو العامل المهم في تزايد قوة حزب الله، اذ حافظ على الخاطنة الوطنية الاجتماعية للمقاومة مما أكسبها شرعية كبيرة جعلته في منأى عن مخاطر التهديدات من الخصماء السياسيين الداخليين وخططهم وتحالفاتهم الخارجية الاقليمية والدولية، والشيء الملفت للنظر ان تلك المساندة والمقبولية الشعبية لم تقتصر فقط على الداخل اللبناني، بل تعدته بصورة مذهلة الى الشعوب العربية والاسلامية، حتى بدت تلك المقبولية تشكل خطراً على الانظمة السياسية العربية القائمة، مما دعاها الى تكثيف جهودها في مواجهة الخطر الزاحف - بحسب رأيها - من مقبولية حزب الله داخل بلدانها، وهذا ما أكدته جملة من الكتاب العرب وبضمنهم كتاب اسرائيليون، فضلاً عن المسيرات والاحتجاجات الشعبية التي شهدتها تلك البلدان المساندة والمؤيدة لحزب الله في حربه عام ٢٠٠٦ ضد اسرائيل، وقد اشارت صحيفة (بديعوت احرنوت) الاسرائيلية الى ذلك بأن... غالبية الشعب العربي اصبحوا يرون في حسن نصر الله الامين العام لحزب الله هو المهدي المنتظر وضربت الصحيفة مثلاً على ذلك

بالموريتانيين الذين بدأوا يهرولون خلال الايام الماضية على مكاتب السجل المدني لتغيير اسماء ابناءهم الى اسم (حسن نصر الله)^(٤٥)، وهذا يدل على تنامي القبولية الشعبية على حساب شرعية ومواقف الانظمة السياسية القائمة في تلك البلدان، لاسيما التي وقفت مواقف سلبية تجاه حزب الله والمقاومة في حرب تموز ٢٠٠٦، ومن الامور الاخرى المتعلقة بالبيئة الداخلية لا بد من الاشارة الى موقف حزب الله من الجيش اللبناني، فاذا كانت الخصومة السياسية في الداخل اللبناني هي السائدة، فان موقف المقاومة من الجيش اللبناني قد شهد تطورات مهمة، ففي الوقت الذي كانت فيه المقاومة منذ انطلاقتها عام ١٩٨٢ ترى الجيش اللبناني الخصم الذي قاتلها في الضاحية وبيروت، اذ اول صدام مسلح كان مع الجيش عام ١٩٨٣^(٤٦)، بعد ان كان ذلك الجيش الاداة الطيعة والوسيلة لمواجهة حركة المقاومة، استطاع حزب الله بفعل سياسته الداخلية الى تحييد موقف الجيش اولاً ومن ثم كسب وده ودعمه من خلال التأكيد مراراً على انه مساند له لحماية الاراضي اللبنانية من الخطر الاسرائيلي وليس بديلاً عنه او مهدداً له^(٤٧)، وهذا مانجح فيه الحزب وحركة المقاومة الى حد كبير، حيث طرح الامين العام لحزب الله أخيراً الثلاثة التي تحمي الشعب من الخطر الخارجي وهي الجيش - الشعب - المقاومة، وبالتالي عملت هذه السياسة على زيادة قوة الردع لدى حزب الله، من خلال الابتعاد عن الاصطدام العسكري في البيئة الداخلية، وهذا ما ثبت في الواقع العملي رغم محاولات بعض الخصوم السياسيين لحزب الله من زج الجيش ضد المقاومة في خلافهم السياسي.

ثانياً: البيئة الاقليمية وأثرها في قدرات الردع لحزب الله.

لا يمكن الفصل بين البيئة الداخلية وبين البيئة الاقليمية عند دراسة قدرات الردع لحزب الله، فليس بمقدور اية دولة، فضلاً عن تنظيم يشكل جزءاً من دولة، ان يستطيع بناء قدراته دون المساعدة الاقليمية والدولية، وفيما يخص حركة المقاومة وحزب الله، فإن بيئته الاقليمية، ولاسيما العربية - بأستثناء سوريا وايران - كانت تشكل عائقاً ومانعاً لتطوير قدراته الاستراتيجية وهذا ما ثبت بالواقع العملي، ولا بد هنا من التفريق فيما يتعلق بالبيئة الاقليمية بين نمطين او نوعين هما:

(أ) البيئة الاقليمية الشعبية والتي تم التطرق اليها، وهذه البيئة هي مصدر القوة الفعلية الحقيقية، وقد استطاع حزب الله من كسب تأييدها ودعمها.

(ب) البيئة الاقليمية الرسمية والمتمثلة بالانظمة السياسية القائمة سواءً الخصوم والمنافسين في الداخل اللبناني، او الانظمة العربية، وهي بيئة تمتلك المال والثروة والاعلام وقد وقفت بالند لحركة المقاومة وحزب الله، وحاولت أخيراً إنهاء وجوده على الساحة اللبنانية من خلال حرب تموز ٢٠٠٦، وهذا ما اكده الكاتب الاسرائيلي (شمعون شيفر) الخبير بالشؤون السياسية بصحيفة (بديعون أحرنوت) من خلال مقالة نشرت يوم الاحد ٢٣ يوليو/ تموز ٢٠٠٦ «... ان اسرائيل لاتواجه أي ضغوط لانهاء الحرب التي تخوضها على لبنان، حتى السعودية ومصر والاردن وقطر وابو ظبي والامم المتحدة، تريد رؤية اسرائيل وهي تفتك بحزب الله حتى اخر قطعة...»^(٤٨).

كما اشار الى «وجود مصلحة مشتركة بين الحكومات العربية واسرائيل

لتدمير حزب الله»^(٤٩)، كما أكد في نفس الصحيفة الخبير بالشؤون العسكرية «الكيس فيشان» نقلاً من وزير الدفاع الإسرائيلي عمير بيريتس قوله «علينا ان ندرك ان المستفيد من عملياتنا في نهاية المطاف هم فؤاد السنيورة والرئيس الفلسطيني محمود عباس والرئيس المصري حسني مبارك»^(٥٠).

والتساؤل المطروح هنا لماذا هذا السلوك للانظمة العربية؟؟

والاجابة أن واقع تلك الانظمة يؤكد ويؤيد ذلك السلوك تجاه حركات المقاومة، اذ يرى الكاتب (احمد موصللي) «انه كان لانتصار اسرائيل في حرب ١٩٦٧ دوراً اساسياً في توليد عقدة نقص عند المسلمين والعرب...»^(٥١)، في حين يؤكد السيد محمد حسن فضل الله ذلك بقوله «... الذي وضع الهزائم العربية هم الحكام المهزومون نفسياً الذين يفكرون بالبقاء في مراكزهم اكثر مما يفكرون في بقاء امتهم في مواقع حريتها وعزتها وكرامتها...»^(٥٢)، والكلام نفسه يؤكد الكاتب المصري عبدالله الاشعل، اذ يقول «... بعد الذي قام به نظام العراق تجاه الكويت... وصلت الولايات المتحدة بعد احداث ١٩٩٠ - ١٩٩١ في الخليج الى نتائج باهرة في هزيمة العروبة، وتحطيم النظام العربي واخضاع العراق ونظامه لخطر دولي...»^(٥٣)، وهذه البيئة الاقليمية العربية التي تراجعت - كما يرى برهان غليون - منذ حزيران ١٩٦٧ ومن ثم رافقها التراجع في المجالات الاقتصادية السياسية^(٥٤) للانظمة القائمة، جعلت منها انظمة لا تستطيع ان تواجه أي اعتداء اسرائيلي على البلدان العربية وبضمنها لبنان، بل على العكس من ذلك، كان الموقف الرسمي قد شهد تحولا سلبيا خطيراً وهو الانتقال من مرحلة الصمت والعجز عن مواجهة العدوان الى مرحلة ادانة القوة الوطنية التي تواجه ذلك

العدوان، وهذا ما اشار اليه الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله بقوله «... بالنسبة للانظمة العربية نحن لانتوقع منكم الا الحياد... اما ان تشاركوا في دم الضحية وان تغطوا جرائم الجلاد.. هنا أقول لكم لم نكن نتوقع ذلك...»^(٥٥).

كما اشار في نفس السياق «... اقول للحكام العرب.. أنا لا اريد سيوفكم ولا اريد حتى قلوبكم.. بس فكوا عنا.. يعني قفوا على الحياد...»^(٥٦) وهذا لايشير الى مدى الاحباط من قبل المقاومة تجاه الانظمة العربية فحسب بل يشخص مواقفها السلبية التي تحولت الى داعم او مساند للعدوان على الشعوب العربية، من اجل التخلص من حركات المقاومة التي تقف بوجه ذلك العدوان، وهنا نلاحظ في خطاب السيد حسن نصر الله انه موجه للحكام لا للشعوب، وهذه ملاحظة جديرة بالاهتمام اذ ان موقف الشعوب العربية والاسلامية كان في الغالب معاكس تماماً للمواقف الرسمية لتلك الانظمة، وهذا ما يؤكد الفرضية التي تم الانطلاق منها بأن هناك دعم شعبي ومساندة لحزب الله والمقاومة داخل لبنان وخارجه، في حين هناك رفض رسمي في الداخل اللبناني من قبل بعض الاطراف السياسية، فضلا عن المواقف الاقليمية العربية الرسمية.

ثالثا: البيئة الدولية وأثرها في قدرات الردع لحزب الله:

لم تكن البيئة الدولية في مصلحة المقاومة وحزب الله، لاسيما بعد احداث ١١ ايلول/ سبتمبر ٢٠٠١ والهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة، حيث عكست تلك الاحداث قواعد وضوابط جديدة على العالم بصورة عامة وعلى منطقة الشرق الاوسط بصورة خاصة^(٥٧)، كما اكد (ميشيل هيرزوغ) بكتابه بعنوان (لغز حزب الله) بأن على المجتمع الدولي ان يستثمر هشاشة الوضع الحالي في لبنان

والضغط على الحزب بما يتعلق بالارهاب ونزع السلاح بدلاً من مجرد قبول قدرات التسليح الخطيرة التي يمتلكها...»^(٥٨) كما اكد على الضغط الدولي على المقاومة وحزب الله، ماكتبه (محمد جمال عرفة) في مقالته بعنوان (شرق اوسط منزوع الديمقراطية ومجرد من المقاومة) والذي اكد فيه على عزم الولايات المتحدة الامريكية على تشكيل تحالف حكومي عربي - امريكي لمواجهة حركات المقاومة الشعبية ذات الصبغة الاسلامية التي تعارض الهيمنة الصهيونية - امريكية...»^(٥٩).

وقد توضح الموقف الدولي (الامريكي) بعد احداث ٩/١١ واحتلال افغانستان عام ٢٠٠١ ومن ثم احتلال العراق في نيسان/ابريل ٢٠٠٣، والضغط على الدول الاوربية لجعل حزب الله منظمة ارهابية، اذ جاء المشروع الامريكي - الاسرائيلي وبمساندة دولية من اجل القضاء على المقاومة وحزب الله من خلال خطوات بدأت اولاً بأصدار قرار من الامم المتحدة يدعو الى انسحاب الجيش السوري من لبنان، «اذ شكل صدور قرار مجلس الامن الدولي (١٥٥٩) البداية الفعلية للتدويل الميداني للبنان، فقد تحول هذا القرار وبصورة غير مسبوقة الى شعار مركزي وبرنامج عمل سياسي»^(٦٠)، وهذا البرنامج تبناه الكثير من سياسي الداخل ودعمته انظمة اقليمية، ثم جاء بعد ذلك الحدث الاخطر وهو اغتيال رئيس وزراء لبنان (رفيق الحريري) في عام ٢٠٠٤، ليجعل لبنان ساحة للتدخلات الدولية والاجندات الاقليمية من خلال توجيه الاتهام في الاغتيال الى المقاومة وحلفائها (حزب الله وسوريا)، والاهداف واضحة من وراء ذلك الاتهام، وهي ضرب المقاومة سواءً في داخل لبنان او حتى في فلسطين، وهذا السيناريو الدولي اصبح واضحاً من خلال مراحل متتابعة بدأت بالحرب على

الارهاب، ثم بالقرار الدولي (١٥٥٩) والذي يقضي بضرورة سحب القوات السورية من لبنان، ثم اغتيال الرئيس الحريري عام ٢٠٠٥، ثم قرار تشكيل المحكمة الدولية، وصولاً الى حرب تموز ٢٠٠٦، اذا اكد السفير الامريكى لدى الامم المتحدة جون بولتون تلك الاهداف بقوله «... ثم تعيين الدبلوماسي النرويجي تيري رودلارس ممثلاً شخصياً للامين العام للامم المتحدة لتنفيذ القرار ١٥٥٩ والذي أُعتمد في ٢ ايلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ والذي يدعو الى مغادرة كل القوات السورية لبنان ونزع اسلحة كل الميليشيات مثل حزب الله والفضائل الفلسطينية واستعادة لبنان سيادته الكاملة على كافة اراضيه...»^(٣٣)، كما اكد بولتون بأن سوريا قد تجاهلت ذلك القرار، الا ان اغتيال الحريري في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٥ غير الحساب السياسي، وخلال شهر امر الرئيس السوري بشار الاسد بسحب قواته في ٧ نيسان/ ابريل ٢٠٠٥^(٣٤).

وقد حاولت اسرائيل وبمساعدة الولايات المتحدة توظيف البيئة الخارجية فضلاً عن البيئة الاقليمية والداخلية ضد حركة المقاومة وحزب الله لضعافه اولاً ثم القضاء عليه نهائياً، وبالحسابات العلمية العملية، فان مثل هكذا ظروف لاتستطيع الصمود بوجهها دولا كبرى او صغرى، فكيف بتنظيم حزبي يشغل مساحة سياسية ضيقة من بلد هو في الاساس من البلدان الصغيرة (لبنان)، ومن هنا برزت اهمية دراسة واستقصاء قدرة الردع لدى حزب الله في ظل هكذا ظروف صعبة، وكيف استطاع الصمود بوجه آله حربية لم تقف بوجهها جيوش اقوى ثلاث دول عربية سابقاً، وكيف وصلت المقاومة الى مستوى عالي من الردع، بحيث بعد شهر تقريباً من القصف العنيف البري والبحري والجوي الاسرائيلي للبنان وتهديم بناه التحتية، يخرج الامين العام لحزب الله في

اب/ أغسطس وبكل ثباته جأش وعزيمة وهو يقول «... اذا قصفتم مدينة بيروت فالمقاومة الاسلامية ستقصف تل ابيب.. وأؤكد ان قصفنا للمستعمرات سواءً في الشمال او مابعد حيفاً وصولاً الى تل ابيب هو رد فعل وليس فعل، تعتدون على مدننا، على قرانا، على عاصمتنا، نحن نقوم برد فعل، وفي أي وقت تقرررون فيه وقف حملاتكم على مدننا وقرانا وبنيتنا التحتية، نحن لن نقصف بالصواريخ اية مستعمرة، او مدينة اسرائيلية، ونفضل بطبيعة الحال اذا كان هناك قتال ان يكون القتال عسكر بعسكر وعلى الارض وفي الميدان...» وهذا الخطاب وما يحمل من عنفوان وتحدي وثبات يستحق التأمل والدراسة، فأية قوة يمتلكها حزب الله، وما هو نوعها، تلك الحقيقة الاستراتيجية التي افرزتها حرب تموز، والذي لم يرق لكثير من الانظمة العربية، وبعض الاقلام التي تدور في فلكها ان تراها، لانها رسخت في اذهانها فكرة الانهزام وعدم القدرة على مواجهة اسرائيل لانها القوة العسكرية الاولى في المنطقة، ولانها تحظى بالدعم اللامحدود من قبل الولايات المتحدة الامريكية.

والتساؤل المطروح أخيراً من المنتصر ومن المنهزم في حرب تموز ٢٠٠٦؟؟
وبعيداً عن المبالغة، ومن اجل الموضوعية في التقييم لا بد من الاشارة الى ان هناك خسائر مادية وبشرية تعرضت لها لبنان وحركة المقاومة في حزب الله وهذا شيء طبيعي، اذ ان دخول أي بلد في حرب لا بد من ان تكون هناك خسائر مادية وبشرية، لاسيما اذا لم يكن هناك تكافؤ بين الاطراف المتحاربة كالحال مع اسرائيل وحركة المقاومة في حزب الله.

ولكن تقاس الهزيمة او النصر بقدرة كل طرف على تحقيق الاهداف التي

اعلنها قبل الحرب والتي قام بشن الحرب من اجلها، فما هي اهداف المقاومة عندما تم خطف الجنديين الاسرائيليين وماهي اهداف اسرائيل عندما شنت الحرب على حزب الله ولبنان؟؟ وهذه الاهداف لكل منهما قد تم الاعلان وهي ليست خافية، فحزب الله اراد اطلاق سراح سجناء لبنانيين وفلسطينيين في سجون اسرائيل، والاخيرة ارادت استئصال حزب الله والاعلان عن شرق اوسط جديد خالٍ من اية مقاومة، وماذا كانت النتيجة او شروط انهاء الحرب بعد (٣٣) يوم، ومن استطاع فرض شروطه، ومن تراجع عن اهدافه؟ هذا السؤال يجيب عليه كل متابع للحرب ومفاوضاتها.

وإذا كانت هناك ايجابيات تذكر لاسرائيل في هذه الحرب فهو اعتراف كبار قادتها بخسارتها الحرب وهزيمتها أمام حزب الله، اذ يقول شمعون بيريز اثناء مثوله امام لجنة التحقيق الاسرائيلية (فينوغراد) «... يستحيل الركض بطائرة F١٦ التي تبلغ قيمتها ١٠٠ مليون دولار خلف كل شاب في الـ(١٦) من عمره، وهم في النهاية سيمتلكون صواريخ مضادة للطائرات وحتى طائرات حربية، ويتعذر علينا ارسال دبابة ميركافا التي تبلغ قيمتها ١٠ ملايين دولار نحو كل خندق...»^(٦٦)، وهذا ما اشار اليه الكاتبان ستيفن والت وجون ميرشايمر بقولهما «... اتضح بشكل ظاهر مع مرور الوقت وبخاصة في اسرائيل ان حزب الله هو المنتصر وان اسرائيل هو الخاسر...»^(٦٧)، وهذا ما أكده أيضا السفير الامريكي في الامم المتحدة جون بولتون بقوله «... بمرور الوقت اتضح بجلاء انه لن يكون هناك قرار اخر لنزع سلاح حزب الله وان حظر الاسلحة لن يفرض وان حزب الله يعاود التزود بالسلاح...»^(٦٨)، كما ان التأييد الشعبي لحزب الله سواءً في داخل لبنان او في خارجها تزايد بصورة مذهلة، وهذا ما اظهرته استطلاعات الرأي

العربية والاجنبية^(٩٩)، اي ان حزب الله لم يفقد حاضته الشعبية الوطنية في الداخل اللبناني، فضلا عن التأييد الشعبي خارج لبنان. ومع كل ذلك أعترف حزب الله بأن هناك نقاط ضعف وان هناك اخفاقات، وهذا ما أكده الامين العام السيد حسن نصر الله بقوله «... تعلمنا من تجربة تموز وعملنا التقييم المطلوب واكتشفنا نقاط القوة ونقاط الضعف عندنا، ونقاط القوة ونقاط الضعف عند العدو، وعملنا عليها...»^(١٠٠) ولذلك اصبحت المنطقة ولأول مرة تمتلك جهة او حركة مسلحة وهي المقاومة وحزب الله قادرة ان تقف بوجه جيش وتقاومه وتمنع تقدمه، وتفرض عليه شروط في التفاوض معه، على اقل التقادير انها شروط التكافؤ وليس شروط الهزيمة كما حدث عام ١٩٦٧، وهي استراتيجية ردع تستحق من قبل الباحثين والمتخصصين الدراسة والتحليل.

الخاتمة والاستنتاجات:

مما تقدم ذكره يمكن التوصل الى جملة من الاستنتاجات اهمها:

- ١- كانت هناك ظروف داخلية واقليمية ساعدت على تصاعد الحركات الاسلامية بصورة عامة، وحزب الله بصورة خاصة اهمها ماتعرضت له البلدان العربية عام ١٩٦٧ وماتعرض له لبنان من اجتياح عام ١٩٨٢.
- ٢- يمكن القول بان حزب الله مر بثلاث مراحل مهمة، الاولى مرحلة مقاومة الاحتلال واخراجه من عام ١٩٨٢ وحتى عام ٢٠٠٠ والثانية مرحلة منع عودة الاحتلال من عام ٢٠٠٠ الى ٢٠٠٦ والمرحلة الاخيرة والمهمة وهي مرحلة ردع الاحتلال عن القيام باي عمل عسكري ومعاقبته ومواجهته وبدأت

بعد حرب تموز ٢٠٠٦.

٣- ولدت المقاومة الاسلامية (حزب الله) في ظل ظروف سياسية صعبة داخلية واقليمية (عربية) ودولية، وقعت في وجه قدراتها وحاولت تحجيمها ومن ثم استئصالها.

٤- استطاعت المقاومة من كسب التأييد الشعبي داخل لبنان وهو ما أعطاها قوة حقيقية في مواجهة التحديات الداخلية ووفر لها حاضنة شعبية، رغم المحاولات من قبل السياسيين في الداخل والخارج من الفصل بين المقاومة وحاضنتها الشعبية.

٥- يمتلك حزب الله قدرات معنوية (قوى ناعمة) لا تمتلكها اقوى جيوش العالم، وهي قيم الشهادة والتضحية المستمدة من مدرسة كربلاء الحسين عليه السلام، وهذا ما أكده الامين العام في خطاباته لاسيما في ذكرى ايام عاشوراء، وهو سر قدرتها وانتصارها.

٦- استطاع حزب الله بفعل نضجه السياسي والافادة من تجاربه يكسب ثقة الشعب والجيش اللبناني، مما اعطاه قوة اكثر في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

٧- النقطة المهمة والاخيرة وهي التي اثارت مخاوف الاسرائيليين وحلفاؤهم بان تجربة حزب الله العقائدية - العسكرية من الممكن تكرارها في مواجهة القوى العظمى وهيمنتها، كما حدث في فلسطين والعراق، ولذلك جاءت المحاولات الاخيرة من خلال اثاره الفتن الطائفية في المنطقة، من اجل ايجاد الضد النوعي لحركة حزب الله، ولاسيما اثاره الفتنة المذهبية الشيعية - السنية، وهذا ماتنبه اليه حزب الله، والقوى المساندة له، وتم التحذير منه مع

تسخير فضائيات مشبوهة ومدعومة تحاول تعميق الشرح بين المذاهب الإسلامية، بعد فشل مواجهة المد الإسلامي من قبل تلك القوى، ونرى هذا المخطط اليوم ماثلاً في سوريا والعراق ولبنان من خلال الحركات التكفيرية التي تبيح القتل من خلال فتاوى الظلال والتكفير وبأجنداث مدفوعة الثمن.

المصادر:

١. نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، خطبة (٢٧)، ط٣، (قم: انتشارات دار الهدى، ١٤٢٥ هـ. ق)، ص٦٩.
٢. المصدر نفسه، ص٧٨.
٣. حسن فضل الله، الخيار الاخر حزب الله، (بيروت: دار الهادي، ١٩٩٤)، ص٥٥.
٤. فضل ابو النصر، حزب الله حقائق وابعاد.
٥. حسن النحوي، الفريضة المغيبة، ط٢، (بيروت: مركز الهدى للدراسات، ٢٠١١)، ص١١.
٦. المصدر نفسه، ص١٣.
٧. محمد حسين فضل الله، الجهاد، ط٢، (بيروت: دار الملاك، ١٩٩٨)، ص٧٦.
٨. ينظر: محمد جابر انصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٢٠ - ١٩٨٠، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، د.ت)، ص٣١.
٩. للتفصيل ينظر: احمد طحان، الحركات الاسلامية بين الفتنة والجهاد.
١٠. سيد قطب، المستقبل لهذا الدين، ط١٤، (مصر: دار الشروق، ١٩٩٣).
١١. احمد موصللي، حقيقة الصراع الغرب والولايات المتحدة والاسلام السياسي (بيروت: مؤسسة عالم الف ليلة وليلة، ٢٠٠٣)، ص٥٣.
١٢. محمد حسين فضل الله، الحركة الاسلامية مالها وماعليها، (بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٤)، ص١١٠.
١٣. ينظر: محمد السعيد ادريس، مأل الفكر القومي، مجلة شؤون الاوسط، بيروت، العدد ١٣٤، شتاء ٢٠١٠، ص١٥ ومابعدها.
١٤. محمد حسين فضل الله، الحركة الاسلامية مالها وماعليها، مصدر سبق ذكره، ص٣٧١.
١٥. محمد مراد، السياسة الامريكية تجاه الوطن العربي، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ٢٠٠٩)، ص٢٦٨ ومابعدها.
١٦. ينظر: أمين هويدي، التحولات الاستراتيجية الخطيرة زلزال عاصفة الصحراء، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨).
١٧. المصدر نفسه.
١٨. احمد موصللي، مصدر سبق ذكره، ص٥٣.
١٩. فضيل ابو النصر، مصدر سبق ذكره، ص٦٧.
٢٠. المصدر نفسه، ص٧٤.

٢١. المصدر نفسه، ص١٢.
٢٢. محمد حسين فضل الله، ارادة القوة، (بيروت: دار الملاك، ٢٠٠٠)، ص٢٤٤.
٢٣. حسن فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص٤٧.
٢٤. محمد حسين فضل الله، ارادة القوة، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.
٢٥. حسن فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.
٢٦. حرب كسر الارادة بين المقاومة والمشروع الصهيوني امريكي، مجموعة مقالات، ص١٤٨.
٢٧. المصدر نفسه.
٢٨. المصدر نفسه.
٢٩. المصدر نفسه، ص١٤٩.
٣٠. ستيفن والت وجون ميرشايمر، اللوبي الاسرائيلي والسياسة الخارجية الامريكية، ترجمة انطوان باسيل، ط٢، (بيروت: شركة المطبوعات، ٢٠٠٩)، ص٤١٣.
٣١. حرب كسرة الارادة بين المقاومة والمشروع الصهيوني امريكي، مصدر سبق ذكره، ص٤٤.
٣٢. ستيفن والت وجون ميرشايمر، مصدر سبق ذكره، ص٤٦٤.
٣٣. المصدر نفسه، ص٤٦٥.
٣٤. ينظر: محمود شريف بسيوني، مدخل لدراسة القانون الدولي الانساني، (بغداد: د. م. ط، ٢٠٠٥)، ص٥٠.
٣٥. ستيفن والت وجون ميرشايمر، مصدر سبق ذكره، ص٤٦٦.
٣٦. المصدر نفسه.
٣٧. قصيدة بعنوان (الفجر) للشاعر عمر الفّرا.
٣٨. محمد حسين فضل الله، الحركة الاسلامية مالها وماعليها، مصدر سبق ذكره، ص٣٧٦.
٣٩. من خطاب للسيد حسن نصر الله في ١٤ تموز/يوليو ٢٠٠٦ وهو اول خطاب بعد الهجوم الاسرائيلي على لبنان الذي سقط فيه (٥٠) مدنياً.
- ينظر: احمد طحان، مصدر سبق ذكره، ص٥٢٥.
٤٠. مكسيم لوفايفر، السياسة الخارجية الامريكية، ترجمة: حسين حيدر: (بيروت: عويدات للنشر، ٢٠٠٦)، ص٩١.
٤١. حسن فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.
٤٢. فضل ابو النصر، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.
٤٣. محمد حسين فضل الله، ارادة الصغرى، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٤.
٤٤. دينس روس، فن الحكم، ترجمة: هاني تابري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧)، ص٣٤٩.
٤٥. حرب كسر الارادة بين المقاومة والمشروع الصهيوني امريكي، مصدر سبق ذكره، ص١٥١.

٤٦. حسن فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨.
٤٧. المصدر نفسه.
٤٨. حرب كسر الارادة بين المقاومة والمشروع الصهيوي امريكي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠.
٤٩. المصدر نفسه.
٥٠. المصدر نفسه، ص ١١٥.
٥١. احمد موصللي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١.
٥٢. محمد حسين فضل الله، ارادة القوة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٨.
٥٣. عبدالله الاشعل، المؤامرة القانونية على سوريا، (القاهرة: دار نصر للطباعة ٢٠٠٦)، ص ١٣٣.
٥٤. برهان غليون، نقد السياسة والدولة والدين، ط ٥، (المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠١١)، ص ٢٢٥.
٥٥. حرب كسر الارادة بين المقاومة والمشروع الصهيوي امريكي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.
٥٦. المصدر نفسه.
٥٧. فضيل ابو النصر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٤.
٥٨. حرب كسر الارادة بين المقاومة والمشروع الصهيوي امريكي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.
٥٩. المصدر نفسه، ص ٥١.
٦٠. امل سعد غريب، حزب الله بين السياسة والدين، (بيروت:)، ص ١٥.
٦١. المصدر نفسه.
٦٢. جون بولتون، الاستسلام ليس خيارنا، ترجمة: عمر الايوبي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨)، ص ٤٦١.
٦٣. المصدر نفسه.
٦٤. امل سعد غريب، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.
٦٥. احمد الطحان مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٦.
٦٦. محمد خواجه، خلاصات حرب لبنان واستراتيجيات الصراع، مجلة شؤون الاوسط العدد ١٢٥، ربيع ٢٠٠٧، بيروت، ص ١٢٣.
٦٧. ستيفن والت وجون ميرشايمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٦.
٦٨. جون بولتون، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٦.
٦٩. للاطلاع على نتائج استطلاعات الرأي ينظر: ستيف والت وجون ميرشايمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٨.
٧٠. أمل سعد غريب، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

موقف حزب الله من القضية الفلسطينية

سلام شهيد العيسى

تتمحور المواقف إزاء القضية الفلسطينية ضمن محورين، احدهما ينطلق من موقف قومي ووطني أحياناً، والآخر ينطلق من موقف ديني إسلامي، ومن هذا الموقف يرفض على أساس رؤيته للإسلام الاعتراف بوجود إسرائيل فضلاً عن التضامن معها أو اعتماد الطرق السياسية لتسوية القضية. ومن بين الحركات التي تتبنى هذا الموقف يبرز حزب الله الذي يرفض الاعتراف بالوجود الصهيوني على الأرض الفلسطينية، فالكيان الصهيوني حسب رأيه يشكل زرعاً شيطانياً غرسته (الحضارة الغربية) في بلادنا، كجماعة وظيفية تؤدي لها دوراً وتحقق لها مصلحة استراتيجية طويلة المدى. وهو بذلك يتقاطع مع الرؤية التي تنظر إلى الصراع العربي - الصهيوني على انه صراع حدود بين الكيان الصهيوني ومجموعة الدول العربية المجاورة لفلسطين، بل يؤمن بان اصل المشكلة يكمن في زرع هذا الكيان في ارض ليست له وتدمير شعب (أصحاب الأرض الحقيقيين) في أقطار المعمورة مقابل تجميع عدة ملايين من اليهود والصهاينة على ارض فلسطين.

فالْحزب يؤكد على جذرية الصراع ضد الكيان الصهيوني مهما كانت الظروف والأوضاع السياسية، على انه كيان قائم على الغضب والاحتلال والإرهاب وعلى انه كيان استيطاني تهويدي توسعي، ومن ثم فهو كيان غير شرعي ويجب ان يزول من الوجود بصرف النظر عن مقبولية هذا الموقف والحكم الشرعي لدى البعض وعدم مقبوليته. وانطلاقاً من عدم شرعية الوجود الصهيوني، وعملاً بالرؤية الإسلامية الخاصة باحتلال أراضي المسلمين أعلن حزب الله ان الطريق الوحيد للتعامل مع هذا الكيان هو القتال معتبراً إياه واجباً دينياً، عينياً، وان تخلف بعض المسلمين عن القيام به لا يعطي العذر للآخرين بالتخلف ايضاً. ولذا نجد ان حزب الله رفع شعار تحرير القدس، وربما كان يهدف من هذا الأمر إعطاء الصراع مع هذا الكيان بعد دينياً يستثير فيه همم المسلمين لأغراض التعبئة المعنوية والنفسية إزاء مسألة القتال، إذ ادرج تحريرها في الأهداف الاستراتيجية بما عنى رفض أي تنازل أو تفاوض بشأنها، ليس كجهة بقعتها الجغرافية وقداستها فحسب، بل لما ترمز إليه كعنوان لفلسطين، فتحرير القدس كان من الأهداف الأولى التي وضعها الحزب في رسالته المفتوحة التي وجهها للعالم في شباط ١٩٨٥م. فتحت عنوان «أهدافنا في لبنان» جاء فيها «تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان كمقدمة لإزالتها من الوجود، وتحرير القدس الشريفة من براثن الاحتلال»^(١). والواجب الديني عند حزب الله ينطلق من كون القدس مسرى رسولنا محمد ﷺ ومهد الأنبياء ﷺ: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيتنا انه هو السميع البصير»^(٢). ولا يجوز التفريط بأرض المسلمين أو مقدساتهم، ويعد الدفاع عنها لتحريرها واجباً على الجميع. فضلاً عن ان السلاح لم يكن مشكلة عند حزب الله، بل الرعاية السياسية هي المشكلة والمطلب،

ولقد حاولت إيران توفير هذه الرعاية مباشرة. وباختصار فإن (حزب الله) لم يأتي من الفراغ. إذ على الرغم من الرعاية السورية والمساعدات الإيرانية المفتوحة، فإن حزب الله يعد مؤسسة سياسية لبنانية، إسلامية الطابع، شيعية التقاليد عربية التوجه والانتماء الأخير.

وموقف حزب الله إزاء القدس هذا يتطابق مع موقف الخميني الذي أعلن «أن حكومة إسرائيل الغاصبة، بما تخطط له من مخططات مغرضة للإسلام وبلدان المسلمين، إنما تمثل بذلك خطراً عظيماً، والخوف ان يصبح الوقوف بوجهها مستحيلاً إذا توانى المسلمون خصوصاً والمسلمين عموماً المبادرة إلى القضاء على بؤرة الفساد هذه بكل السبل الممكنة، وعدم التقصير في تقديم العون للمجاهدين في هذا السبيل»^(٣) فخطرها دائم ومستمر باثاره التدميرية على المنطقة بأسرها، وفي ضوء هذا، نجد ان وسائل التصدي لأسرائيل تنطلق من رفض شرعية وجودها كدولة على مستوى المبدأ وبحسب ان تبقى وسائل التصدي في عملية إنتاج دائم من خلال الظروف المتجددة، والمتغيرات المتحركة، لتحديد نوعي أسلوب المواجهة وذلك من خلال الموقف الإسلامي الحاسم في رفض الاعتراف بهذه الدولة حتى وان اعترف بها العالم. بما في ذلك الدول المعروفة بالإسلامية، ولذلك فإن الحزب لا يسقط تحت تأثير الظروف الضاغطة ويتبنى رفض العنف لمصلحة عناوين السلام، بل انه ينظر إلى الواقع بموضوعية ويتعرف على نوعية الإمكانيات التي يمتلكها والموانع التي تقف أمامه، فهو يرى بأن الرفض الشرعي من الضروري ان يبقى حياً في وجدان الأمة وينطلق التعبير عنه بمختلف الوسائل المعبرة.

ويتخذ هذا الرفض لإسرائيل أشكالاً سياسية أو جماهيرية، كالتظاهر والإضراب والاعتصام وغيرها من أساليب الرفض الجماهيرية والشعبي أو الكفاح المسلح (العسكري) لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

وانطلاقاً من تصور حزب الله بان الصراع مع إسرائيل ديني فان الاسلمة له تعني اولاً الرفض بالمطلق لشرعية الوجود الإسرائيلي ويدعو إلى إزالة إسرائيل وثنانياً يدعو إلى إقامة الدولة الإسلامية كطريق للنجاة، وهكذا نرى ان الصراع يتطور من صراع سياسي، إلا انه يتحول الآن بصيغة اكثر جذرية نحو العداء الأبدي المطلق^(٦) والحزب يرى ان لا انفصال بين الجانب الديني والجانب السياسي في القضية الفلسطينية. فالأراضي العربية المقدسة اعتدى عليها من قبل كيان أقيم على أسس عقيدية، فلا يحارب العقيدة إلا عقيدة اشد ولا يهزم الدولة الدينية إلا دولة دينية أقوى. ويرى حزب الله ان المعركة «مع إسرائيل في جوهرها معركة دينية وان اتخذت ابعاداً سياسية واقتصادية وقومية، بل ان القومية في النظرة اليهودية إلا حيلة ممتزجة بالدين، فلا معنى للقومية عندهم بغير دين، حيث أكد أحد زعماء اليهود (دينية) قضيتهم قبل قيام إسرائيل وبعد قيامها فمنذ أواخر القرن الماضي قال هرتزل: ان العودة إلى صهيون يجب ان تسبقها عودة إلى اليهودية وما احرانا ان نقول ان العودة إلى فلسطين يجب ان تسبقها عودة إلى الاسلام، فالاسلام يستطيع ان يصنع الكثير في معركتنا ضد الكيان الصهيوني، إذا جعلنا قضية فلسطين [قضية إسلامية]»^(٧).

والى ذات الفكرة يشير المفكر الجابري عندما قال ان الصهيونية هي قومية دينية، ولا يقاوم التعبئة الدينية إلا التعبئة الدينية المضادة^(٨)، ولا يقتصر النظر إلى القضية الفلسطينية على إنها صراع أديان من جانب المسلمين، وانما حتى الكيان

الصهيوني يعتقد ان الخطر الذي يتهدهه هو الإسلام الذي طالب المسيحية الأصولية بضرورة دعم إسرائيل بدوافع دينية من اجل انتصارها تحقيقاً لنبوءة توراتية، هذا فضلاً عن دعم العلمانيون الصهاينة، من خلال جعل الإسلام هو البديل الأيديولوجي للخطر الشيوعي، كي يحل كعدو لغرب وللولايات المتحدة، ومن هذا المنطلق قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل غطاءً سياسياً ومكافأة عسكرية في عملياتها في لبنان الموجهة ضد حزب الله. من اجل احتواء تهديد الإسلام المتطرف الذي تسانده إيران والذي يمثله حزب الله في لبنان. فإسرائيل ترى في الإسلام السياسي خطراً على وجودها وهي تحاول إظهار الإسلام بمظهر الأيديولوجية المهددة للغرب وأنظمتها^(٣)

وهكذا يتبين لنا وبوضوح ان حزب الله اللبناني هو ليس الوحيد الذي يرى الصراع العربي، الإسرائيلي هو صراع ابدى، خلفيته دينية، إذ ليس هناك من إمكانية لتسوية الصراع بشكل يرضي الطرفين ولا بد لليهود ان يعودوا حيث جاءوا.

ان حزب الله اللبناني يعلن رفضه صراحة لأي شكل من أشكال التفاوض السلمي مع إسرائيل، باعتبار هذا الأسلوب هو خارج عن الإرادة الشعبية ولا تتمتع نتائجه بشرعية وطنية لان التفاوض هو إقرار واعتراف بوجود الدولة اليهودية واحتلالها لفلسطين، وينزع حزب الله عن المفاوضات والاتفاقات المترتبة عليها أية شرعية دينية أو سياسية، باعتبارها مخالفة للقواعد الفقهية والفكرية التي قام على أساسها الحزب، فيفهم المفاوضات على أنها تشكل تفریطاً بالأرض، وتضييعاً للحقوق، لذلك فهي ليست اسلوباً من أساليب الصراع،

ولا حتى مرحلة من مراحلها، بل هي محاولة اختزال له، وتحويله عن مساره الطبيعي (المقاومة). ولا يقر الحزب بشرعية التفاوض حتى لو كانت تقنية بحتة وبرعاية الأمم المتحدة وهذا الرفض ليس مجرد مقاومة سلبية للمفاوضات وإنما يقابلها إصرار على المواجهة فموقف الحزب ليس يقضي بحرمة الاعتراف بإسرائيل فحسب بل يوجب الجهاد والمقاومة ضدها حتى تزول نهائياً من الوجود^(١٤). ومسألة لامتناع عن الحوار مع اليهود لا تنطلق من مبدأ سلبي من خلال طبيعة الديانة اليهودية، أو اليهود كأتباع لهذا الدين، بل من المسألة السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، لأن اليهود ليسوا مستعدين للدخول في حوار حول شرعية وجودهم هناك، بل كل ما هناك أنهم مستعدون للحديث، بطريقة المناورة، في تفاصيل الأمر الواقع الذي يتمتع بشرعية دولية وتاريخية، الأمر الذي يؤدي للاعتراف بوجودهم السياسي العدواني على حساب حقوق المسلم.

إن حزب الله اللبناني قد رفض اتفاقيات أوسلو وانتقد ياسر عرفات لتقديمه تنازلات لأن المفاوضات لن تقود إلا إلى تقوية شرعية وجود إسرائيل، لذلك طالب الحزب بتصعيد الكفاح المسلح وخاصة في الأراضي المحتلة وبدعم الأمة الإسلامية للقضية الفلسطينية ودعم الانتفاضة الأمر الذي اعتبره الحزب على رأس أولوياته لاثبات إن خيار المقاومة هو أقوى سلاح يملكه شعب فلسطين من أجل تحقيق أهدافه، كما إن الحزب ومن خلال إبقاء جبهة فلسطين الشمالية متوترة ومرشحة للاشتعال مع إعادة فتح جبهة الجنوب اللبناني تعني تحقيق الضغط الصهيوني على الانتفاضة، بل ومساندة حقيقية لها من خلال فتح جبهات فعالة على أيدي رجال حزب الله الأمر الذي سيكون له تأثيراته الإيجابية على الانتفاضة.

فحزب الله وانطلاقاً من مفهوم نصره المستضعفين والمظلومين يرى انه من واجب كل مسلم نصره الانتفاضة الفلسطينية وهذا واجب شرعي وفقهي ديني، فضلاً عن كونه واجب إنسانياً وأخلاقياً وان كان الحزب لم يحدد كيفية ونوعية هذا الدعم إلا انه من الواضح وجود تنسيق بين قيادات الانتفاضة وحزب الله ووجود محاولات لتهريب الأسلحة إلى الأراضي الفلسطينية (الكاتوشا) من اجل أن يحمي الانتفاضة ويعمل على تأسيس سلاح ردعي. فالحزب يرى أن المقاومة المسلحة هي التي حافظت على الهوية الوطنية الفلسطينية وانه لا يمكن اعتماد الطريقة السلمية كطريقة غاندي أو مانديلا النضالية، فالظروف في فلسطين مختلفة تماماً، وان إسرائيل لا يؤثر فيها هذا النوع من النضال اطلاقاً، أما رمي الحجارة والتظاهرات والمقاطعة الاقتصادية للبضائع الإسرائيلية فهي أعمال نفعية بنسبة محددة، إنها إسهامات مناسبة ومفيدة، ولكن لا تؤتي ثماراً حقيقية إذا ما تم الاكتفاء بها، إنها تكتيكات محدودة الفعالية، ولذا فان الانتفاضة تبلورت اكثر عندما انتقلت إلى المقاومة المسلحة، وبدأ الكيان الصهيوني يشعر بخطرها وفعاليتها.

كذلك يثير الحزب بعض الإشكاليات المتعلقة حول القدس والتوطين (حق العودة) حيث نلاحظ انه لم تخل تقريباً كل خطابات أمين عام حزب الله التي ألقاها في مرحلة ما بعد التحرير من ذكر فلسطين أو القدس، مما يوحي ان ثمة احساساً عميقاً بالمسؤولية لدى المقاومة وقادتها تجاه القضية الفلسطينية، وتكتمل رؤية المقاومة تجاه العلاقة بين تجربة انتصارها وفلسطين من خلال خطاب آخر في مناسبة هامة، هي ذكرى أربعين الرئيس الأسد، فقد جاء في كلام السيد حسن

نصر الله: «ان القدس هي كل قطعة من أرضنا اللبنانية التي مازالت تحت الاحتلال، اولاً واخيراً القدس هي فلسطين كل فلسطين، من البحر إلى النهر..... وستعود ان شاء الله...»^(٤) ان أهمية القدس الدينية والأيدولوجية لن تراجع بمعاهدات تجريبها قوى سياسية قد لا تكون الأكثر تمثيلاً لشعوبها.

ان حزب الله عندما يتحدث عن القدس، فهو يعني القدس كعنوان ورمز لكل فلسطين ولكل الأمة المستهدفة بالمشروع الاستكباري الصهيوني وهو يؤمن بأن مسيرة عملية التسوية بشكل عام، وأياً تكن نتائجها، لن تستطيع ان تضع سلاماً عادلاً في المنطقة لأنها قامت منذ اللحظة الأولى على أساس ظالم، على اساس اغتصاب جزء كبير من ارض فلسطين وتسليمها لليهود الصهاينة، كما ان التسوية لن تغير حقائق المنطقة فإسرائيل ستبقى عدواً ابد الدهر. أن القضية الفلسطينية هي قضية عربية، إسلامية لا تعني الشعب الفلسطيني وحده. وان معركة القدس هي عنوان استعادة كل الحقوق السليمة وان واجب الحزب هو الالهام في الدفاع عن قضايا الأمة دون ان يرتبط هذا الإسهام بشرط مشاركة الاخرين او عزوفهم عن ذلك، مع التأكيد على ان للشعب الفلسطيني الدور الحيوي والمركزي في تحرير ارضه وتحقيق الانتصار، ويبدو من الناحية السياسية ان هذه الرؤية، توفق بين اتجاهين شديدي الدقة ويرتبطان بالتوازن المطلوب في خوض معركة التحرير في بعدها الفلسطيني والإسلامي وهذان الاتجاهان يقومان على الاعتراف بالخصوصية الفلسطينية وهي خصوصية الدور والوظيفة وعلى عمومية القضية وهي قضية الجميع دون استثناء عرباً ومسلمين.

أعلن حزب الله ان الأداء السليم القوي لمواجهة التسوية هو الذي يعيق المشروع الإسرائيلي وقد طرح الخطوات التالية كبديل عن المفاوضات والتسوية^(٥)

أ) استمرار المقاومة والكفاح المسلح وتعزيزه في الداخل.

ب) استمرار العمل لاستنهاض الأمة كلها لتقوم بواجبها في كافة أشكال الدعم للقضية الفلسطينية، ويرى في أعمال الثورة الإسلامية في إيران تعطيل خطوات الاستسلام منذ عام ١٩٧٩م. ومن هنا فان دور المقاومة الإسلامية يتمثل في إرباك العدو الإسرائيلي وتقوية الإحساس الإسلامي والعربي في المنطقة.

ج) دعم الانتفاضة واستمراريتها.

وكذلك أكد الأمين العام لحزب الله ان سياسة الحزب لن تتبدل في مواقفه الجوهرية بما في ذلك دعم المقاومة الإسلامية وتطويرها للمقاومة هي الخيار البديل عن المفاوضات التي لن تؤدي إلى إعادة الحقوق الإسلامية والعربية. واعتبر ان رفض المفاوضات امراً مفروضاً منه، وكذلك الأمر مع معاهدات السلام او تطبيع العلاقة مع إسرائيل.

ان حزب الله يعد في حالة حرب مفتوحة مع العدو الإسرائيلي على كافة الجبهات ودون تحديد ضوابط معينة أو خطوط حمراء. وعلى الرغم من ان الحزب قد اضطر إلى عقد تفاهم تموز (١٩٩٣) وتفاهم نيسان ١٩٩٦م لأنها تشكل حماية للمدنيين في لبنان وتحد من قدرة إسرائيل على الضغط، وتحشر الكيان الصهيوني في معركة عسكرية مباشرة مع الحزب، كما ان تفاهم نيسان الخطي (١٩٩٦م) قد أعطى مشروعية للحزب بإقرار العدو من خلاله بحق الدفاع عن النفس والحديث عن تجسيد المدنيين. وعلى الرغم من اعتبار بعض قيادات الحزب السابقة ممثلة بالشيخ صبحي الطفيلي الأمين العام الأسبق لحزب الله بأن

مقاومة حزب الله قد انتهت منذ دخلت قيادته في صفقات (كتفاهم تموز وتفاهم نيسان) الذي اسبغ حماية عليا لمستوطنات الإسرائيلية وذلك بموافقة وزير خارجية إيران باعتبار ان هذه الاتفاقيات هي اعتراف بالاحتلال فان الحزب لم يدخل في مفاوضات مباشرة مع الكيان الصهيوني وانما عقدت هذه الاتفاقيات عبر ممثلين دوليين دون أي لقاء مباشر وعليه فهي لاتعد اعتراف بشرعية المفاوضات والتسوية التي لا يميزها حزب الله. كما ان الحزب لديه فصل حاد بين ما يسمى الموضوع السياسي مع إسرائيل وبين ما يسمى الموضوع الإنساني وتدخل ضمن هذا النطاق عملية تبادل المعتقلين والأسرى لدى العدو الإسرائيلي حيث يعتبرها الحزب موضوع أخلاقي وديني وليست موضوعاً سياسياً أي أنها لا تخل ضمن نطاق التسوية وانما هي تأكيد للنهج والخط الذي يؤمن به الحزب وعليه فقد سعى الحزب لمبادلة الأسرى بمعتقلين لبنانيين وعرب وإيرانيين يعتقد الحزب انهم لدى إسرائيل وكذلك أجساد الشهداء، كما أصر الحزب على إطلاق جميع الأسرى اللبنانيين من دون استثناء بمن فيهم المعتقلون لاسباب جنائية^(١١). ان حزب الله اثبت انه حزب ذو بعد عربي واسلامي حضاري بأيدولوجية دينية إسلامية فالحزب تفاعل مع الانتفاضة الفلسطينية. وعقد عدة اتصالات مع عدة أطراف فلسطينية وخصوصاً حماس من اجل التوصل إلى صفقة تبادل الأسرى بين حزب الله وإسرائيل. وان هذه العلاقات عرضت الحزب لجملة انتقادات سياسية على اعتبار انه يسعى لتخريب عملية التسوية، والحزب لا ينكر إقامته لعلاقات مع منظمات فلسطينية على أساس التضامن الإسلامي لمواجهة الخطر الصهيوني وعملية التسوية غير الشرعية فوجهة نظر الحزب تقوم على أسس مبدئية ووجهة نظر سياسية، أثبتت الأحداث

والتطورات صوابها، وهي ان سلام مع العدو أو الاعتراف به، يساوي تنازلاً لا يملك أحد الحق في إمضاءه، ان السلام مع اليهود الصهاينة مخالف لمنطق القرآن وناموس الأمم الكريمة، ومخالف لبديهيات كون العرب والمسلمين أمة واحدة موجودة، هذا في الثوابت المبدئية.

أما في وجهة النظر السياسية فانه يعتقد ان استمرار الكيان الغاصب وإضفاء الشرعية عليه سوف يعزز الانقسامات داخل جسم الأمة وسوف يحولها اكثر فاكثر إلى مجموعات متناثرة، بعدما تكون قد تنازلت عن هدفها الجهادي في مواجهة العدو الغاصب، والعمل على إزالة آثار عدوانه^(١١) فالحزب يرى ان العرب والمسلمين يتحملون مسؤولية الدعم والمساندة لفلسطين من منطلق المصلحة الأكيدة التي تطال المحافظة على المقدسات ورفض الظلم والاحتلال ومن منطلق المصلحة الأكيدة التي تطال الجميع في عدم تثبيت هذا الكيان الغاصب والتوسعي، فالمطلوب تكريس القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة، وحشد الطاقات المالية والإعلامية والثقافية والسياسية والعسكرية بما يتلاءم مع تحقيق هذا الهدف. ثم تكون البرامج العملية والإجراءات المبدئية والاختيارات الملائمة للدعم مرتبطة بطبيعة ظروف كل بلد، وبموقع الحزب او الجهات الداعمة في الواقع الشعبي وما تملكه من إمكانيات فعلية أو محتملة، على ان تبذل الجهود القصوى لابقاء الأولوية للتحرك من اجل الدعم والمساهمة الفعلية، فلا عذر لأي جهة عربية أو إسلامية في التراخي وترك الشعب الفلسطيني يتحمل كل المعاناة وحده، كما ان الحزب يؤكد على دور الامة العربية ودعمها للانتفاضة عن طريق الضغط على أنظمة بلدانها إلى الحد الذي يقترب من دعم القضية الفلسطينية عن

طريق قطع العلاقات الدبلوماسية التي تقيمها هذه الدول مع الكيان الصهيوني. ورفض الضغوط الخارجية الداعمة لإلغاء المقاطعة الاقتصادية ضد إسرائيل. والعمل على تقويتها والحد من سياسة الاستسلام العربي. حيث يدعو الحزب إلى تأثير المقاطعة العربية والإسلامية الشاملة لإسرائيل واهياء كل مكاتب المقاطعة والمطالبة بخطوات جدية لقطع العلاقات مع إسرائيل من قبل بقين الدول العربية والإسلامية التي مازالت تقيم علاقات مع إسرائيل^(١٤). حيث ان مواجهة التطبيع ليست مرحلة ثانية من مراحل الصراع بل هي قلب المعركة لان رفض الوجود الإسرائيلي في فلسطين، ورفض التطبيع معه ينطلقان معاً من رفض شرعيتها بشكل مطلق، لذلك فإن الفتاوى الشرعية التي يسير على هديها الحزب ترفض التطبيع الشعبي حتى في حال الاحتلال.

ان حزب الله ينطلق من إيمان مطلق بحتمية زوال الكيان الصهيوني ويستند في ذلك إلى القراءات الميدانية السياسية الديموغرافية الأمنية الثقافية الأخلاقية. فضلاً عن الإيمان المطلق بالوعد الإلهي بالنصر للامة، مما يشكل حافزاً كافياً للمقاومة والجهاد، وعدم وقوف عند الواقع الحالي وصعوباته وأخطاره، فنحن موعودون بالنصر لقوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿١٤﴾.

الأمر الذي يبرز ان المقاومة المسلحة هي الخيار الوحيد المتبقي، الذي يحمل قابلية الانتصار وتحقيق الأهداف وهي الخيار الإيجابي في مقابل الخيار السلبي لمسار التسوية.

الخاتمة

من خلال ماسبق طرحه عرفنا ان حزب الله اللبناني تعود بدايات تاسيسه الى عام ١٩٨٢ وذلك على إثر تشكيل خلايا مقاومة للاحتلال الصهيوني في جنوب لبنان وتحويلها فيما بعد الى اطار ميداني سياسي لدى عدد محدود من عقول بعض الكوادر الشيعية في لبنان. فضلا عن ذلك لايمكن تجاهل حقيقة اثر اندلاع الحرب الايرانية - العراقية عام ١٩٨٠ في تشكيل حزب الله، فقد رأى الايرانيون فيها محاولة لتطويق ثورتهم ومنع امتدادها باتجاه الدول العربية بدءاً بالخليج وصولاً الى البحر المتوسط.

ولهذا سارع الايرانيون وانطلاقاً من حسابات جيو - استراتيجية الى تدعيم وجودهم وتقويته داخل لبنان ومن خلال الطائفة الشيعية بالذات، كي تكون لايران نقطة ارتكاز استراتيجية في المنطقة العربية. وربما ارادت ايران ان تكون لها قوة تهدد بها اسرائيل وتستعملها كورقة ضغط اذا ما تعرضت لتهديد معين من قبل الدول العظمى.

والواقع ان فكر حزب الله هو امتداد فقهي لإفكار وطروحات السيد الخميني ومنهج الثورة الاسلامية الايرانية. ويمكن القول ان العلاقة بين حزب الله وايران يتداخل فيها البعد السياسي والديني، فاللبنانيون الذين يمثل بعضهم

كوادر حزب الله تربطهم بالمرجعيات الدينية الايرانية روابط روحية عميقة، ويعد مرشد الثورة الاسلامية «اية الله الخميني» ومن بعده «اية الله علي خامنئي» اكبر مرجعية دينية لهم.

اما بصدد موقف حزب الله من القضية الفلسطينية، فقد انطلق هذا الحزب من رؤية فكرية اساسية مفادها ان وجود (اسرائيل) هو وجود غير شرعي باعتبارها تمثل غدة سرطانية يجب ان تزول من الوجود، وعليه فلا شرعية للمفاوضات معها او الاعتراف بها وينطلق الحزب في تعامله ضدها من ايمانه الالهي المطلق بالنصر الى تبني خيار الجهاد ورفض التطبيع بكل انواعه الذي يؤدي الى تثبيت الوجود الغاصب على ارض فلسطين، ويعمل الحزب على تقوية تعاونه مع الفصائل الفلسطينية التي تحمل نفس الرؤية الايدلوجية في سبيل تحقيق الهدف المنشود المتمثل بالقضاء على الكيان الصهيوني.

المصادر والهوامش:

- ١ - نيفين دلي، الفكر والسلوك السياسي لحزب الله اللبناني، (بغداد، جامعة بغداد، ٢٠٠٥)، ص ١٤١ - ١٤٢.
- ٢ - القرآن الكريم، الأسراء، الآية ١.
- ٣ - نيفين دلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢.
- ٤ - أحمد موصللي، حقيقة الصراع: الغرب والولايات المتحدة والاسلام السياسي، (ب. م، مؤسسة الف ليلة وليلة العالمية، ٢٠٠٣)، ص ٩٧.
- ٥ - نيفين دلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.
- ٦ - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والاسلام والغرب، ط٢ (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧) ص ١٤٢.
- ٧ - للمزيد عن دعم المسيحية (المتصهينة) للكيان الصهيوني، ينظر: رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحية السياسية والاصولية في امريكا)، ط١ (القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٠).
- ٨ - نيفين دلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.
- ٩ - المصدر نفسه، ص ١٤٦ - ١٤٧.
- ١٠ - احمد موصللي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤ - ٨٥.
- ١١ - نيفين دلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.
- ١٢ - المصدر نفسه، ص ١٥١.
- ١٣ - المصدر نفسه، ص ١٥١.
- ١٤ - القرآن الكريم، الأسراء، الآية ٤ - ٨.

المحتويات

٧.....	تمهيد
٢٧.....	البنية الفكرية السياسية لحزب الله في لبنان
٢٧.....	المقدمة
٣٠.....	المبحث الأول: أبرز المرتكزات الفكرية ومشروع الدولة الإسلامية لحزب الله
٣٠.....	المرتكزات الفكرية العامة:
٣٤.....	مشروع إقامة الدولة الإسلامية: الوسائل والمتطلبات
٤٠.....	المبحث الثاني: ولاية الفقيه وإشكالية العلاقة بين حزب الله وإيران
٤٠.....	ولاية الفقيه عند الإمام الخميني - تأصيل نظري
٤٤.....	حزب الله.. ولاية الفقيه أساس البناء الفكري - السياسي
٤٧.....	إشكالية العلاقة بين حزب الله وولاية الفقيه:
٥٢.....	المبحث الثالث: ثابت المقاومة ومتغير السياسة
٥٢.....	المنطلقات الفكرية لمشروع المقاومة عند حزب الله
٥٦.....	الواقعية المرحلية ومسوغات المشاركة السياسية
٦٠.....	الخلاصة
٦٥.....	البيئة الاجتماعية واثرها في نشأة حزب الله اللبناني
٦٥.....	المقدمة

- المبحث الاول: طبيعة البيئة الاجتماعية في لبنان ٦٦
- اولاً: العوامل المؤثرة على البيئة الاجتماعية ٦٩
- ١ - البنية السياسية والدستورية ٦٩
- ثانياً: الواقع الاقتصادي في لبنان ٧٥
- ثالثاً: الطائفية في لبنان ٧٧
- المبحث الثاني: تأثير البيئة الاجتماعية على نشأة حزب الله ٨٢
- المبحث الثالث: العوامل الاقليمية واثرها في نشأة حزب الله ٨٧
- أولاً: تأثير الاعتداءات الإسرائيلية في نشأة حزب الله ٨٧
- ثانياً: التأثير الإيراني على المشهد اللبناني وحزب الله ٨٩
- ثالثاً: التأثير السوري في لبنان و حزب الله ٩٥
- المبحث الرابع: حزب الله النشأة والتطور ٩٧
- اولاً: تأسيس حزب الله ٩٧
- المطلب الثاني سيرة السيد حسن نصر الله ومواقفه ١٠٢
- الخاتمة ١٠٦
- الدور السياسي للتحزب السياسية الشيعية في اطار النظام اللبناني ١١٣
- حزب الله إنموذجاً ١١٣
- المقدمة: ١١٣
- ١- الائتلاف الواسع (*Grand coalition*): ١١٥
- ٢- الفيتو المتبادل (*Mutual Veto*) ١١٧
- ٣- التناسب / النسبية او المحاصصة (*Proportionality*) ١١٨

- ١١٩..... ٤- الادارة الذاتية او الفدرالية:
- ١٤٣..... موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية في لبنان
- ١٤٣..... المقدمة:
- ١٤٦..... اولاً: مفهوم الديمقراطية التوافقية:
- ١٩٤٣..... ثانياً: موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية في ضوء الميثاق الوطني لعام ١٩٤٣
- ١٤٩.....
- ١٩٨٩..... ثالثاً: موقف حزب الله من الديمقراطية التوافقية في ضوء اتفاق الطائف لعام ١٩٨٩
- ١٦١.....
- ١٧٤..... الخاتمة:
- ١٧٩..... تأثير شخصية حسن نصر الله في الانتصارات اللبنانية على اسرائيل
- ١٧٩..... المقدمة:
- ١٨٠..... المحور الاول: حياة السيد حسن نصر الله
- ١٨٧..... المحور الثاني: افكاره
- ١٩٣..... المحور الثالث: اثر شخصية حسن نصر الله في تحقيق الانتصارات
- ٢٠٥..... الدور الإقليمي لحزب الله - المحددات والقيود
- ٢٠٥..... الحرب السورية إنموذجاً
- ٢٠٥..... المقدمة:
- ٢٠٨..... ١- حزب الله: من التأثير الى الدور الإقليمي
- ٢٠٩..... أ) القوى اللادولتية في حقل العلاقات الدولية:

- ٢١٣..... (ب) لمحة موجزة في دور وتأثير حزب الله الإقليمي.
- ٢٢١..... ٢- متى وكيف يبرز حزب الله إقليمياً؟
- ٢٢٢..... (أ) محددات الدور الإقليمي لحزب الله.
- ٢٢٨..... (ب) الحدود والقيود على دور حزب الله الإقليمي: .
- ٢٣٨..... ٣- دراسة حالة: الحرب السورية: .
- ٢٣٨..... (أ) حزب الله والأزمة السورية: التحدي الإستراتيجي .
- ٢٤١..... (ب) حزب الله في سوريا: .
- ٢٤٥..... (ج) النجاح: صهر المنظومة الشمالية: .
- ٢٥١..... الخلاصة: .
- ٢٥٧..... دور حزب الله في تغيير ميزان القوى في سوريا .
- ٢٥٧..... المقدمة: .
- ٢٥٨..... المحور الأول: تطورات اللازمة السورية والتفاعلات الإقليمية والدولية .
- ٢٦٦..... المحور الثاني: تدخل حزب الله وتغير الواقع الميداني .
- ٢٧٠..... المحور الثالث: مستقبل الصراع في سورية بعد تدخل حزب الله .
- ٢٧١..... الاحتمال الأول: استمرار الوضع الراهن: .
- ٢٧٣..... ثانياً: احتمالية اتساع سيطرة النظام السوري دون القدرة على الحسم .
- ٢٧٤..... ثالثاً: احتمالية الاتفاق السياسي ومحدودية المواجهات المسلحة .
- ٢٧٧..... الخاتمة: .
- ٢٧٩..... إستراتيجية الردع لحزب الله بين التأييد الشعبي والرفض الرسمي العربي .
- ٢٧٩..... المقدمة: .

٢٨٣.....	المبحث الاول: مرتكزات القوة لحزب الله وأثرها في استراتيجية الردع
٢٩١.....	المبحث الثاني: الدوافع الحقيقية وراء حرب تموز وقدرات حزب الله
٢٩٧...	المبحث الثالث: استراتيجية الردع بين التأييد الشعبي والرفض الرسمي العرب
٢٩٨.....	اولا: البيئة الداخلية اللبنانية وانعكاساتها على قدرات حزب الله:
٣٠٢.....	ثانيا: البيئة الاقليمية وأثرها في قدرات الردع لحزب الله.
٣٠٤.....	ثالثا: البيئة الدولية وأثرها في قدرات الردع لحزب الله:
٣٠٩.....	الخاتمة والاستنتاجات:
٣١٥.....	موقف حزب الله من القضية الفلسطينية.
٣٢٧.....	الخاتمة.....
٣٣١.....	المحتويات